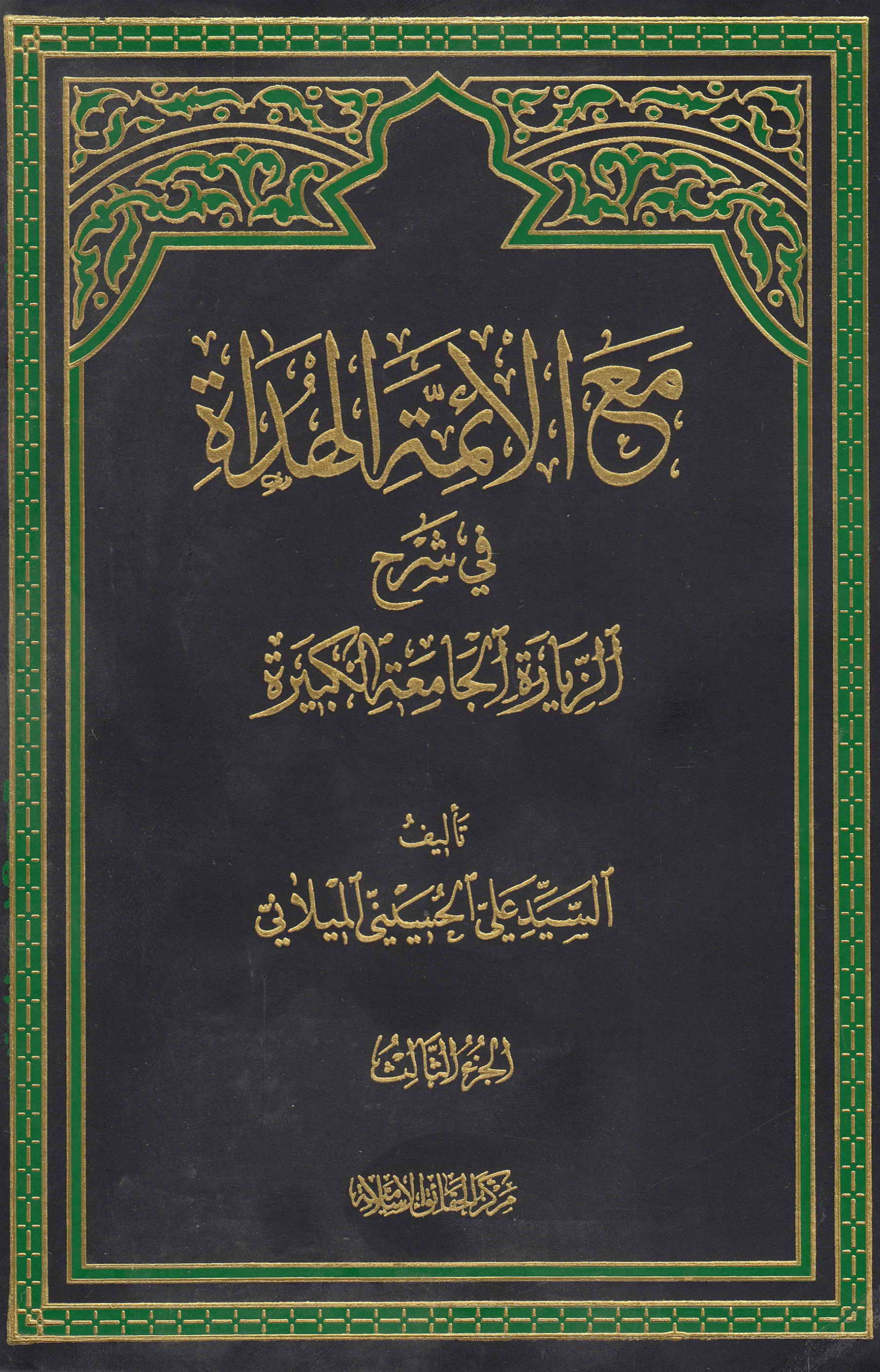
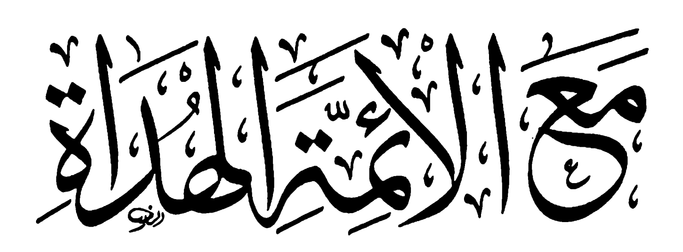

مع الأئمة الهداة
في شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة
تأليف
السيد علي الحسيني الميلاني
الجزء الثالث
مركز الحقائق الإسلامية



في شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

تأليف

السيد علي الحسيني الميلاني

الجزء الثالث

مركز الحقائق الإسلامية

سرشناسه: حسینی میلانی، سید علی، ۱۳۲۶ -
عنوان قراردادی: زیارتنامه جامعه کبیره. شرح
عنوان و نام پدیدآور: مع الائمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة / تاليف السيد على الحسينى الميلانى.
مشخصات نشر: قم: نشر الحقايق، ۱۴۳۵ق. = ۱۳۹۲ -
مشخصات ظاهری: ۴۰۰ ص.
شابک: دوره: 978-600-5348-46-0
ج.۱: 978-600-5348-47-7 ؛
ج.۲: 978-600-5348-79-8 ؛
ج.۳: 978-600-5348-80-4 ؛
يادداشت: عربی.
يادداشت: ج.۲و۳ (چاپ اول: ۱۴۳۵ق.=۱۳۹۲)(فيپا).
يادداشت: کتابنامه.
موضوع: زیارتنامه جامعه کبیره -- نقد و تفسیر
شناسه افزوده: نشر الحقايق
رده بندی کنگره: ۱۳۹۰ ۵۶ح/ ۲۰۲/ ۲۷۱ BP
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۷۷۷
شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۹۳۷۲۹



اسم الكتاب: مع الأئمّة الهداة عليهم السّلام (في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة)، ج ۳
المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني
نشر: الحقايق
الطبعة: الأُولى، ١٤٣٥
المطبعة: ستاره ـ قم
الكميّة: ١٠٠٠
السعر: ١٢٠٠٠٠ ريال
ردمك الدورة: ٩٧٨ـ٦٠٠ـ٥٣٤٨ـ٤٦ـ٠ 978 - 600 - 5348 - 46 - 0
ردمك: ٩٧٨ـ٦٠٠ـ٥٣٤٨ـ٨٠ـ٤ 978 - 600 - 5348 - 80 - 4

▣ **عنوان مركز النشر:** قم، شارع صفائيه، مقابل «صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات»، هاتف: ٣٧٨٣٧٣٢٠-٠٢٥
▣ **عنوان مركز التوزيع في طهران:** شارع مجاهدين، تقاطع «آبسردار»، بناية الأطباء «ساختمان پزشكان»، شُقّة رقم ٩، منشورات مركز منير الثقافي، هاتف: ٧٧٥٢١٨٣٦-٠٢١ (٤ خطوط)
▣ **عنوان مركز التوزيع في طهران:** شارع «پاسداران»، شارع «شهيد گلنبى»، زاوية شارع ناطق نورى، بناية زمرد «ساختمان زمرد»، الطابق الثاني، رقم ٤٣، منشورات آفاق، هاتف: ٢٢٨٤٧٠٣٥-٠٢١
▣ **عنوان مركز التوزيع في مشهد:** شارع الشهداء، خلف حديقة نادري «باغ نادرى»، زقاق الشهيد خوراكيان، بناية «گنجينه كتاب»، دار نشر نور الكتاب، هاتف: ٢٢٤٢٢٦٢-٠٥١١ ٠٩١٥١١٩٩٤٨٦
▣ **عنوان مركز التوزيع في اصفهان:** شارع «چهارباغ پائين»، مقابل ملعب «تختي» الرياضي، مركز الحوزة العلمية التخصصي للحوزة العلمية في اصفهان، هاتف: ٢٢٢٣٤٢٣-٠٣١١
▣ **عنوان مركز التوزيع في تبريز:** شارع الامام الخميني، قُرب دوّار «ساعت»، سوق «بزرگ تربيت»، الطابق الأسفل، رقم ٢٦، منشورات «نداى شمس»، هاتف: ٥٥٤٠٢٥٢-٠٤١١
▣ **عنوان مركز التوزيع في زنجان:** محطة «هفت تير»، محطة الباصات، معرض الكتاب «گلستان»، هاتف: ٣٢٢٠٩٩٠-٠٢٤١
▣ **عنوان مركز التوزيع في كرمانشاه:** شارع «اباغ‌ابريشم»، بجانب مدخل جامعة‌الرازي الأصلي، مكتبة الحافظ، هاتف: ٤٢٨٤٠٨٢-٠٨٣١
▣ **عنوان مركز التوزيع فى كاشان:** قاطع ٢ منطقة ناجى‌آباد، نهاية شارع پاسگاه، شارع مهستان، مكتبة فيروز (السيد هاشمى)، هاتف: ٥٤٣٢٨٨٣-٠٣٦١ ٠٩١٣٦٨١١٩٣٢

الموقع: www.al-haqaeq.org ـ **البريد الالكتروني:** Info@al-haqaeq.org ـ **الرسائل النصية:** ٩٨١٠٠٠١٤١٤+


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net

كلمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ مركز (الحقائق الإسلاميّة) أنْ يقدّم إلى المكتبة الإسلامية كتاب (مع الأئمّة الهداة في شرح الزّيارة الجامعة)، الذي أتحف به سيّدنا الفقيه المحقّق آية الله الحاج السيّد علي الحسيني الميلاني ـ دامت بركاته ـ أهل الولاء للنبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام، في محاضراتٍ متواصلة ألقاها في الحوزة العلمية بقم باللّغة الفارسيّة، فقام المركز بترجمتها إلى اللغة العربيّة، كما سيبادر إلى ترجمتها إلى اللّغات الأخرى أيضاً، ليعمّ نفعها المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها إن شاء الله.

لقد شرح سيّدنا الزيارة الجامعة على ضوء آيات الكتاب الكريم والروايات المعتبرة، وعلى أساس الأُصول الثابتة في مباحث الإمامة في علم الكلام، بما لم يسبقه أحدٌ في هذا الباب فيما نعلم.

ولقد بذل الإخوة المحقّقون في المركز جهداً كبيراً في تصحيح الكتاب وإرجاع المطالب إلى المصادر الأصليّة وإخراجه منقّحاً بقدر الإمكان، وسيقع في أربعة أجزاءٍ مع الفهارس التفصيليّة في الجزء الأخير.

فإليكم الجزء الثالث من هذا الكتاب، ومن الله التوفيق.

مركز الحقائق الإسلامية

كلمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمدٍ وآله الطّاهرين المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتابنا (مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة)، نقدّمه لأهل الولاء لأهل البيت المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، راجياً منهم الدّعاء، ومن الله القبول، بمحمد وآله الطّاهرين.

عليّ الحسينيّ الميلانيّ

١٤٣٥

بقيّة القسم الرابع

الإمامة و معرفة الإمام

أَنْـتُمُ (السَّـبِيلُ الْـأَعْظَمُ) [١]

وَالصِّــرَاطُ الْـأَقْوَمُ، وَشُـهَدَاءُ دَارِ

الْفَنَاءِ، وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ، وَالرَّحْمَةُ

الْـمَوْصُولَةُ، وَالآْيَـةُ الْـمخْزُونَةُ،

وَالْـأَمَانَةُ الْـمحْفُوظَةُ، وَالْـبَابُ

الْــمُبْتَلَى بِــهِ النَّــاسُ.

مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ.

---

(١) العبارة ما بين المعقوفتين وردت في بعض نسخ الزيارة الجامعة الكبيرة.

أَنْتُمُ السَّبِيلُ الأَعْظَمُ وَالصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ

سَبيلُ الهداية الأعظم

إنَّ كلمة "السبيل" تختلف عن كلمة "الصّراط"، وإن إستعملت إحداهما بَدَلَ الأُخرىٰ في بعض الأحيان، لأنّ مفهوم لفظ «الصّراط» أخص.

قال الراغب الإصفهاني:

«السبيل: الطريق الّذي فيه سُهولَة»[1].

فهو الطريق المعبَّد الّذي يسلُكُه الناس بسهولة.

ومن هنا، فإنَّ الّذي يبدو للنظر هو إنَّ مفهوم السبيل قريبٌ من مفهوم الطريق، وقد ذكر التفاوت بينهما في كتب اللّغة[2].

وفي القرآن الكريم:

﴿وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾[3].

أي: لكي تهتدوا وتصلوا إلىٰ مقصدكم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٢٣.

(٢) راجع كتاب الفروق اللغويّة: ٣١٣.

(٣) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٣١٣.

ثم قال الراغب الإصفهاني:

«وَ يُستَعمَلُ لكلِّ ما يتوصل به إلىٰ شيءٍ خيراً كان أوْ شرّاً، قال....

﴿وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾(١)».(٢)

وعليه، فالطريق الّذي يصلُ إلىٰ اللّه، والطريق الّذي يصل إلىٰ الشّيطان، كلاهما سبيل، ولذا، فإنَّ القرآن الكريم يقول:

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾(٣).

فالمراد من "سبيل الغَيّ" في هذه الآية، هو طريق الضلال.

وبناءاً علىٰ ما مرَّ بيانه،فإنَّ الأئمّة عليهم السّلام، قد وصفوا بالسبيل الأعظم الَّذي هو طريق عامٌّ، ويسلكه الناس بشكل عاديّ، وإنْ أمكن وجود طرق فرعيَّة إلىٰ جنب هذا الطريق العام، وهو كناية عن إنَّ الأئمّة عليهم السّلام قد نُصبوا وعُيِّنوا لهداية عموم البشريّة وإيصال كلِّ الناس إلىٰ اللّه، وفي نفس الوقت، فإنَّ هذا الطريق هو الطريق الوحيد الَّذي يوصل إلىٰ اللّه، لأنَّ الصّراط الواجب إتّباعه هو حصراً ذلك الطريق الَّذي يعتبر طريق اللّه تعالىٰ.

قال الراغب الإصفهاني:

«الصّراط: الطريق المستقيم»(٤).

ووصف "الصِّراط" بالإستقامة، إنّما هو للتأكيد.يقول القرآن الكريم:

﴿وَ أَنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوه﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام (٦): الآية ٥٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن؛ ٢٢٣.

(٣) سورة الأعراف (٧): الآية ١٤٦.

(٤) سورة الأعراف (٧): الآية ١٤٦.

(٥) سورة الأنعام (٦): الآية ١٥٣.

أيْ، أُسلكوا هذا الطريق فإنّه طريقي، فمن أراد الوصول إليَّ، فعليه أن يسير في هذا الطريق لا غير.

ويقول عزَّوجلّ في آية أُخرىٰ:

﴿وَ اللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١].

وفي آية أخرىٰ من الذكر الحكيم، إستعمل "الصّراط" و"السبيل" معاً في سياقٍ واحد، كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٢].

أيْ سيروا في الصّراط المستقيم ولازموه.

وقد إستعمل "السبيل" في هذه الآية بصيغة الجمع، ومنه يُعلم وجود طرق متعدّدة في قبال الطريق الوحيد الموصل إلىٰ اللّه تعالى، وإنَّ الناس قد نهوا عن أن يسلكوا تلك الطرق المتعدّدة الّتي لا توصل إلىٰ اللّه.

ومن جهة أخرىٰ، يُعلم أيضاً عدم وجود أكثر من طريق واحدة للوصول إلىٰ اللّه، وهو الصّراط المستقيم وإنْ أُطلق عليه "السبيل" أيضاً بلحاظ بعض الإعتبارات، فإنَّ "الصّراط" هو الطريق المنحصر الوحيد الّذي تكون الهداية فيه من قبل اللّه تعالىٰ لسالكيه. هذا، وإنَّ سلوك "الصّراط المستقيم" والكون فيه، مشروط بشروط يأتي بيانها إنْ شاء اللّه.

وعليه، فإنَّ "السبيل" متعدِّدٌ، ولكنَّ "الصّراط" واحدٌ، وهو الطريق الوحيد الموصل إلىٰ اللّه تعالىٰ، ذلك الطريق المستقيم الّذي لا إعوجاج فيه ولا إنحراف.

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢١٣؛ سورة النور (٢٤): الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ١٥٣.

من هُم أهل الصّراط المستقيم؟

ثمَّ إنَّ الصّراط المستقيم مختصٌّ بأُولئك الذين أنعم اللّه عليهم.

يقول القرآن الكريم:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾(١)

وقد ذكر الّذين أنعم عليهم في قوله تعالىٰ:

﴿وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَىٰ بِاللّهِ عَلِيماً﴾(٢)

ولنا أنْ نستظهر مِن آيـة الإكـمال بـلحاظ الأحـاديث الواردة مـعها، وهـي قوله تعالىٰ:

﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أتمَمتُ عَلَيكُم نِعْمَتِي ...﴾(٣)

إنَّ أهل الولاية لأمير المؤمنين هم الّذي أنعم الله عليهم.

وعـليه، فـإنَّ الإهـتداء إلىٰ الصّـراط المسـتقيم، الذي هـو صـراط النـبيّين والصدّيقين والشهداء و الصالحين، إنَّما يكون بفضل الله، لكونه بيد اللّه سبحانه وتعالىٰ، كما نقرأ في آية أخرىٰ من القرآن الكريم:

﴿وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾(٤)

وفي آية أخرىٰ:

﴿وَ إِنَّ اللّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾(٥)

---

(١) سورة الحمد (١): الآية ٦، ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٠-٦٩.

(٣) سورة الحمد (١): الآية ٦، ٧.

(٤) سورة المائدة (٥): الآية ١٦.

(٥) سورة الحج (٢٢): الآية ٥٤.

ونقرأ في آية ثالثة:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١)

وعلىٰ الجملة، فإنَّ الصّراط المستقيم إنَّما هو بيد اللّه تعالى، ومنهُ يطلب الإهتداء إليه، وكلُّ مَن هَدىٰ الناس إلىٰ هذا الصّراط، فإنَّه مأمورٌ من قبل اللّه تعالىٰ، وإنَّه قد قام بفعل إلهيّ.

ومن هنا، فإنَّ القرآن الكريم يخاطب النبيَّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ويقول:

﴿وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢)

صفات أهل الصّراط المستقيم

ثمّ إنَّ الكون علىٰ الصّراط المستقيم مشروطٌ بشروط، نستفيدها من آيات عديدة من نفس القرآن المجيد.

الشرط الأوَّل:

إنَّ من يضع قدمه علىٰ الصّراط المستقيم، يجب أن يكون "معتصماً باللّه"، فإنَّ الكون في الصّراط المستقيم الّذي هو الطريق الوحيد إلىٰ اللّه، والّذي هو بيد اللّه تعالىٰ، وإنَّهُ هو الّذي يهدي إليه، يحتاج إلىٰ معرفة اللّه عزَّوجلّ، وهو مشروط بالتمسك باللّه وعدم الإنفكاك عنه.

---

(١) سورة هود (١١): الآية ٥٦.

(٢) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٥٢.

يقول القرآن المجيد:

﴿وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١)

وبالإلتفات إلىٰ مضمون الآية المباركة يُعلم بأنَّ هذه الخصوصيَّة لم تؤخذ في مفهوم "السبيل" وإنَّما فيه عموميَّة.

الشرط الثاني:

ويُبَيِّنُهُ القرآن الكريم بهذا النحو، حيث يقول:

﴿وَوَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنٰا وَنُوحاً هَدَيْنٰا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ... وَاجْتَبَيْنٰاهُمْ وَهَدَيْنٰاهُمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ... وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢)

دلَّت الآيات علىٰ أنَّ الأنبياء قد إجتباهم اللّه وهداهم إلىٰ الصّراط المستقيم، وقد انيط ذلك بعدم الشرك و الكفر.

الشرط الثالث:

ويستفاد من قوله تعالىٰ:

﴿وَ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(٣)

أنَّ العبادة الخالصة للّه تعالىٰ حدوثاً و بقاءً، هي شرط للكون والبقاء علىٰ الصّراط المستقيم.

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ١٠١.
(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ٨٤ و ٨٨ ـ ٨٧.
(٣) سورة مريم (١٩): الآية ٤٣.

الشرط الرابع:

ونفهمه من الآية الكريمة:

﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرٰاطاً سَوِيًّا﴾(1)

فالمتابعة والتسليم شرطٌ في الهداية إلىٰ الصّراط المستقيم.

ومن خلال ذلك يظهر أنَّ "الصّراط المستقيم" أخصَّ بكثير من "السبيل"، فإنَّه مقيَّدٌ بقيود ومحفوف بضوابط، ولا يتسنّىٰ لكلٍّ أحد أن يكون علىٰ الصّراط المستقيم، وإنَّ الذين يُوفّقون لنيل هذا المقام هم قلَّة قليلة في كلِّ زمانٍ من الأزمنة، وذلك، لأنَّ الشيء إذا كثرت قيوده عزَّ تحصيله وقلَّ وجوده وندر.

وفي آية أخرىٰ من الذكر الحكيم، جاءت قضيّة الصّراط بلسان النفي، حيث يقول تعالىٰ:

﴿وَ إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُون﴾(2)

فاتّضح، أنَّ أهل الصّراط المستقيم هم المؤمنون بالله غير المشركين به، والمؤمنون بالآخرة والمطيعون لرسول اللّه التابعون له، والمعتصمون بأهل بيته لقوله تعالىٰ:

﴿وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاٰ تَفَرَّقُوا﴾(3)

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام في ذيل هذه الآية قال:

«نحن حبل اللّه»

---

(1) سورة مريم (19): الآية 43.

(2) سورة المؤمنون (23): الآية 74.

(3) سورة آل عمران (3): الآية 103.

أي، يا أيّها الناس، يجب عليكم الإعتصام بنا أهل البيت، فلا يكفيكم الإقرار بالشهادتين والإيمان بعالم الآخرة. وهذا الحديث مرويٌّ في كتب السنّة والشيعة معاً، في ذيل هذه الآية الشريفة.[1]

ومن هذا البيان ظهر إشتراط الإيمان بأصول الدين الخمسة، وأن من لم يعتقد بأصلٍ منها لم يكن من أهل الصّراط المستقيم.

وممّا لاريب فيه هو أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام قد نصبوا لهداية الناس إلىٰ الصّراط المستقيم. كما ورد بتفسير قوله تعالىٰ:

﴿إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمِ﴾[2]

أنَّ المراد هو أمير المؤمنين عليه السَّلام و معرفته.[3]

أجل، إنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام هم الصّراط المستقيم الذي أمر الله باتّباعه حيث قال:

﴿وَ أَنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوه﴾[4]

ولذا، فإنَّ من أطاعهم وتابعهم فقد أطاع اللّه ورسوله، وكان من أهل الصّراط المستقيم الموصل إلىٰ اللّه عزَّوجلّ إذ قال:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيم﴾[5]

(١) تفسير فرات ٩٠؛ الحديث ٧٢، ٧٣؛ تفسير مجمع البيان: ٣٥٨/٢؛ العمدة ٢٨٨؛ الصّراط المستقيم: ٢٨٦/١؛ كنز الدقائق: ١٨٧/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤/٨٤، الحديث ٣؛ شواهد التنزيل: ١٦٩/١، الحديث ١٧٨؛ ينابيع المودّة: ٣٥٦/١، الحديث ١٠.

(٢) سورة الفاتحة (١): الآية ٦.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ١٠٧/١.

(٤) سورة الأنعام (٦): الآية ١٥٣.

(٥) سورة هود (١١): الآية ٥٦.

ولكنْ، في الزيارة الجامعة وصفهم بـ"الصّراط الأقوم" أي: الأقوىٰ الأكثر إستقامةً، الذي لا ريبَ في وصول من سلكه، ولعلَّ ذلك لوجهين:

الأوّل: إنَّ الإمام هو المحور الأساس في الإسلام ، لأنَّ بواسطته يعرف المبدأ و المعاد و القرآن و السنن و الأحكام ، وهذا ما أوضحناه مراراً.

والثاني: إنَّ حكم الأئمَّة في الجهاز الربوبي حكم الملائكة المقرَّبين الموكّلين في إدارة أُمور العالم، وأنَّ إرادة اللّه تجري علىٰ يد هؤلاء.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١)

نعم، كلُّ هؤلاء مأمورون وجنود للّه المتعال، ولكنَّ الجنود على مراتب ودرجات، فمنهم مَن رتبته ودرجته أعلىٰ من سائرهم، فيكون الآخرون تحت إمرته وطاعته.

ومن هنا، ففي الوقت الّذي يدعو فيه اللّه تعالىٰ الناس إلىٰ الإيمان به، فإنَّه يدعوهم أيضاً إلىٰ الإيمان برسوله وبالأئمّة عليهم السّلام ويقول:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٢)

وقد تقدَّم منّا بيان وجود الإرتباط الوثيق بين مقام العصمة ووجوب الطاعة من جهة أخرىٰ، وقد ذكرنا بعض الآيات وتطبيقاتها في هذا الشأن.

وقد اتّضح ممّا تقدّم على ضوء الآيات والرّوايات أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم "السَّبيل الأعظم إلىٰ اللّه"، أي إنَّهم الطريق الواضح العامّ نحو اللّه تعالىٰ،

---

(١) سورة الفتح (٤٨): الآيات ٤، ٧.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ٥٩.

والّذي يؤدّي بالناس جميعاً إلى اللّه عزَّوجلّ، وإنَّهم عليهم السّلام ـ كرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ـ رحمةٌ للعالمين وللبشريّة جمعاء.

نكتة ظريفة

والظريف في هذه الفقرة، هو مجيء كلمة "أنتم" بصيغة الجمع، أي كلّ الأئمّة عليهم السّلام، وأمّا كلمة "سبيل" فقد جيء بها بصيغة المفرد، وإن كان قد جيء بها أيضاً في موارد أخرىٰ بصيغة الجمع، وفي هذا الإستعمال نكتةٌ وسرٌّ، وهو إنَّ طريق كلِّ الأئمّة عليهم السّلام، طريق واحد، فهم عليهم السّلام جميعاً قد دَعَوْا كلَّ الناس إلىٰ الهُدىٰ، وهدوهم إلىٰ الحقِّ وأرشدوهم، فأقوالهم، أفعالهم، هدفهم، هدايتهم، إرشادهم، موعظتهم وتعليمُهم، واحدٌ عند أوَّلهم وعند آخرهم.

عن زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«أوَّلنا مُحمَّد وأوسَطُنا مُحمَّد وآخرنا محمَّد»(١)

ومن هنا يُطرح في كتب علم الحديث وأُصول الفقه مسألة أنه هل يجوز نسبةُ الكلام الصّادر عن أحد الأئمّة عليه السّلام إلىٰ غيره من الأئمة؟ فمثلاً: لو سمع كلاماً من الإمام الصادق عليه السّلام، فهل يحقُّ له أنْ ينسب ذلك الكلام إلىٰ الإمام الباقر أو الإمام الرضا عليهما السّلام، أم لا؟

وقد تقرّر عند العلماء جواز ذلك، وذلك، بقطع النظر عن النصوص

---

(١) الغيبة، النعماني: ٨٦، الحديث ١٦؛ المحتضر: ١٦٥؛ بحار الأنوار ٢٥/٣٦٣، الحديث ٢٣.

الخاصّة، لأنّ كلام الأئمّة عليهم السّلام واحدٌ. وقد جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن عليهما السّلام، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السّلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وحديث رسول اللّه قول اللّه عزّوجلّ»(١)

الأئمّة، قرآنٌ وصراطٌ

وكما أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم "الصّراط المستقيم"، فلا شكّ في أنّ القرآن الكريم صراط مستقيم كذلك، سواءٌ وصف القرآن بذلك أو لا، لكن قد جاء التعبير عن الأئمّة عليهم السّلام بـ"الصّراط الأقوم"، ومن هنا، فقد وقع الكلام في الأوساط العلميَّة منذ قديم الأيّام عن أنّ القرآن أفضل من أهل البيت أم إنّ أهل البيت أفضل من القرآن؟

أمّا في الحديث المتواتر عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«إنِّي تاركٌ فيكُم الثقلين: كتابَ اللّه وَعترتي أهلَ بيتي وإنَّهما لَن يفترقا»(٢)

فقد جعل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أحدهما قرين الآخر، وذكرهما بصيغة التثنية، إلّا أنه قد ورد في بعض ألفاظ حديث الثقلين قوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«أحدهما أعظم من الآخر»

---

(١) الكافي: ٥٣/٢، الحديث ١٤؛ بحار الأنوار: ١٧٩/٢، الحديث ٢٨.

(٢) راجع: نفحات الأزهار، الأجزاء الثلاثة الاولى.

حيثُ ذُكر القرآن أوّلاً، ثمَّ ذُكر أهلُ البيت عليهم السّلام، بل ورد في بعض الروايات التعبير عن القرآن الكريم بـ"الثقل الأكبر"، وعن العترة بـ"الثقل الأصغر"(١)

لكنّ الزيارة الجامعة وصفت الأئمَّة عليهم السَّلام بـ"الصّراط الأقوم" أي الأكثر إستحكاماً، والشواهد علىٰ ذلك في الروايات كثيرة.

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام، حينما بعث إبن عباس إلىٰ الخوارج:

«لا تخاصمهم بالقرآن، فإنَّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُنَّة، فإنَّهم لَنْ يجدوا عنها محيصاً»(٢)

فالمجبِّرة، المفوِّضة، المجسِّمة وبعض الفرق الباطلة الأُخرىٰ، يتمسّكون بظواهر بعض ألفاظ القرآن الكريم. وأمّا كلام الأئمّة عليهم السّلام فهو ـ مثل كلام رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ـ قاطعٌ ولا مجال لأصحاب العقائد الفاسدة لأن يتمسّكوا بألفاظهم المعتبرة.

إشارة إلىٰ حال بعض أصحاب الأئمَّة

ثمَّ إنَّه بعد أنْ ثبت بالأدلَّة أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم الواسطة بين اللّه تعالىٰ وخلقه، وأنَّهم الوسيلة الوحيدة للوصول إليه، فلابدَّ وأنْ نسير في طريق هدايتهم ونسلك سبيلهم كما سلك أصحابهم الملازمون لهم ووصلوا إلىٰ مراتب معنويَّة عالية.

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٣٤؛ الخصال: ٦٥، ضمن الحديث ٩٨؛ كفاية الأثر: ١٢٩؛ كتاب الغيبة، النعماني: ٤٩.

(٢) نهج البلاغة: ١٣٦/٣، الخطبة: ٧٧؛ بحار الأنوار: ٢٤٥/٢، الحديث ٥٦.

وبديهيّ، إنَّ عمل الإنسان كلّما كان أكبر، وأكثر إنطباقاً علىٰ عملهم عليهم السّلام، وأكثر خلوصاً للّه، كان أكثر قبولاً وصاحبه أكثر قرباً من اللّه تعالىٰ.

ولذا، فإنَّ التاريخ يحدّثنا عن حالات بعض الأشخاص الذين تابعوا أهل البيت عليهم السّلام وأطاعوهم، حتّىٰ أنّهم أُلقي إليهم علم المنايا والبلايا، وكانوا من أصحاب الكرامات والمقامات الرفيعة.

نعم، فما أكثر باعة التمر في الكوفة، ولكن، لماذا لم يصل إلاّ ميثم التمّار إلىٰ ذلك المقام الرفيع؟

وكذا الحال في رشيد الهجري، الكميل بن زياد النخعي، و حبيب بن مظاهر الأسدي.

قال أبوعمر الكشي: مرّ ميثم التمّار علىٰ فرسٍ له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّىٰ اختلف أعناق فرسيهما. ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطّيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليه السّلام، تبقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه، فيقتل و يجال برأسه بالكوفة.

ثمّ افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّىٰ أقبل رشيد الهجري، فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي: ويزداد في عطاء الذي يجيء بالرأس مئة درهم.

ثم أدبر.

فقال القوم: واللّه ما ذهبت الأيّام و اللّيالي حتّىٰ رأيناه مصلوباً علىٰ باب دارعمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قتل مع الحسين، و رأينا كلّ ما قالوا»[١]

نعم، هذه الحالات المعنويّة نتيجة متابعة أهل البيت و ملازمتهم، ولقد ظهرت منهم الكرامات بعد موتهم كذلك، فقد حدَّث والدي رحمه اللّه:

جاء رجلٌ إلىٰ زيارة قبر ميثم التمّار، وقبره قريب من مسجد الكوفة، وكان وقت الظهر، فجاعَ هذا الرجل، ولم تكن مقبرة ميثم في ذلك الوقت علىٰ ما هي عليه اليوم - حيث قام أحد أخيار النجف الأشرف بتشييدها - ولم يكن في أطراف المقبرة دكاكين ومحلّات لبيع الطعام، فالتفت الرجل إلىٰ قبر ميثم التمّار وقال: يا ميثم! أنا جائع !!

ثم قرأ سورة الفاتحة وأهداها لروح ميثم، ولمّا أراد النهوض، رأىٰ علىٰ أرض المقبرة خبزاً حارّاً وكباباً ساخناً، ولم يكن أحدٌ في ذلك المكان.

وَ شُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ، وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ

شهداء دار الفناء

إنَّ مادَّة "الشهادة" في لغة العرب، تارة تتعدّىٰ بنفسها، كما في الآية المباركة: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢]

---

(١) رجال الكشي: ٢٩٢/١. وانظر كتاب: من هم قتلة الحسين؟ للمؤلّف: ١٠٥ و٣٤١.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٥.

وقوله تعالىٰ:

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾[١]

وتارةً تتعدّىٰ بحرف "اللام"، كما في قوله تعالىٰ:

﴿كُونُوا قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلّٰهِ﴾[٢]

وتارةً تتعدّىٰ بحرف "الباء" كما في قوله:

﴿وَلا يَملِكُ الَّذينَ يَدعُونَ من دونِهِ الشَّفاعَةَ إلّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ﴾[٣]

وتارة تتعدّىٰ بحرف "علىٰ"، كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا﴾[٤]

فإنْ تعدَّت مادة "الشهادة" بحرف "اللّام"، كانت الشهادة لنفع المشهود له. وإنْ تعدَّت بحرف "علىٰ" كانت الشهادة في ضرره كما في الآية. وإنْ تعدّت بنفسها، كانت بمعنىٰ الحضور، وهو المعنىٰ الموضوع له مادّة "الشهادة" في لغة العرب كما في الآية:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ...﴾[٥]

قال الراغب الإصفهانيّ في هذا الشأن:

«شهد: الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر أو بالبصيرة»[٦]

فالإنسان إذا ما حضر الواقعة و رأىٰ ما كان ببصره أو سمع الكلام بأُذنه، أمكنه الشهادة، بل وجبت عليه في بعض الأحوال.

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ١٣٥.

(٣) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٨٦.

(٤) سورة فصّلت (٤١): الآية ٢١.

(٥) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٧.

هذا بالنسبة إلىٰ المشاهدة بالبصر. وقد تكون المشاهدة بالبصيرة، فإنَّ الإنسان قد يتيقَّن بالشيء، إذ يراه بعينه الباطنيَّة فيشهد به، ومن ثمَّ فإنَّنا نشهد، وعلىٰ أساس بصيرتنا، بوجود اللّه المتعال، القيامة و...فالإنسان المؤمن له من الإعتقاد القطعيّ بهذه الأمور إلىٰ درجة إنَّه يشهد عليها وكأنَّه يراها بعينه الباصرة.

الأئمَّة شهداء الأعمال

وقد قرأنا آنفاً في فقرة من الزيارة الجامعة: ...وَشُهَداءَ علىٰ خلقِهِ ...

فهذه العبارات في شأن أهل البيت عليهم السّلام، لها أُصول وجذور قرآنيَّة، وقد أشرنا إلىٰ بعض الآيات الشريفة هناك.

يقول تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[١]

فإنّه وإنْ جاء الخطاب في الآية المباركة بعنوان «الأمّة»، ولكنَّ هذه الآية لا إرتباط لها بالأُمَّة. وقد حاول الخطيبُ البغدادي وإبن حجر العسقلانيّ وجمعٌ من كبار علماء أهل السنَّة، فقد حاولوا الإستدلال بها علىٰ عدالة الصّحابة أجمعين (!!)[٢]

ولكنّنا أثبتنا بأنَّ هذه الآية لا إرتباط لها بالصّحابة أيضاً.

(١) سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة: ١٦٢/١؛ الكفاية في علم الرواية: ٦٣؛ معرفة الثقات: ٩٤/١.

وعليه، فلا الأُمَّة مرادةٌ من هذه الآية المباركة، ولا الصحابة، فما هو المرادإذن؟

وقبل أن نرجع في تفسير الآية إلىٰ الروايات الواردة في ذيلها، لابدّ من النظر والتأمّل في مفرداتها:

١-كلمة "جعلناكم"

إنَّ الجعل يرتبط بشكل مباشر باللّه سبحانه وتعالىٰ لا بأحدٍ من الناس مطلقاً، فالجعلُ جعلٌ إلهيّ، وإنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ هو الَّذي أراد ذلك وأقرَّه.

فإنْ كانت الآية المباركة مرتبطةً بـ"الإمام والإمامة» كما سنبيِّن ذلك، فإنَّ ذلك يعني أنَّ الرسول أيضاً غير دخيل في تعيين الإمام وتنصيبه، وإنَّ تعيين وتنصيب الإمام ينحصر باللّه سبحانه وتعالىٰ، وما الرسول إلاّ مبلِّغٌ لذلك التعيين، وكما قال عزّوجلّ يوم الغدير:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك ﴾[١]

٢-كلمة "أُمَّةً وَسَطاً"

ذكر المفسِّرون في المراد من «الوسط» هنا أربعة أقوال، ولكنّ الصّحيح غيرذلك، وهو يتوقف على تعيين المراد من «الأُمّة».

فإذا لم يكن المراد من "الأُمَّة" في هذه الآية المباركة، أفراد الأُمَّة الإسلاميّة فرداً فرداً، ولا خصوص الصّحابة، فسيكون المراد حينئذٍ الأئمّة من أهل البيت عليهم السّلام، نظير الآية المباركة:

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٦٧.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾[١]

وقد جاء عن الصادق عليه السّلام أنه قال:

«في قراءة عليٍّ عليه السّلام: كُنتُم خَيرَ أئمّةٍ أُخرِجَت للناس. قال: هم آل محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله»[٢]

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام هم "الوسط"، بمعنى أنهم الواسطة بين الخلق واللّه سبحانه وتعالىٰ، لأنّ الإمام هو الدليل الدالّ على الله، فيكون موقعه الوسط بينهم وبينه، كما هو حال إمام الجماعة، إذ يكون وسطاً وواسطةً بين اللّه والمأمومين.

وهذا الّذي بيّناه، تعبيرٌ آخر عن "الصّراط الأقوم" في الزيارة وعن "حبل اللّه"، في الآية المباركة. لأنّ الحبلَ رابطٌ بين هذا الطرف وذاك، وهو الّذي يوصل الطرفين ببعضهما.

ومن ثمَّ، عُبِّرَ عن القرآن والعترة في بعض روايات "حديث الثقلين" بـ"الحبلين"، حيث ورد أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«أيُّها النّاس إنّي قَدْ تَرَكتُ فيكُم حَبلَينِ، إنْ أخَذتُم بِهِما لَن تَضِلُّوا بَعْدي ...»[٣]

وجاء في بعض الروايات الأخرىٰ:

«طرفٌ بيد اللّه تعالىٰ وطَرَفٌ بأيديكُم»[٤]

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ١١٠.

(٢) تفسير العياشي: ١٩٥/١، الحديث ١٢٨؛ بحار الأنوار: ١٥٣/٢٤، الحديث ١.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٣٥٦/٢؛ بحار الأنوار: ٨٣/٢٤.

(٤) الغيبة، النعماني ٢٩؛ الطرائف: ١١٧؛ بحار الأنوار: ١٠٩/٢٣، الحديث ١٥؛ مجمع الزوائد:

٣-كلمة "شهداء":

إنَّ كلمة "شهداء" في هذه الآية المباركة، لا تصدق علىٰ غير الأئمّة عليهم السَّلام أبداً، لأنَّ الشَّهادة هنا لا تخلو من أن تكون بمعنىٰ "النّظارة" و"الرِّقابَة" كما في الآية عن لسان عيسىٰ عليه السَّلام:

﴿وَكُنتَ شَهِيداً عَلَيهِم مَا دُمتَ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقيبُ عَلَيهِمْ وأنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهِيد﴾(١)

أو بمعنىٰ الشهادة لهم أو عليهم، كما هو المعنى المعروف لهذه المادَّة، فإنَّه لمّا كان المشهود عليهم أو المراقبون هم "الناس" الظاهر في العموم لجميع الأُمم، لزم أنْ يكون المخاطبون في "جعلناكم" حاضرين و ناظرين علىٰ الناس كلّهم، وهذه الإحاطة بأحوال جميع الأمم لا تتحقَّق إلّا للنّبيّ و المعصومين من أهل بيته الطاهرين.

فالآية واردة في خصوص الرَّسول و الأئمَّة عليهم الصَّلاة و السَّلام، وهذا من خصائصهم، لأنَّ الإشراف والرّقابة علىٰ الناس أجمعين أو الشهادة لهم أو عليهم خارجٌ عن عهدة البشر العاديّين، لأنَّ من له أهليَّة النظارة والإشراف علىٰ هذه الأُمَّة والأُمم السّابقة والشَّهادة في أعمالهم، لابدَّ أن يكون ذا مؤهلات ولياقات فائقة خارقة للعادة، وليس ذلك إلاّ أهلُ البيت عليهم السّلام، فهم فقط من لهم أهليّة مثل هذه النظارة والإطّلاع، فإنَّ هذه الشهادة أمرٌ وفعلٌ إلهيّ.

← ١٦٤/٩؛ المعجم الكبير: ١٦٧/٥؛ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ٤٣/١٨.

(١) سورة المائدة (٥): الآية ١١٧.

وعلى الجملة، فإنَّ الشهادة هنا ـ سواءٌ بهذا المعنىٰ أو ذاك ـ تستلزم لا محالة الإشراف والإحاطة، والعلم الكامل، وهذا المطلب يؤول إلىٰ بحث "علم الإمام"، والّذي لا نريد الدخول فيه هنا، ونكتفي بالقول:

أوّلاً: إنَّه بعد أن ثبت بأدلّة الكتاب والسُنَّة و...أنَّه هناك في يوم القيامة حسابٌ وكتابٌ، وأنَّ كلَّ شخص لابدَّ أن يحاسب علىٰ أعماله، لزم بالضرورة وجود محاسبين يتولّون محاسبة الناس علىٰ أعمالهم.

وذات الباري عزَّوجل لا يتولّىٰ حسابهم، إنَّما هناك من يأذن لهم عزَّوجلّ بالتصدِّي للحساب، وهم الأئمَّة عليهم السّلام، لأنَّهم ضمن الجهاز الربوبيّ، كما مرَّ بنا سابقاً.

ثانياً: إنَّ العلم والإحاطة الكاملة بأمور هذه الأُمَّة وسائر الأمم، ثابت للنبيّ الأكرم محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم، يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

﴿وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(١)

وهذا المقام ثابتٌ أيضاً للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، بالبيان السّابق.

وبناءً علىٰ ما مرَّ، فإنَّ الأئمّة عليهم السّلام شهداء علىٰ أهل هذا العالم من الأوَّلين و الآخرين، وناظرون علىٰ أعمال هذه الأُمَّة وسائر الأمم، بقرينة قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ النّاسِ﴾، وهم الَّذين سيتولّون حسابهم في الآخرة كما تقدّم بالتفصيل بشرح: وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم.

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣.

الإرتباط بين الأئمَّة والأُمم السابقة

ولا غرابة في ذلك، ولايقال: ما هو وجه الإرتباط بين النبي الأكرم والأئمَّة صلى اللّه عليهم وسلّم وبين الأُمم السابقة؟ فإنّنا نقرأ في القرآن الكريم:

﴿وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾(١)

وقد جاء في ذيل هذه الآية المباركة:

« قال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لمّا جمع اللّه بيني وبين الأنبياء ليلة الإسراء، قال اللّه تعالىٰ: سلهم يا محمد علىٰ ماذا بعثتم؟ قالوا: علىٰ شهادة أن لا إله إلاّ اللّه والإقرار بنبوَّتك وعلىٰ الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السّلام »(٢)

فالأنبياء السابقون، كانوا مكلَّفين وموظفين بإبلاغ ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام إلىٰ أُممهم وبدعوتهم إلىٰ الإيمان بها.

ومن جهة أُخرىٰ، نقرأ:

﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون﴾(٣)

فقد فُسِّرت كلمة "المؤمنون" في هذه الآية الشريفة بالأئمَّة عليهم السّلام، وهو الحقُّ، لأنَّ رؤية الأعمال في الآية قد حُمِلَت علىٰ نسق واحدٍ علىٰ لفظ الجلالة والرسول والمؤمنين.

وعن المعلىٰ بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال في ذيل هذه الآية:

---

(١) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٤٥.

(٢) العمدة: الحديث: ٦٨٠؛ خصائص الوحي المبين: ١٧٠، الحديث ١٢١؛ الصّراط المستقيم: ٢٩٣/١؛ الطرائف: ١٥١؛ بحار الأنوار: ١٥٥/٣٦؛ شواهد التنزيل: ٢٢٤/٢، الحديث ٨٥٧؛ ينابيع المودَّة: ٢٤٦/٢، الحديث ٦٩٢.

(٣) سورة التوبة (٩): الآية ١٠٥.

«هُوَ رَسولُ اللهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة، تُعرَض عليهم أعـمال العباد كلَّ خميس»[١]

فلا تَصْدق مثلُ هذه الرؤية علىٰ غير الأئمّة عليهم السّلام.

ومن هنا، قالوا، كما ورد عنهم في روايات أُخرىٰ في ذيل هذه الآية:

«هم نحنُ»

نكتتان مهمّتان

وهنا نكتتان مهمّتان:

الأولىٰ: إنَّ المراد من الرؤية هنا، ليس مـجرَّد الرؤيـة والمـعاينة بـالحاسّة الظّاهرة، لأنَّ الحاسَّة لا تصحّ علىٰ اللّه لأنَّه ليس بجسم، بل المراد هو الإطّلاع من أجل المحاسبة والحكم.

الثانية: إنَّ الآية مطلقة، إذ ليست رؤية الأعمال مقيَّدة بعالمٍ دون عالم، فهي تكون في عالم الدنيا وفي عالم الآخرة أيضاً، ومن هنا جاء في الروايات الشيعيّة والسنيَّة معاً، بأنَّ أعمال أُمَّة رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله تعرض عـليه وعلىٰ الأئمَّة في جميع الأحوال، فقد جاء في الخبر عن سدير قال: قـال الإمـام أبوجعفر الباقر عليه السّلام:

«قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وهو في نفر من أصحابه: إنَّ مقامي بين أظهركم خير لكم، وإنَّ مفارقتي إيّاكم خير لكم.

فقام إليه جابر بن عبد اللّه الأنصاري، وقال: يا رسول اللّه! أمّا مقامك بين

(١) بصائر الدرجات ٤٤٧؛ الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٢٣، الحديث ٣٩.

أظهرنا فهو خير لنا، فكيف تكون مفارقتك إيّانا خيراً لنا؟

فقال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: وأمّا مقامي بين أظهركم خير لكم، لأنَّ اللّه عزَّوجلّ يقول:

﴿**وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾(١) يعني يعذّبهم بالسّيف.

فأمّا مفارقتي إيّاكم فهو خير لكم، لأنَّ أعمالكم تعرض عليَّ كلّ إثنين وخميس، فما كان من حسن، حمدت اللّه تعالىٰ عليه، وما كان من سّيء، استغفرت لكم»(٢)

وعن داود بن كثير قال: كنت عند أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام فابتدأني قائلاً:

«يا داوود! لقد عرضت عليَّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت فيما عرض عليَّ من عملك صلتك لإبن عمّك فلان، فسرَّني ذلك، إنِّي علمت صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله».

قال داود: وكان لي ابن عمّ معاندٍ خبيثٍ بلغني عنه وعن عياله سوء حاله فصككت له نفقةً قبل خروجي إلى مكّة، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد اللّه عليه السلام بذلك.

هذا، وقد جاء في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿**وَ كَذلكَ جَعَلْنَاكُم ...**﴾ روايات عديدة، منها ماروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام، أنه قال:

---

(١) سورة الأنفال (٨): الآية ٣٣.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٤٠٨ - ٤٠٩، الحديث ٩١٧؛ بحار الأنوار: ٣٣٨/٣٣، الحديث ٩.

«إنَّ اللّه طهَّرنا وعَصَمَنا وجعلنا شهداءَ علىٰ خلقه وحجّة في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»(١)

وفي الرواية نكاتٌ عدَّة:

الأُولىٰ: إشتملت الرواية علىٰ الطهارة والعصمة، وقوله ﴿طهَّرنا﴾ مطلقٌ، فهو التطهير من كلِّ نقص، خاصَّة الجهل الّذي هو أكبر نقص متصوَّر.

الثانية: إنَّ الأئمّة عليهم السّلام، شهداء علىٰ الناس، وحجّة عليهم أيضاً، فكما جعلهم اللّه شهداء علىٰ سائر الناس، فإنَّه يحتجّ بهم عليهم، فتكون عواقب أُمورهم مستندة إليهم، وإنَّ القضايا تُحلُّ وتُفْصَل علىٰ أيديهم عليهم السّلام.

هذا، وقد ذكرنا فيما سبق بأنَّ كلّاً منهم عليهم السّلام هو القاضي والشاهد والمدَّعي والشفيع في نفس الوقت.

الثالثة: قِران الأئمّة بالقرآن المجيد علىٰ الدوام، أي، إذا كان القرآن حَكَماً فنحن أيضاً حَكَم، وإذا كان القرآن شفيعاً فنحن أيضاً شفعاء، وإذا كان القرآن دستوراً، ميزاناً وقانوناً، فنحن أيضاً كذلك، وإذا كان القرآن كلامَ اللّه تعالىٰ، فنحن أيضاً كلمة اللّه تعالىٰ. نعم، إنَّ الأئمّة عليهم السّلام، ليسوا بأقلَّ من عيسىٰ بن مريم عليه السّلام.

وقد جاء في القرآن الكريم تعبير لطيف في هذا الخصوص، حيث يقول عزّوجلّ:

---

(١) بصائر الدرجات: ١٥٣، الحديث ٦؛ الكافي. ١٩١/١، الحديث ٥؛ بحار الأنوار ٣٤٣/٢٣، الحديث ٢٦.

﴿اللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النّٰاسِ إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمٰا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُور﴾[١]

أي إنَّ الأنبياء عليهم السّلام تحت نظارة اللّه تعالىٰ، وهو محيط بهم، وكلُّ حركاتهم وسكناتهم بعين اللّه.

ثمَّ يقول عزَّوجلَّ:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجٰاهِدُوا فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اجْتَبٰاكُمْ وَمٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هٰذٰا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَآتُوا الزَّكٰاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلاٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٢]

وكلُّ هذه المقامات ثابتة للأئمَّة الكرام عليهم السَّلام، ففي الكافي، في "باب أنَّ الأئمَّة شهداء اللّه علىٰ خلقه"،[٣] فروىٰ بسند صحيح عن بريد العجلي قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السّلام: قول اللّه تبارك وتعالىٰ ﴿وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٤] قال: نحن أُمَّة الوسط، ونحن شهداء اللّه تباك وتعالىٰ علىٰ خلقه، وحججه في أرضه.

قلت: قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسجُدُوا وَاعبُدُوا رَبَّكُمْ وَافعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾.

---

(١) سورة الحجّ (٢٢): الآيات ٧٥ - ٧٦.
(٢) سورة الحج (٢٢): الآيات ٧٧ - ٧٨.
(٣) الكافي، ١٩٥/١.وجاء في هذا الباب خمسة أحاديث.
(٤) سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣.

قال: إيّانا عنىٰ ونحن المجتبون، ولم يجعل اللّه تبارك وتعالىٰ في الدين من حرج، فالحرج أشدّ من الضّيق ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهِيمَ﴾ إيّانا عنىٰ خاصّة و﴿مِنْ قَبْلِ﴾ في الكتب الّتي مضت وفي هذا القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ﴾

فرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن اللّه تعالىٰ، ونحن الشهداء علىٰ الناس، فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه ومن كذّب كذّبناه؛»[١]

وعلىٰ الجملة، فإنَّ الآية المباركة خاصَّة بالأئمَّة الأطهار، وهم إنّما بلغوا هذا المقام الرفيع ببركة عبوديّتهم للّه عزَّوجلّ وجهادهم فيه حقَّ جهاده، وكانوا علىٰ هذه الحالة حتّىٰ آخر لحظات حياتهم الكريمة.

من هو الصحابي؟

وأمّا قول الخطيب البغدادي، وابن حجر العسقلاني، وبعض علماء أهل السنَّة المتعصِّبين، بأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً...﴾ ناظرٌ إلىٰ الصّحابة، وهم الشّهداء علىٰ الناس، فباطلٌ جدّاً، لما تقدَّم في معنىٰ الآية.

ويكفي لبيان بطلان تلك الدعوىٰ ما ذكروه في تعريف الصّحابي من أنّه:

كلُّ من رأىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم أو رآهُ صلّىٰ الله عليه و آله، ولو للحظة واحدة، فهو صحابيّ، وإنَّ كلّ هؤلاء عدولٌ بحكم هذه الآية المباركة (!!)

---

(١) الكافي، ١٩١/١، الحديث ٤.

وعليه، فكلّ من يشهد الشهادتين من أهل المدينة ومن حولها قد رآه ولو لحظةً؛ كما لو مرّ به صلّىٰ اللّه عليه و آله وهو جالسٌ في المسجد، كمن جاء من اليمن مثلاً ليشتري بضاعةً فدخل المسجد فرآه و رجع إلىٰ بلده، فهو صحابي عادل.

بل يقولون أكثر من ذلك، وهو إنَّ كلَّ من نطق بالشهادتين وكان معاصراً للرسول الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وحتّىٰ لو لم يكن قد رآه للحظة واحدة، فهو صحابي(!!)[١]

تُرىٰ، أيمكن قبول مثل هذه الآراء، وإعتبار كلّ من تظاهر بالإسلام عدولاً؟

إنَّ أكثر الأشخاص الذين كانوا حول الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لم تكن تتوفر فيهم العدالة، فضلاً عن توفرها فيمن رأىٰ النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله للحظة واحدة، فكيف بمن لم يره أصلاً واقتصر حاله علىٰ معاصرته؟!

فكيف يمكن إعتبار هؤلاء مصداقاً للآية المباركة؟

وهذه الآراء من قبل علماء العامّة؛ ليست عجيبة وغريبة، بعد أن أسّسوا مذهبهم علىٰ القول بعدالة الصّحابة أجمعين، فكانوا مضطرّين إلىٰ معالجة إشكاليّاته والإنحرافات الواقعة فيه بمثل هذه التوجيهات.

ولكنَّ العجب من شخص في الحوزة العلميَّة، يكتب كتاباً ويحاول فيه تطبيق هذه الآية علىٰ الصّحابة، ثمَّ ينتقد تفسير الميزان وغيره من تفاسيرنا لردّها علىٰ مثل هذه الآراء ورفضها لها.[٢]

عجباً من سوء عاقبة الإنسان. نعوذ باللّه.

---

(١) لمزيد من الإطّلاع علىٰ هذا الموضوع راجع رسالة الصحابة؛ ونقد الحديث "أصحابي كالنجوم" للمؤلف.

(٢) راجع تفسير الميزان: ٣١٩/١.

هل إنَّ الملائكة شهودُ أيضاً؟

وهل إنَّ الملائكة شهودٌ علىٰ الناس أيضاً؟

إنَّ بعض الملائكة موكَّلونَ علىٰ أعمال العباد.

ومنهم مكلّفون بكتابة أعمال المكلَّفين، يقول القرآن الكريم:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١)

ولكن قد ورد في بعض الأدعية أنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ يُخفي بعض أعمال العباد علىٰ الملائكة الموكّلين أيضاً، من ذلك ماجاء في دعاء الكميل:

«و كلّ سيّئةٍ أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الّذين وكّلتهم بحفظ ما يكون منّي وجعلتهم شهوداً عليّ مع جوارحي وكنت أنت الرّقيب عليّ من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم وبرحمتك أخفيته وبفضلك سترته»(٢)

فيظهر أنَّ بعض الأمور قد تخفىٰ بفضل اللّه و رحمته علىٰ الملائكة المأمورين بكتابة أعمال العباد السيّئة، وهذا بنفسه يكون قرينة علىٰ إنَّ الملائكة لا يمكنهم أن يشهدوا كلَّ أعمال الناس.

كان ذلك شرحاً لعبارة "شهداء دار الفناء".

الأئمّة شفعاء الآخرة

وأمّا الشفاعة، فهي غير مختصَّة بمقام العصمة، بل إنَّ العلماء، الشهداء، وعباد اللّه الصالحين يمكن أن يصلوا إلىٰ مقام الشفاعة، مع حفظ سلسلة المراتب

---

(١) سورة ق (٥٠): الآية ١٨.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٣٩، في ضمن دعاء الخضر عليه السّلام، والمعروف بدعاء الكميل.

والدرجات، وإنّ رسول اللّه والأئمّة الأطهار عليهم السّلام هم علىٰ رأس الشفعاء وسادتهم، ولذا خصّوا بالذّكر؛ وأيضاً، هي غير مختصَّة بعالم الآخرة، ولكنْ لمّا كانت الحاجة إليها هناك أشدّ خُصَّ بالذّكر كذلك.

نكتةٌ مُهِمَّة

جاء في بعض المنقولات:

«وَيلٌ لمن شفعاؤه خُصماؤه»[١]

وهذه حقيقة لامرية فيها من الناحية الإعتقاديَّة، وقد أوضحناها في بحوثنا السّابقة، ولكن، ما هو تأثير هذا الإعتقاد عملياً في سلوكنا الحياتي؟

فصحيح إنّنا معتقدون، ولنا أملٌ كبير في نيل شفاعة النبيّ وآله، ولكن، ليس لأحدنا أن يدَّعي بأنَّه قد حصل علىٰ ضمانٍ بالشفاعة، فعلينا إذن أن لا نرتكب ما ليس فقط يمنع شفاعتهم لنا، وإنّما يجعلهم خصماء لنا في يوم القيامة، فلنحاول علىٰ الأقل أن لا يكونوا لنا خصماء أو أنْ يشهدوا علينا، إذا لم نوفق لنيل شفاعتهم عليهم السّلام.

ثمَّ إنَّ كون النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله شاهداً علىٰ هذه الأُمَّة، وأنّ الأعمال تعرض عليه، وأنَّه الشفيع لها في الآخرة، من جملة العقائد التي عليها المسلمون بجميع فرقهم، إلاّ الوهّابيّة الذين ينكرون ذلك، طبقا لما جاء علىٰ لسان كبيرهم محمد بن عبد الوهاب الَّذي قال: «عصاي هذه أنفع من محمد، لأنّه لا يضرُّ ولا

---

(١) ورد هذا المضمون في روضة الواعظين: ١٩٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٧/١٣؛ ينابيع المودّة: ٤٦/٣ في ضمن الأشعار.

ينفع، وأمّا عصاي فإنّي أتوكأ عليها»[١]

وسنبحث لاحقاً عن الشفاعة بشكل مفصّل، ونبيّن أنّ الشفاعة ثابتة لأئـمّة أهـل البيت عـليهم السّـلام، كـثبوت الشـهادة لهـم وعـرض الأعـمال عـليهم، إنْ شاء اللّه.

وَالرَّحْمَةُ المَوْصُولَةِ

الأئمَّة هم الرّحمة الموصولة

إنَّ من القضايا الثابتة عقلاً و نقلاً أنَّـه لولا رحـمة اللّـه تـعالىٰ وفـضله، لم يكن هناك خلق، لأنَّ اللّه تـعالىٰ غـنيٌّ بـالذات ولا يـحتاج إلىٰ وجـود الخـلائق وعبادتهم حتى يخلقهم لعبادته، ولكنَّ اللّه تعالىٰ خلقها بمقتضىٰ لطفه ورحمته، ففي الآية الشريفة:

﴿وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٢]

فاللّه تعالىٰ، مع غناه الذاتيّ، ذو رحمة واسعة، وبـمقتضىٰ رحـمته خـلق الخلائق كلَّها.

ونقرأ في آية أُخرىٰ:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٣]

فاللّه سبحانه وتعالىٰ خَـلَق الخـلائق لتكـون دليـلاً عـلىٰ رحـمته وقـدرته وعظمته، ولذا ورد في القرآن الكريم وفي عدّة موارد، قوله تعالىٰ:

---

(١) كشف الإرتياب: ١٢٧.
(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ١٣٣.
(٣) سورة الأنعام (٦): الآية ٥٤.

﴿وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[(١)]

وجاء في آية أُخرىٰ:

﴿خَلَقَ اللّٰهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِين﴾[(٢)]

التكاليف الشرعيَّة والرحمة الإلهيَّة

نعم، قد خلق الله عزّوجلّ الإنسان وذكر أن الغرض والحكمة من خلقه هو العبادة له، فقال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[(٣)]

ثم أمره بالعبادة والطّاعة له بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم﴾[(٤)]

ولكنّ كلّ ذلك من باب الرحّمة به، وعلىٰ هذا، فإنَّ خلق الإنسان وعبادته لله، ونتيجة أعماله التي يؤديها، والعائدة إليه كلُّها من فضل الله ورحمته، وممّا يشهد بكون تكاليفه العباديّة من باب الرحمة قوله سبحانه:

﴿وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَة﴾[(٥)]

نعم، إنَّ التكليفَ رحمةٌ ولطف، ومن هنا فإنَّ السيد إبن طاووس رحمه اللّه قد إحتفل -بإصطلاحنا الحديث المتعارف- بيوم بلوغه الشرعي.[(٦)]

---

(١) سورة الروم (٣٠): الآية ٢٢، سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٩.

(٢) سورة العنكبوت (٢٩): الآية ٤٤.

(٣) سورة الذاريات (٥١): الآية ٥٦.

(٤) سورة البقرة (٢): الآية ٢١.

(٥) سورة النحل (١٦): الآية ٨٩.

(٦) راجع كتاب: كشف المحجّة لثمرة المهجة: ٨٧.

بعث الرسول والرحمة الإلهيّة

وإذا كان التكليفُ رحمة، لزم وجود مُبيِّنٍ، شارحٍ، وحافظ للتكليف. وبعبارة أُخرىٰ، لابدَّ من وجود نبيّ يلتزم بشؤون التكليف ويتم إبلاغ التكاليف عن طريقه وبواسطته، ووجوده أيضاً رحمة.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِين﴾(١)

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ النبيّ يموت كسائر الناس:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُون﴾(٢)

ولكنَّ الدين يبقىٰ بعد موت النبيّ، والتكاليف والشريعة باقية خالدة:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلاٰم﴾(٣)

ويقول عزَّوجلَّ في آية أُخرىٰ:

﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٤)

الأئمَّة هم الرحمة الإلهيَّة

ومن هنا، كان لابدَّ من وجود خليفة للنبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأن يكون هذا الخليفة معصوماً، ليقوم بأداء وإجراء تلك الوظائف، ولتبقىٰ التكاليف قائمة بوجود الإمام المعصوم.

---

(١) سورة الأنبياء (٢٩): الآية ١٠٧.
(٢) سورة الزمر (٣٩): الآية ٣٠.
(٣) سورة آل عمران (٣): الآية ١٩.
(٤) سورة آل عمران (٣): الآية ٨٥.

إذن، فأصل خلق الإمام ونصبه بجهة الإمامة، رحمةٌ وفضل ولطفٌ إلهيّ، ومادام هناك بشرٌ وتكاليف، يجب أن يكون هناك إمام، ولذا نصفهم بأنَّهم:

الرَّحمَةُ المَوْصولَة.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ وجود الإمام يكون منشأً لأنواع الرحمة، فببركة وجود الإمام في كلّ زمان تنزل أنواع البركات والنعم علىٰ الخلائق بأجمعها، بكلٍّ أنواعها المعنويَّة والماديَّة.

نعمة الهداية بواسطة الإمام

وكنموذج لذلك، نشير إلىٰ الرحمة المعنويَّة.

إنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ لم يخلق الخلائق عَبَثاً وبلا هدف، يقول القرآن الكريم:

﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾(١)

نعم، لم يُخلق الإنسانُ عبثاً ولعباً، وإنَّما خُلِقَ لحكمة وغرض وهو الكمال والهداية والفلاح، ولكنَّ هذا الغرض الأقصى إنما يتحقّق بوجود الإمام عليه السّلام، وهدايته، لأن الوصول إلى الكمال المطلوب منوط بالعبادة والطّاعة كما ذكرنا مراراً، ومن المعلوم أنه لولا هداية الإمام لما عرف طريق الطّاعة وأحكامها وخصوصيّاتها.

---

(١) سورة المؤمنون (٢٣): الآية ١١٥.

يقول تعالىٰ:

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]

وهل توجد نعمةٌ أكبر من نعمة الهداية؟

ويقول القرآن الكريم في آية أُخرىٰ:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]

وقد ورد في ذيل هذه الآية المباركة أحاديث كثيرة في كتب السنَّة والشيعة في أنَّ الهادي للأُمَّة بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام.

فقد قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«يا عَلي! أنا المُنذِرُ وَأنتَ الهادي، بكَ يهتدي المهتَدونَ مِنْ بَعدْي»[3]

نعمة الأمان والمغفرة بواسطة الإمام

وبعد نعمة الهداية، والّتي تعتبر من أكبر النعم المعنويَّة، هناك نعمتان مهمَّتان أُخريان تتوفر فيهما الآثار الماديَّة والآثار المعنويَّة معاً، وهما نعمة الأمان ونعمة المغفرة.

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٥٨.

(٢) سورة الرعد (١٣): الآية ٧.

(٣) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة في المصادر التالية:

شرح الأخبار ٢٧٢/٢، الحديث ٥٨٠؛ المسترشد: ٣٥٩، الحديث ٥٢؛ الثاقب في المناقب: ٥٧؛ مناقب آل أبي طالب: ٢٨٠/٢؛ الطرائف: ٧٩، الحديث ١٠٧؛ الصّراط المستقيم: ٢٧٢/١؛ بحارالأنوار: ٣٩٩/٣٥؛ فتح الباري: ٢٨٥/٨؛ نظم درر السمطين: ٩٠؛ كنز العمّال: ٦٢٠/١١، الحديث ٣٣٠١٢؛ تفسير جامع البيان: ١٤٢/١٣؛ شواهد التنزيل: ٣٨١/١ و٣٨٢، الحديث ٣٩٨؛ زاد المسير: ٢٢٨/٤؛ تفسير إبن كثير: ٥٢/٢؛ تفسير الدر المنثور: ٤٥/٤؛ فتح القدير: ٧٠/٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٥٩/٤٢؛ ميزان الإعتدال: ٤٨٤/١؛ لسان الميزان: ١٩٩/٢.

وقد دلّ قوله عزّوجلّ:

﴿وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١)

على أنّ من بركات وجود النبيّ صلّى الله عليه وآله بين الناس هو الأمان من العذاب.

ولايخفى النكتة في كلمة «وما كان الله...»، هذه الكلمة التي تكرّرت في القرآن الكريم: كقوله تعالى:

﴿وَمٰا كٰانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمٰانَكُمْ...﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿وَمٰا كٰانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدٰاهُمْ﴾(٣)

وأمثالهما، فإنّها تفيد الامتناع على الله.

لكنّ امتناع العذاب في الآية هو بسبب حرمة النبيّ وشأنه عندالله.

وإذا كان كذلك، فإنّ نفس الأثر مترتّب على وجود الإمام من بعده، ولا يتوهَّم بأنَّ مقتضىٰ الآية حصول الأمن من العذاب بعد الرسول بالإستغفار، فلا حاجة إلىٰ وجود الإمام من هذه الناحية.

فقد روىٰ جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السّلام في ذيل هذه الآية المباركة قال:

---

(١) سورة الأنفال (٨): الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣.

(٣) سورة التوبة (٩): الآية ١١٥.

قلت لأبي جعفر عليه السّلام:

«لأيِّ شيء يُحتاجُ إلىٰ النَّبيّ والإمام؟

فقال عليه السّلام: لبقاء العالم علىٰ صلاحه، وذلك أنَّ اللّه عزَّوجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبيٌّ أو إمام. قال اللّه عزَّوجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾

وقال النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: النُّجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتىٰ أهل الأرض ما يكرهون؛ يعني بأهل بيته الأئمَّة الَّذين قرن اللّه عزَّوجل طاعتهم بطاعته»[1]

وروىٰ أحمد بن حنبل في "مناقب الصحابة" عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنه قال:

«النجوم أمانٌ لأهل السماء فإذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[2]

وروىٰ الحاكم النيشابوري في المستدرك علىٰ الصحيحين، عن إبن عباس أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمانٌ لأُمَّتي من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب إختلفوا فصاروا حزب إبليس؛»[3]

---

(١) علل الشرائع: ١٢٣/١، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ١٩/٢٣، الحديث ١٤.

(٢) كتاب الفضائل: ٦٧١/٢، الحديث ١١٤٥؛ ينابيع المودَّة: ٧١/١، الحديث ١؛ فرائد السمطين: ٢٥٣/٢، الحديث ٥٢٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٤٩/٣.

نعم، فلو كان الناس قد أطاعوا أهل البيت عليهم السّلام وإتّبعوهم، لما وقع الإختلاف بينهم، فالقضيَّة واضحةٌ. وكما ذكرنا سابقاً، فإنَّه لا يوجد إلاّ حزبان وطريقان ولا ثالث لهما، كما لا يمكن تصوّر مركَّب من الطريقين معاً.

فحزب اللّه هم أتباع أهل البيت عليهم السّلام.

والحقيقة هي إنَّ عنوان "حزب اللّه" قد اُخذ من القرآن الكريم حيث يقول تعالىٰ:

﴿وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١)

فمن لم يكن تابعاً لأهل البيت عليهم السّلام، كان من حزب الشيطان لا محالة، إذ لا ثالث لهما ولا مركَّب منهما، و هذه القضيَّة قضيَّة منفصلة.

إذن، فوجود النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ووجود أهل البيت عليهم السّلام، أمانٌ، أمانٌ من الهلكة والإختلاف والتفرقة، وهذا الأمان إنّما هو بركة ماديَّة، وبركة معنويَّة في الوقت ذاته.

الرحمة العامَّة

وممّا تقدَّم يعرف أنَّ وجود الإمام عليه السّلام هو رحمةٌ ومنشأ للرحمة.

والرحمة الإلهيَّة علىٰ قسمين:

١- الرحمة العامَّة.

٢- الرحمة الخاصَّة.

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٥٦.

وقد وردت الإشارة في القرآن الكريم إلىٰ كلا القسمين من الرحمة.

فالأئمَّة عليهم السّلام هم رحمة لكلِّ الأمَّة ولكلِّ الخلق، قال تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١]

نعم، فرسول اللّه والأئمَّة عليهم السّلام رحمة للجميع، ولولا هذه الرحمة لكان الخلق في عذاب وضلال وخسران.

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿فَلَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[٢]

وقد فُسِّرت عبارة "فضل اللّه" في الآية المباركة برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وفسِّرت كلمة "رحمته" بأمير المؤمنين عليٍّ والأئمَّة المعصومين عليهم السّلام.[٣]

الرحمة الخاصَّة

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، رحمةٌ خاصَّة لأهل الولاية، ولهم ألطافٌ وتفضُّلات إضافيَّة عليهم.

والحقيقة، إنَّ أهل الولاية هم زُبدةُ البشريَّة - لا الأمَّة الإسلاميَّة فقط - وقد فسِّرت "الرَّحمة" الواردة في بعض الآيات من القرآن الكريم بولاية أهل البيت عليهم السّلام.

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٥٦.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٦٤.

(٣) راجع: مناقب آل أبي طالب: ٢٩٤/٢؛ بحار الأنوار: ١٩٤/٩، الحديث ٤٥ و٦١/٢٤، الحديث ٤٢.

وبعبارة أُخرىٰ، لا شكَّ في أنَّ كلَّ الموجودات تتنعَّم ببركات الأئمَّة عليهم السّلام، ولكنَّ أهل الولاية، وهم المهتدون بالفعل، يتنعَّمون بأعلىٰ نِعم وجود الإمام عليه السّلام وهي الهداية والوصول إلىٰ الكمال، ولهم منازل ومقامات عالية في الدنيا والآخرة.

وقد أُشير إلىٰ هذه الرحمة الخاصَّة في عدَّة آيات من القرآن الكريم، كما في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلىٰ بَنِي إِسْرٰائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِين﴾(١)

وجاء في آية أخرىٰ:

﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)

وفي آية ثالثة:

﴿وَ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٣)

وجاء في آية أُخرىٰ:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْل﴾(٤)

وإليك عدَّة روايات حول هذه الرحمة.

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآيات ٧٦ و ٧٧.
(٢) سورة لقمان (٣١): الآية ٣.
(٣) سورة الجاثية (٤٥): الآية ٢٠.
(٤) سورة النساء (٤): الآية ١٧٥.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُون﴾[١]

قال الإمام الباقر عليه السّلام في ذيل هذه الآية المباركة:

«الإقرار بنبوّة محمد صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله والإئتمام بأمير المؤمنين عليه السّلام هو خيرٌ ممّا يجمع هؤلاء في دنياهُم»[٢]

وعن الإمام الرضا عليه السّلام أنه قال:

«بولاية محمدٍ وآل محمد عليهم السّلام، هو خيرٌ ممّا يجمع هؤلاء من دنياهم»[٣]

والآن، نحاول أن نبيِّن هذه الرحمة الخاصَّة بعبارة أُخرىٰ.

يقول تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ﴾[٤]

فقد جاء في هذه الآية الشريفة، تأكيدان وثلاث شروط. فالآية قد بدأت بكلمة "إنّي" و"اللام" وهما للتأكيد، واشترط فيها: التوبة من الكفر، الإيمان والعمل الصالح، فلا تتحقّق الهداية إلاّ بعد تحقّقها.

وهذه المغفرة الإلهيَّة، هي تلك الرحمة واللّطف الخاصّ، ولا تشمل إلاّ من تحقَّقت فيهم الشروط الثلاث، فلا يكفي التوبة والإستغفار لوحدهما.

وهذا هو تفسير الإستغفار في قوله تعالىٰ ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لا إنَّ مجرَّد الإستغفار بعد رحيل النبي الأكرم صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله وسلم هو الأمان الثاني، لأنَّ اللّه تعالىٰ قد وعد بالمغفرة من تابَ وآمن وعمل صالحاً ثم إهتدىٰ.

---

(١) سورة يونس (١٠): الآية ٥٨.
(٢) تفسير العيّاشي: ١٢٤/٢، الحديث ٢٩؛ بحار الأنوار: ٤٢٥/٣٥، الحديث ٧.
(٣) الكافي ٤٢٣/١، الحديث ٥٥؛ بحار الأنوار ٦١/٢٤، الحديث ٤٠.
(٤) سورة طه (٢٠): الآية ٨٢.

إذن، فهذه الرحمة الخاصَّة إنّما هي لمن آمن باللّه ورسوله، وعمل عملاً صالحاً، ثم إهتدىٰ، وقد جاء في المصادر الروائيَّة السنيَّة والشيعيّة:

«ثمَّ إهتدىٰ إلىٰ ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليهما السّلام»[1]

وفي رواية أُخرىٰ ذُكرت في عدَّةٍ من المصادر المعروفة عند الفريقين، عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«ألا ترىٰ كيف اشترط ؟! ولم ينفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتّىٰ اهتدى، واللّه لو جهد أن يعمل بعمل ما قبل منه حتّىٰ يهتدي.

قلت: إلىٰ من ؟ جعلني اللّه فداك.

قال: إلينا»[2]

بل نقول أكثر من ذلك، فبالنظر الدقيق يُعلم بأنَّ إستغفار غير أهل الولاية، ليس باستغفارٍ أصلاً، بل سيكون لهم عذاباً.

وَالآيَةُ الْمخْزُونَةُ

الأئمة هم الآية المحزونة

وهاتان العبارتان متقاربتان لغةً من حيث المعنىٰ ويحتاج الوصول إلى فهم التفاوت بينهما إلى التأمّل ودقّة النظر.

وفيما يرتبط بكلمة "آية"، فقد بُحث في معناها من جهة المفهوم، كما بحث في مادّتها من جهة الإشتقاق.

---

(١) راجع كتاب الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٨٢ - ٥٨٣، الحديث ٨٠٣؛ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: ١٣٩/١-١٤٠، الحديث ٧٨؛ مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٢؛ بحار الأنوار: ٦٤/٢٤، الحديث ٤٩؛ نظم درر السمطين: ٨٦؛ تفسير جامع البيان: ٢٤٣/١٦، رقم ١٨٢٨٨.

(٢) تفسير القمي: ٦١/٢؛ بحار الأنوار: ١٦٩/٢٧، الحديث ٧؛ ينابيع المودَّة ٣٣٥/١.

قال الراغب الإصفهاني في مفهوم لفظ «الآية»:

«الآية هي العلامة الظاهرة وحقيقته لكلّ ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره. فمتىٰ أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنَّه أدرك الآخر الّذي لم يدركه بذاته إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثمّ وجد العلم علم أنّه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنّه لابدّ له من صانع»[1]

ومن الواضح، إنَّ المتلازمين يجب أن يتّحدا من حيث الحُكم. فلا يمكن أن يكون الشيئان متلازمين ويكون حكمُ أحدهما غير حكم الآخر.

ففي علم الأخلاق، يستفاد من المحسوسات لفهم المعقولات بسبب صعوبة فهمها، فمن المحسوس نصل إلىٰ فهم المعقول، ولذا يقولون:

«ما من معقول إلاّ وله محسوس»

إذن، فإذا علم الإنسان بأنَّ السّير على وفق العلامات والإشارات المنصوبة في الشوارع والطرق، ملازمة للوصول إلىٰ مقصده، فإنَّه سوف لا يتجاوز العلائم ولا يتخطّاها ولا يقصّر في تطبيقها.

والحاصل، إنَّ هناك ملازمة ومطابقة بين العلامة التي يسهل علينا دركها، وبين ذي العلامة الَّذي يخفىٰ أمره ويصعب علينا فهمه.

فمتىٰ ما رأينا العلامة، وعلمنا بوجود الملازمة، فإنّنا نكون في الواقع قد رأينا ذا العلامة.

وهذا هو معنىٰ "الآية".

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٣.

نكتةٌ مهمَّة

ثمَّ إنَّ مخاطبنا في هذه الجملة من الزيارة الجامعة الكبيرة، هم الأئمَّة عليهم السّلام، وفي الكافي باب أنَّ الأئمَّة هم الهداة، فذكر قوله تعالىٰ":

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١] وروايات فسَّرها بالنبي والأئمَّة عليهم السَّلام.

ولكنّ كلمة "الآية" جاءت في الزيارة بصيغة المفرد، فلماذا لم تُذكر بصيغة الجمع كأن يقال: "والآيات المخزونة"؟

إنَّ التعبير بالإفراد فيه نكتة وسرٌّ، وقد جاء مثله في القرآن الكريم في مورد واحد، حيث إستعمل اللفظ بصيغة المفرد في شأن الإثنين، وهو قوله تعالىٰ:

﴿وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[٢]

فلقد إعتبر القرآن الكريم عيسىٰ وأمّه علامةً ودليلاً علىٰ عظمة اللّه وقدرته، ولماذا لم تقل الآية: "آيتين"؟

أجاب الراغب الإصفهاني:

«لأنَّ كلَّ واحدٍ صار آيةً بالآخر»[٣]

أي: إنَّ ولادة عيسىٰ عليه السّلام من مريم بدون أب، من جهة، وحمل مريم بعيسىٰ عليهما السّلام بدون زوج، من جهة أُخرىٰ، آية إلهيَّة واحدة.

إذن، فهي قضيَّة واحدة، لكنها مرتبطة بجهتين، فهي مرتبطة

(١) سورة الرعد (١٣): الآية ٧.
(٢) سورة المؤمنون (٢٣): الآية ٥٠.
(٣) المفردات في غريب القران: ٣٣.

بعيسىٰ عليه السّلام من جهة، ومرتبطة بمريم عليها السّلام من جهة أُخرىٰ، ولذا، فإنَّ كلمة "آية" جاءت بصيغة المفرد.

وهكذا الحال في مقامنا وإستعمال كلمة آية بصيغة المفرد في خصوص الأئمّة عليهم السّلام. فصحيح أنَّ الأئمّة عليهم السّلام هم اثنا عشر عدداً، ولكنّهم واحدٌ في منهجهم، قولهم، فعلهم، دعوتهم وهدايتهم للأُمَّة، ولذا، فإنَّ علينا الإعتقاد بهم جميعاً دون إنقاصٍ أو إضافة، وكأنَّهم إمامٍ واحد، لماذا؟

لأنَّ المقصد هو إمامتهم وكونهم قادةً لنا، وهم متّحدون من هذا الحيث.

ولذا، فإنَّنا في زمان الإمام الثاني عشر عليه السلام، يجب علينا أن نعتقد بأحد عشر إماماً سبقوه، ومن كان في زمن الإمام السادس - مثلاً - عليه أن يعتقد به وبالأئمّة الخمسة الذين سبقوه وبالأئمّة الستّة الذين سيلحقوه.

وكلُّ ذلك، لأنَّ إمامتهم إمامةٌ واحدة، وطريقهم واحد، ودعوتهم واحدة، ولذا، فإنَّ بعض الأحكام قد بلَّغها الإمام السّابق وأوكل بيانها تقييداً أو تخصيصاً أو غير ذلك إلىٰ الإمام اللاّحق، كما أنَّ بعض الأحكام سيبيّنها الإمام الثاني عشر، ولي العصر والزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف. والحال، إنَّ الدِّين واحد والشريعة واحدة. وكما أسلفنا من قبل بأنَّ الحكم الّذي نسمعه من أحد الأئمّة يمكننا نسبته إلىٰ الإمام الآخر، لأنَّ الإمامة، العصمة، المحبَّة ووجوب الإطاعة المطلقة، واحدة في كلِّ هؤلاء الأئمّة عليهم السّلام.

وعلىٰ الجملة، فإنَّ كونهم علامةً وآية للّه سبحانه وتعالىٰ يعني أنَّ كلَّ هؤلاء الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، هم العلامة المنصوبة للوصول إلىٰ معرفة الباري تعالىٰ، وإلىٰ العبوديّة له عزَّوجل، وهو طريق واحد لا غير، لأنَّ الصّراط المستقيم لا يتعدَّد.

ونقرأ في القرآن الكريم:

﴿وَ عَلاٰمٰاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١]

وقد روي عن الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السّلام في ذيل هذه الآية، أن:

«النجم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، والعلامات الأوصياء، بهم يهتدون»[٢]

نعم، إنَّ الأئمّة عليهم السّلام هم الهُداة، وهم وإنْ تعدّدوا ولكنَّ هدايتهم واحدة.

وكما أنّ السّفينة تهتدي إلىٰ طريقها ليلاً بواسطة النجوم، وتطوي مسيرها الصحيح فتصل إلىٰ مقصدها، والسّائح في الصحاري والفيافي يهتدي إلىٰ الطريق من خلال النجوم، كذلك حال الأئمة بالنسبة إلى هذه الأمّة.

والجدير بالذكر هو أنَّ النّبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد شبّه الأئمة المعصومين من أهل البت بالسفينة وشبّههم كذلك بالنجوم، فقد ورد عنه أنَّه قال:

«إنّما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»[٣]

وورد عنه قوله:

«...فإنّما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيِّها أُخذ إهتُدي وبأيِّ أقاويل أصحابي أخذتم إهتديتم....

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ١٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢٥٥/٢، الحديث ٨؛ تفسير القمّي: ٣٨٣/١؛ الكافي: ٢٠٦/١؛ بحار الأنوار: ٨١/٢٤، الحديث ٢٤.

(٣) راجع الجزء الرابع من: نفحات الأزهار.

قيل يا رسول اللّه ! ومن أصحابُك ؟

قال: أهلُ بيتي »[١]

وهذا الحديث رواه أهل السنَّة أيضاً ولكنْ بحذف عبارة: «قيل يا رسول اللّه من أصحابك ؟ قال: أهلُ بيتي »؛ ولكنَّ جمعاً كثيراً من كبار علمائهم كذّبوا هذا اللّفظ المبتور.[٢] وللأسف فإنَّ أحد علماء الشيعة قد نقل هذا الحديث المبتور في كتابه، ونسبه إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله !!

وقد نقل الفخر الرازي عن بعض المذكِّرين[٣] أنه أراد أن يجمع بين حديث "السفينة" الوارد في أهل البيت، وحديث "النجوم" الذي يروونه في الصّحابة، فقال: كما إنَّ المسافر في البحر يحتاج إلىٰ السفينة ليركبها وإلىٰ النجوم ليهتدي بها إلىٰ مقصده، فكذلك المسلمون يحتاجون إلىٰ أهل البيت وإلىٰ الصحابة معاً، وينبغي إحترام الجميع وإطاعتهم.[٤]

ولكنَّ هذا الكلام باطلٌ، وذلك لعدم صحّة "حديث أصحابي كالنجوم" بدون الذيل المذكور، ولوضوح عدم عدالة جميع صحابة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله. بل إنَّ الصحيح هو أنَّ أهل البيت عليهم السّلام هم السفينة، وهم النجوم التي يُهتدىٰ بها.

(١) بصائر الدرجات: ٣١؛ معاني الأخبار: ١٥٦؛ الإحتجاج: ١٠٥/٢؛ بحار الأنوار: ٢٢٥/٢، الحديث ١.

(٢) لمزيد من الإطّلاع راجع رسالة: الصحابة و الحديث: أصحابي كالنجوم بأيّهم اهتديتم اقتديتم، للمؤلّف.

(٣) كان بعض الناس في قديم الزمان يجلسون في محل إجتماع الناس مثل المساجد ويذكرون بعض المطالب الصادقة أو الكاذبة والقصص بدعوىٰ إنّهم يعظون الناس ويذكّرونهم باللّه والآخرة، وقد عرفوا بالقصّاصين أو المذكّرين.

(٤) تفسير الرازي: ١٦٧/٢٧.

لماذا الآية المخزونة؟

ثمّ إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هم "الآية المخزونة"، فكيف يكونون علامات، وفي نفس الوقت هي مخزونة، مع إنَّ العلامة لابدَّ أن تكون ظاهرة، لكي يصل الناس من خلالها إلىٰ ملازمها الخفيّ الّذي لا يمكن إدراكه بسهولة؟

لقد أشار القرآن الكريم إلىٰ هذا الأمر في قوله تعالىٰ:

﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾(١)

أفَهل يمكننا درك حدود الأشياء المخزونة عند اللّه سبحانه وتعالىٰ؟

فقد عبّرت هذه الآية المباركة عمّا عند اللّه تعالىٰ بالخزائن، ولكنَّ الأشياء التي أُعطيت للناس، إنَّما هي "بقدر معلوم" حيث يقول بعد ذلك:

﴿وَما نُنَزِّلُه إلاّ بقَدَرٍ معلومٍ﴾

فهذا المقدار المفاض من تلك الخزائن، هو بحساب وقياس ولحكمة.

فالأئمَّة عليهم السّلام، آية وعلامة، ولكنَّهم في نفس الوقت لم يعرفوا حقَّ معرفتهم، أي إنَّ واقع الأبعاد الوجوديَّة لهم لم ولا يتوصَّل إليه أحد.

وحينئذٍ، فإنَّ كلَّ إنسان يعرف من هذه "الآية المخزونة" ويهتدي بهداها بمقدار ما هو أهلٌ لذلك.

ولذا، فإنَّ مراتب الناس في معرفة اللّه و رسوله و الأئمَّة مختلفة ومتفاوتة، فالجميع عرف الأئمّة عليهم السّلام، ولكنَّ كلَّ واحدٍ منهم قد عرفهم بقدر وسعه.

---

(١) سورة الحجر (١٥): الآية ٢١.

ومن ثمَّ جاء خطاب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين عليّ عليه السّلام:

«يا عليّ ما عرف اللّه إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ اللّه وأنت، وما عرفك إلاّ اللّه وأنا»(١)

فهنا نفيٌ وإستثناءٌ. إنَّ هذا النوع من المعرفة مختصٌّ بـاللّه المـتعال، النبيّ الأكرم والأئمَّة عليهم السّلام.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الطاعة والتعبُّد، فرعُ المعرفة، فالآية تستتبع المعرفة، والمعرفة تستتبع الطاعة والعبادة، فالعبادة والعبوديَّة للّه تـعالىٰ والتـعبُّد بـالأئمّة عليهم السّلام، فرعُ المعرفة.

إنه يجب علينا أن نعرف الأئمَّة عليهم السّلام فيعرِّفونا اللّه تعالىٰ، كما هو الحال في معرفة كلّ ما جعل علامةً، فإنَّه إذا عرفنا العلّامة جيّداً فإنَّنا سنعرف ذا العلامة جيّداً. هذا، وكلما إزدادت المـعرفة، إزدادت الطـاعة، وكـلّ مـا إزدادت الطاعة إزداد القرب، وإنَّه ستترتب علىٰ ذلك آثارٌ وبركات.

فاتّضح أنَّ حقيقة الأئمّة عليهم السّلام سرٌّ مـخزون، وأنَّ مـعرفتهم بـالحدِّ الأعلىٰ غير مقدورةٍ لنا، ولكن يجب علينا أن نحاول قدر إمكاننا ووسـعنا، وأن نسعىٰ لنحصل علىٰ ما يناسب وسعنا واستعدادنا من المعرفة.

وإنّ هذا هو معنىٰ الإمامة، ولذا يقول الإمام الرضا عليه السّلام:

«...إنَّ الإمامة أجلّ قدراً و أعظم شأناً وأعـلىٰ مكـاناً وأمـنع جـانباً وأبـعد

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥؛ تأويل الآيـات: ١٣٩/١، الحـديث ١٨؛ مـدينة المـعاجز: ٤٣٩/٢، الحديث ٦٦٣.

غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم...؛»[١]

وَ الْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ

الأئمة هم الأمانة المحفوظة

فإنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قد جعل الأئمّة عليهم السّلام أمانة عندنا، ولكنّها أمانة كبيرة جدّاً، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾[٢]

وقد ورد عنهم عليهم السّلام في ذيل هذه الآية:

«هي ولاية أمير المؤمنين»[٣]

واللّه سبحانه وتعالىٰ، هو الّذي حفظ تلك الأمانة، أليس القرآن الكريم أمانةً بيد هذه الأُمّة؟ ومع ذلك يقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[٤]

فاللّه تعالىٰ، جعل الأئمّة عليهم السّلام بين الناس، فهم يجلسون مع الناس ويقومون، وإنّ الناس يتمكنون بسهولة من الحديث معهم والإستفادة من علومهم

---

(١) الكافي: ١٩٩/١، الحديث ١؛ الأمالي، الشيخ الصدوق، ٧٧٤، الحديث ١؛ بحار الأنوار ١٢١/٢، الحديث ٤.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٧٢.

(٣) الكافي: ٤١٣/١، الحديث ٢.

(٤) سورة الحجر (١٥): الآية ٩.

وهديهم، ولكنّ السبب في حرمان الأُمّة من قيادة الأئمّة وتركت وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله بهم وهجر القرآن.

وإذا كان الإمام الثاني عشر وليُّ العصر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف غائباً وليس من السهل الوصول إليه من قبل الناس، ليستفيدوا منه كما كان بإمكان أصحاب الأئمّة في زمانهم أنْ يتشرّفوا بخدمة الأئمّة الكرام - فإنَّ هذا بسبب تقصير الناس أنفسهم.

ولكنَّ اللّه تعالىٰ قد تعهّد بحفظ الأئمّة عليهم السّلام، وليس المراد من حفظهم هو سلامة أجسامهم ودفع الخطر عنهم والإبقاء على حياتهم، فإنّ هذالم يكنّ حتى بالنسبة إلى الأنبياء، وإنَّما حفظهم بحفظ شخصيّاتهم الكريمة.

إنَّ شخصيَّة كلِّ إنسان قائمةٌ بمبانيه الإعتقاديّة وعلومه، أعماله وأخلاقه، فالإنسان يتجلّىٰ في هذه الأبعاد الثلاثة، ويُعرف من خلالها.

فإذا إجتمعت هذه الأبعاد الثلاث في الشخص، كمُلت شخصيَّتُهُ.

وقد وجدت المرتبة الأعلىٰ من هذه الأبعاد الثلاث في شخصيَّة الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، فهل قدر أحدٌ لحدِّ الآن علىٰ إيراد خدشة مهما كانت صغيرة علىٰ شخصيّة أئمتنا الكرام، سواء في مبانيهم الإعتقاديَّة، أو في أفعالهم وتروكهم، أو في صفاتهم وملكاتهم؟

كلّا، فحتّىٰ أعداءُ أهل البيت قد أقرّوا وأذعنوا بتوفر هذه الجهات الثلاث بأعلىٰ مستوياتها في أئمّتنا عليهم السّلام، فخضع لهم حتى أُولئك الذين لم يتبعوهم وخالفوا منهجهم.

إذن، فشخصيَّة الأئمّة عليهم السّلام محفوظة، حتّىٰ وإنْ لم تكن شخوصهم محفوظة، وإنَّهم إستشهدوا سلام اللّه عليهم.

وعليه، فإنّنا دائماً متمكّنون من الوصول إليهم والأخذ منهم والإقتداء بهم، واللّه تعالىٰ حافظهم.

وأمّا في زمن الحضور، فإنّ على جميع المسلمين المحافظة على حياة رسول الله والأئمة الطّاهرين، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[١]

وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٢]

وحفظ حضرات الأئمّة الأطهار في هذا الزمان، يكون من خلال:

١- حفظ "الولاية"، فإنَّ ولاية الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، أمانة بأيدينا، وهي أغلىٰ وديعة عندنا، والتي بذل سلفنا النفيس من أموالهم وأرواحهم الطّاهرة في سبيل المحافظة عليها وإيصالها إلينا.

٢- المحافظة علىٰ تعاليم الأئمّة ومعارفهم وآدابهم عليهم السّلام، في الأقوال، الأفعال، الصفات، والمباني الإعتقاديّة، بالأخذ بها ونشرها بين الناس، ومن ثمَّ جاء عن الصّادق عليه السّلام أنه قال:

«كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»[٣]

(١) سورة التوبة (٩): الآية ١٢٠.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ٥٨.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٨٤، الحديث ٦٥٧؛ بحار الأنوار: ١٥١/٦٥، الحديث ٦.

وعن زيد الشحّام قال، قال الصادق عليه السّلام:

«يا زيد! خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإنْ إستطعتهم أن تكونوا الأئمّة والمؤذّنين فافعلوا، فإنّكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفريّة، رحم اللّه جعفراً، ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفريّة، فعل اللّه بجعفر، ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه؛»(١)

نعم، إنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قد تعهَّد بحفظ الأئمّة عليهم السّلام من جهة الشخصيَّة، كما تعهد وضمن حفظ القرآن الكريم، فكما إنَّ أحداً لا يمكنه المسّ بالقرآن الكريم منطقيّاً، فكذلك لا يمكن لأحد أن يمسَّ شخصيَّة الأئمّة الأطهار عليهم السّلام بأيِّ خدشة في شخصيّاتهم.

وأوَّل من حاول النيل من شخصيَّة الرسول الأعظم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بعد رحيله وبصورةٍ صريحة وعلنيّة، ثمّ هو معاوية بن أبي سفيان حاول الطعن في شخصيَّة الأئمة الأطهار الكرام. وأصدر أوامره بلعن أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنابر.

ولكنَّ كبار بني أُميَّة قد إعترفوا بأنَّهم مهما حاولوا في أهل البيت لم يرجع عليهم إلاّ بالخيبة وبزيادة عزَّة أهل البيت وإعظامهم.

ولذا، فإنَّ معاوية قرَّر والقضاء عليهم جسديّاً، تصفيتهم فتواطأ مع الخوارج فقتل أمير المؤمنين عليه السّلام.

وهكذا خطَّط لقتل الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام والإمام الحسين سيد الشهداء عليه السّلام، كلٌّ علىٰ حِدة، بالتواطىء بين الأُمويين والخوارج.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٨٣/١، الحديث ١١٢٨؛ وسائل الشيعة: ٤٣٠/٨، الحديث ١.

ولا يخفىٰ، إنَّ أمير المؤمنين، الإمام الحسن المجتبىٰ وسيد الشهداء عليهم السّلام، قد فضحوا الأمويّين، بسيرتهم ثمّ باستشهادهم، وكان عمل كلٍّ واحدٍ من هؤلاء الأطهار مكمّلاً لدور، فأطاحوا ليس فقط بكيان بني اُميَّة، بل وحتّىٰ كيان من مهّد لهم للتسلّط على رقاب المسلمين وأجلسهم قسراً علىٰ كرسيّ الحكم.

هذا في حال حياتهم.

وكذلك الحال باستشهادهم على يد الأمويين والخوارج، خاصّةً قضيّة أبي‌عبدالله الحسين عليه السّلام وواقعة الطف الفجيعة، ولذا، فإنَّنا نجد إنَّ أعداء أهل البيت عليهم السّلام، حاربوا ويحاربون مراسم عزاء الحسين سيد الشهداء عليه السّلام، ويقولون: إنَّ هذه المراسم تقترن بلعن بني اُميَّة ومعاوية، فإذا ما فتح باب لعن معاوية فإنَّه سيؤدّي إلىٰ لعن من تقدّم ومن أسّس أساس الظلم.

ومن هنا كان حفظ مراسم عزاء الإمام الحسين عليه السّلام، والاستمرار عليها من جملة تكاليف الموالين لأهل البيت وبذلك أفتى فقهاء مدرستهم.

وَ الْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ
مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ

«الإبتلاء» لغةً

الإبتلاء يعني الإختبار. قال الراغب الإصفهاني:

«بلوتُه: إختبرته»

ثم قال:

«إذا قيل: إبتلىٰ فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمّن أمرين:

أحدهما: تعرّف حاله والوقوف علىٰ ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورَداءته.

وربما قصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما.

فإذا قيل في اللّه تعالىٰ بلا كذا، أو أبلاه، فليس المراد إلاّ ظهور جودته ورداءته دون التعرّف لحاله... إذ كان اللّه علّام الغيوب، وعلىٰ هذا قوله عزَّوجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾»(١)

ومعنىٰ "الباب" معروف، فهو اللّفظ الذي يقال لمدخل الأمكنة، كباب البيت والدار والمدينة وغيرذلك.

ويطلق "الباب" علىٰ طريق الوصول إلىٰ العلم، فيقال مثلاً:

فلانٌ باب الفقه.

وبحسب ما جاء في الروايات، فإنَّ الأئمّة عليهم السّلام هم أبواب "اللّه"، "الإيمان"، "العلم" و"التُقىٰ"، وإنَّ من أراد الوصول إلىٰ اللّه، الدين، العلم وسائر الحقائق الدينيّة، لا يمكنه الوصول إليها إلاّ من خلال طريق الأئمّة عليهم السّلام، فلا طريق سواهم، ولا باب غيرهم، فإنَّ اللّه تعالىٰ يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(٢)

ولكنَّ هذه العبارات الواردة في الزيارة الجامعة، قد جعلت الأئمّة عليهم

(١) المفردات في غريب القرآن: ٦١.
(٢) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٩.

السّلام باب إمتحان الناس - لا في هذه الأُمَّة فقط بل في كلِّ الأمم البشريّة - وهو إشارة علىٰ ما يظهر، إلىٰ ما وقع في بني إسرائيل.

فالقرآن الكريم يحكي لنا هذه الحقيقة حيث يقول تعالىٰ:

﴿وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنٰا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ﴾(١)

فالآية تُشير إلىٰ إنَّ بني إسرائيل قد أُمروا بأن يدخلوا الباب - وهو باب بيت المقدس - ساجدين، وأن يستغفروا ويعتذروا مما صدر منهم من خطايا، ليُغفر لهم، ولكنّهم إمتنعوا من إمتثال هذا الأمر وحرَّفوا الأمر الإلهي وقالوا غير ما أُمروا بقوله، فاستحقّوا العذاب.

فالإمتحان سنّة إلهيَّة وقانون عامّ في كلِّ الأمم وعلى ذلك تدلّ الآيات القرآنيّة، وهذه الأُمَّة الإسلاميَّة أيضاً مشمولة بهذه السنَّة الإلهيَّة.

يقول عزّوجلّ:

﴿إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٢)

ويقول القرآن الكريم:

﴿أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَهُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰاذِبِينَ﴾(٣)

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٥٨ و٥٩.

(٢) سورة الكهف (١٨): الآية ٧.

(٣) سورة العنكبوت (٢٩): الآية ٢ و٣.

وطبقاً لما جاء في الأحاديث التي نقلها السُنَّة والشيعة، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«يكون في هذه الأُمَّة كلُّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل و [حذو] القذَّة بالقذَّة»(١)

فإنّه نصَّ على أن كلّ ماجرى في بنى إسرائيل خاصّةً سيقع في هذه الأمّة في جريان ما جرىٰ في بني إسرائيل علىٰ هذه الأُمَّة أيضاً.

ومن ثمَّ نجد أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله -وطبقاً للرواية المشهورة- قد شبَّه أمير المؤمنين عليّاً وأهلَ بيته عليهم السّلام، بباب حطّة في هذه الأُمَّة، فقال:

«عليٌّ بابُ حطَّة»(٢)

إذن، فلابدَّ أن تكون هناك ضابطةٌ في الإمتحان والإختبار ليمتاز المحسن عن المسيء، والصّادق عن الكاذب، وهذه الضابطة في هذه الأمّة هم أهل البيت عليهم السّلام، فهم الميزان الفاصل بين الحقِّ والباطل.

وبطبيعة الحال، فإنَّ قاعدة العدل تقتضي أن يثاب الأخيار علىٰ أعمالهم ويعاقب الأشرار علىٰ سيِّئاتهم، فلا يتساوىٰ الفريقان، لأنَّ المساواة بين الأشرار والأخيار، والعاصين والمطيعين، مخالفٌ لحكم العقل وقاعدة العدل، وحاشا للّه من ذلك، فلا يجوز أن يكون الطّائفتان في مستقّر واحدٍ في يوم القيامة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢٠٣/١، الحديث ٦٠٩؛ معاني الأخبار: ٣٣؛ تفسير مجمع البيان ٤٠٥/٧؛ بحار الأنوار: ٢٨٤/٣٦؛ ينابيع المودّة: ٢٨٣/٣؛ ورُوي هذا الحديث بتفاوت طفيف في تاريخ دمشق.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق ١٣٣، الحديث ١٢٦؛ بحار الأنوار: ١١٩/٢٣، الحديث ٣٩؛ مجمع الزوائد: ١٦٨؛ المعجم الصغير: ٢٢/٢.

إذن، فالملاك للتمييز والتفريق هم الأئمّة عليهم السّلام، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حديث الثقلين:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلّوا»[١]

إذن، فالقرآن والعترة هما الميزان الّذي يميِّز الضالّين من المهتدين، ومن الواضح، إنّه أينما كان أهلُ البيت عليهم السّلام، كان القرآن موجوداً، فيمكن القول حينئذٍ بأنَّ العترة هم الملاك وهم بابُ حطّة، وقد أُشير إلىٰ ذلك في الأحاديث الأُخرىٰ أيضاً.

ومن هذا الباب ما رواه كبار علماء العامّة، كالدار قطني، الحاكم النيشابوري، الطبراني، أبوبكر البزّار، أبو نعيم الإصفهاني وغيرهم في ذيل الآية المباركة:

﴿وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّة﴾[٢]

وعن سليمان الجعفري قال: سمعتُ من الإمام الرضا عليه السّلام في هذه الآية قال: قال الباقر عليه السّلام:

«نحن بابُ حطَّتكُمْ»[٣]

وفي حديث آخر جاء في المصادر الشيعيَّة والسنيَّة، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) راجع الأجزاء الثلاثه الأُولى من نفحات الأزهار.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٥٨.

(٣) تفسير العياشي: ٤٥/١، الحديث ٤٧؛ بحار الأنوار: ١٢٢/٢٣، الحديث ٤٦؛ شواهد التنزيل: ١٥٨/٢.

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له»(١)

وفي روايات كثيرة ورد تشبيه أهل البيت عليهم السّلام بسفينة نوح عليه السّلام وباب حطَّة في سياق واحد وسند واحد، وإنَّ حُكم الأئمّة هو حكم سفينة نوح من جهة وحكم باب حطَّة من جهة أُخرىٰ.(٢)

لماذا الإمتحان؟

وبديهيٌّ، أنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ يعرف الخلائق فرداً فرداً، فقدْ جاء في الآية الشريفة:

﴿أَ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ﴾(٣)

نعم، إنَّ اللّه تعالىٰ هو الّذي خلق الخلائق، وإنّه يعرفها ويعلم بما خلق وكيف خلقه يقول سبحانه:

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مٰا فـي صُدُورِكُمْ وَلِيمَحِّصَ مٰا فـي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ﴾(٤)

إنّه «يبتلي» و«يمحّص» وهو «عليمٌ» لماذا؟

نقول في الجواب: إنه يمكن أن يكون لأغراضٍ مختلفة، وفي القرآن الكريم

---

(١) الغيبة، النعماني: ٤٤؛ الأربعين، الماحوزي: ٧٤؛ بحار الأنوار: ١١٩/٢٣، الحديث ٣٨؛ ينابيع المودَّة: ٢٥٢/٢.

(٢) راجع كتاب كفاية الأثر: ٣٤؛ الأمالي، الشيخ المفيد: ١٤٥، الحديث ٥؛ كنز الفوائد: ٢١٥ بحار الأنوار: ٢٩٢/٣٦ و٢٩٣، الحديث ١٢٠؛ مجمع الزوائد: ١٦٨/٩؛ المعجم الصغير: ١٤٠/١ و٢٢/٢؛ المعجم الأوسط: ٨٥/٦؛ نظم درر السمطين: ٢٣٥.

(٣) سورة الملك (٦٧): الآية ١٤.

(٤) سورة آل عمران (٣): الآية ١٥٤.

إشارات إلى ذلك، ويكفى أنْ نقول هنا: بأن الله يريد أنْ يعطي العباد نتيجة أعمالهم بأيديهم، إنْ كان خيراً أو كان شرّاً.

ولذا، يجب إقامة الحجّة عليهم، وإتمام هذه الحجّة لكي لا يكذّب أهل الضلالة ويقولوا: لم نفعل ذلك، ولم نكن كذلك.

يقول القرآن الكريم في هذا الباب:

﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١)

وبناءاً علىٰ ما مرَّ، فإنَّ الأئمَّة هم المعيار، الميزان ووسيلة الإمتحان.

وقد ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السّلام:

«بليّة الناس علينا عظيمة، إنْ دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإنْ تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»(٢)

وهذا كلامٌ مهمٌّ جدّاً، فهذا هو حال الناس في كلّ زمان، وهو حال عجيب، وقد أفاد عليه السّلام ـ في هذا الكلام ـ أمرين، أحدهما: إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هم وسيلة.

وهذا ما نصّ عليه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حديثٍ يخاطب أمير المؤمنين عليه السّلام ويقول:

«ألا إنّك المبتلىٰ بك، أما إنّك الهادي لمن اتّبعك، ومن خالف طريقتك ضلَّ إلىٰ يوم القيامة»(٣)

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ١٦٥.

(٢) الإرشاد: ١٦٧/٢و١٦٨؛ كشف الغمّة: ٣٣٩/٢؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٢٦، الحديث ٢٥.

(٣) مناقب الإمام الحسين عليه السّلام: ٥٥٥/٢؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٧٩، الحديث ١٠٤٧؛ بحار الأنوار: ٣٩/٣٨، الحديث ١٦.

ثم إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد وصف نفسه ـ في الحديث الثابت المشهور ـ بـ«مدينة العلم» وجعل عليّاً هو «الباب» لها، ولتوضيح هذا الحديث لابدّ من بيان أمرين:

١- إنّ الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة ودرجات الجنّة منوطة بالعلم والمعرفة، ولا يحصل شئ من ذلك مالم يوجد العلم والمعرفة.

وبطبيعة الحال، فإنّ علىٰ كلِّ إنسان أن يسعىٰ بمقدار وسعه وراء كسب العلم والمعرفة، فالجهل لا يوصل الإنسان إلىٰ النجاة والهداية، مع إنَّ تعامل اللّه تعالىٰ مع الجاهل القاصر يختلف عن حسابه للجاهل المقصِّر، فالمقصِّر مذموم عقلاً وشرعاً.

فكلُّ الأمور إذن، مرهونة بالعلم، ومنزلة الإنسان عندالله، في الدنيا والآخرة، إنما تكون بمقدار علمه ومعرفته.

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«قيمة كلِّ إمرئٍ ما يُحسِنُهُ»(١)

٢- إنَّ المعارف والعلوم كلّها عند رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، في أعلى مراتبها، بلاخلافٍ بين المسلمين، وعليه، فكلّ للدنيا وللآخرة، هي موجودة عند رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآلهو سلم، وإنّما تكون بواسطته.

وإذا كان كذلك، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد نصَّ على أنْ لا طريق للوصول إليه، ولا باب للدخول في معارفه وعلومه وتعاليمه إلّا عليٌّ أميرالمؤمنين، إذ قال:

---

(١) نهج البلاغة: ١٨/٤، الحكمة ٨١؛ بحار الأنوار: ١٨٢/١، الحديث ٧٧.

«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[١]

هذا، وهنا فائدة لا بأس بذكرها، وهي: إنه قد ورد في القرآن الكريم عنوانان متفاوتان في المعنىٰ وهما عنوان "المدينة" وعنوان "القرية"، وكلّما أراد القرآن بيان الخراب المعنويّ عبّر عنه بالقرية، كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً قَرْيَةً كٰانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهٰا رِزْقُهٰا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّٰهِ فَأَذٰاقَهَا اللّٰهُ لِبٰاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمٰا كٰانُوا يَصْنَعُون﴾[٢]

وفي آية أُخرىٰ:

﴿وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا فَجٰاءَهٰا بَأْسُنٰا بَيٰاتاً أَوْ هُمْ قٰائِلُونَ﴾[٣]

وكلّما أراد القرآن الكريم بيان العمار المعنوي، عبّر عنه بالمدينة، حتّىٰ وإنْ لم تكن عامرة من الجهة الماديّة، يقول تعالىٰ:

﴿وَ جٰاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُون﴾[٤]

وفي آية أُخرىٰ:

﴿قٰالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهٰا أَزْكىٰ طَعٰاما﴾[٥]

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق ٤٢٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٧٢/١، الحديث ٢٩٨؛ الإرشاد: ٣٣/١؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٧٧، الحديث ١١٩٤؛ بحار الأنوار: ٦٠٢/٢٩؛ المستدرك على الصحيحين: ١٢٦/٣؛ المعجم الكبير: ٥٥/١١؛ الإستيعاب: ١١٠٢/٣؛ شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١٦٥/٩؛ الجامع الصغير: ٤١٥/١؛ كنز العمّال: ١٤٧/١٣، الحديث ٣٦٤٦٣؛ فيض القدير: ٦٠/٣، الحديث ٢٧٠٥.

(٢) سورة النحل (١٦): الآية ١١٢.

(٣) سورة الأعراف (٧): الآية ٤.

(٤) سورة الحجر (١٥): الآية ٦٧.

(٥) سورة الكهف (١٨): الآية ١٩.

ففي الحديث الآنف الذكر، نجد إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يُعبِّر عن نفسه الشريفة بالمدينة والمكان العامر، لتوفُّره علىٰ كلِّ المعنويّات اللازمة لصلاح البشريَّة وهدايتها.

ولكنَّ هذه المدينة العامرة ليس لها إلاّ بابٌ واحد لمن أرادها، فمن رام الحصول علىٰ تلك المعنويّات والمنازل والمراتب، عليه أن يأتي المدينة من هذا الباب.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(١)

إذن، فمن تقدَّم نحو أهل البيت وجاءهم يسعىٰ، كان من أهل النَّجاة، ومن تخلَّف عنهم وتركهم، كان من أهل الشّقاء والهلكة، وأيّ هلكة بعد حرمان الإنسان من المعنويّات والهداية بالكامل؟

تُرىٰ، إلىٰ ماذا يؤول أمر أُولئك الذين إختاروا لأنفسهم طرقاً أُخرىٰ غير طريق أهل البيت عليهم السّلام؟

حقّاً إنَّهم إنقطعوا عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

إنَّ مثل هؤلاء، ولكي يتخلّصوا من الهلكة -بزعمهم- إضطرّوا إلىٰ تكذيب هذا الحديث الشّريف وإهانة رواته والإفتراء عليهم، ولمّا لم ينفعهم ذلك عمدوا إلى التصرّف في لفظه، فاختلقوا أبواباً متعدّدة لهذه المدينة المحمّديَّة جعلوا لها سقفاً، وجُدُراً ومحراباً، فقالوا:

(١) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٩.

«وعثمانُ سقفُها وعمر وأبوبكر حيطانُها (!!)»[١]

نعم، لمّا رأى القوم أن الخلفاء الذين نصبوهم ليسوا مؤهلين لأن يكونوا باباً لمدينة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، لجهلهم حتّى بأبسط المسائل الشّرعيّة لجأوا إلى التحّريف والكذب والوضع، وقاموا بهتك الرّواة للحديث الصّحيح الثابت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقد ذكر العلماء أنَّ الحاكم النيشابوري ـ وهو المحدّث الأكبر في مدينة نيشابور ـ لمّا روى حديث "مدينة العلم" المشهور، بل المتواتر،[٢] هجم الناسُ علىٰ داره وكسَّروا باب منزله وكرسيٍّ درسه وخدشوا كتابه المستدرك، وصيَّروه جليس الدار.[٣]

فائدة

قد تكون جملة: «من أتاكم نَجا ومن لم يأتكم هلك» متعلّقة بالجملة السابقة عليها، ويجوز جعلها جملةً مستقلّة مستأنفة.

وعلىٰ أيّ حال، فهذه حقيقة دلَّت عليها الروايات الكثيرة، ويكفي لإثباتها ما روينا عن زرارة رحمه الله قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السّلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة علىٰ جميع الخلق؟

---

(١) راجع كتاب: تاريخ مدينة دمشق: ٢٠/٩؛ كشف الخفاء: ٢٠٤/١؛ لسان الميزان: ٤٢٣/١ ولمزيد من الإطّلاع راجع: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، ج١٠.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٢٦/٣و١٢٧.

(٣) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: مقدّمة الجزء العاشر.

فقال: إنَّ اللّه تعالىٰ بعث محمَّداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إلىٰ النـاس أجـمعين رسولاً وحجَّةً للّه علىٰ جميع خلقه في الأرض، فمن آمن باللّه وبمحمَّد رسول اللّه واتبعه وصدَّقه، فإنَّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه، ومن لم يؤمن باللّه وبرسوله ولم يتّبعه ولم يصدّقه ويعرف حقَّهما، فكيف تجب عليه معرفة الإمـام وهـو لا يؤمن باللّه ورسوله ويعرف حقَّهما؟

قال قلت: فما تقول في من لا يؤمن باللّه ورسوله ويصدّق رسوله في جميع ما أنزل اللّه، أيجب علىٰ أُولئك حق معرفتكم؟

قال: نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟

قلت: بلىٰ.

قال: أترىٰ أنَّ اللّه هو الّذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ واللّه ما أوقـع ذلك في قلوبهم إلاّ الشيطان، لا واللّه ما ألهم المؤمنين حقّنا إلاّ اللّه؛»[١]

(١) الكافي، ١/١٨٠، الحديث ٣.

إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ.

سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ، وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ.

مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، وَمَنْ خَالَفَكُمْ

فَالنَّارُ مَثْوَاهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فَهُوَ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ.

أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ، وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، خَلَقَكُمْ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمُ اللَّهُ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ،

وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَـايَتِكُمْ، طِـيباً لِـخَلْقِنَا، وَطَـهَارَةً لِأَنْفُسِنَا، وَتَزْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا، فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ، وَأَعْـلَى مَـنَازِلِ الْـمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَـعَ دَرَجَاتِ الْـمُرْسَلِينَ، حَـيْثُ لَـا يَـلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَـفُوقُهُ فَـائِقٌ، وَلَـا يَسْـبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِـهِ طَـامِعٌ،

حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُـقَرَّبٌ، وَلَـا نَـبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِـيٌّ وَلَـا فَـاضِلٌ، وَلَـا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَـيْنَ ذَلِكَ شَـهِيدٌ، إِلَّـا عَـرَّفَهُمْ جَـلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَـمَامَ نُـورِكُمْ، وَصِـدْقَ مَـقَاعِدِكُمْ، وَثَـبَاتَ مَـقَامِكُمْ، وَشَـرَفَ مَـحَلِّكُمْ وَمَـنْزِلَتِكُمْ عِـنْدَهُ، وَكَـرَامَـتَكُمْ عَـلَيْهِ وَخَـاصَّتَكُمْ لَـدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ.

إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ

قبل الورود في شرح هذا المقطع الشريف من الزيارة، ينبغي التذكير بثلاث نقاط:

١- لقد جاءت هذه المعاني سابقاً في الزيارة الجامعة، حيث قرأنا آنفاً:

السَّلامُ علىٰ الأئمَّةِ الدُّعاةِ والقادَةِ الهُداةِ...

ولكن، في هذا المقطع خُصوصيّة زائدة عمّا في المقطع السابق، فالفقرة السابقة ذكرت أنَّ هناك "دعوة"، والأئمة «دعاة»، و هذه الفقرة تذكر أنَّ هذه الدعوة خاصَّة فهي دعوة إلىٰ اللّه فقط، وهكذا العبارات الأُخرىٰ في هذا المقطع، ولذا، فإنَّ الجاروالمجرور في هذه الفقرات متقدّم، وهو يدلُّ علىٰ الحصر، فمحذور التكرار مندفعٌ.

٢- جاءت كلُّ عبارات هذا المقطع بصيغة المضارع، وقد ثبت في محلِّه بأنّ الفعل المضارع يدلُّ علىٰ الدوام والإستمرار.

٣-إنَّ الضمائر في هذه العبارات، كلّها تعود إلىٰ لفظ الجلالة، وهذا يعني أنّ كلّ سعي حضرات الأئمَّة عليهم السّلام لله، وأنهم قد فنَوا في الله، وأنهم الواسطة بينه سبحانه وتعالىٰ وخلقه.

إذن، فالأئمَّة عليهم السّلام لم يدعوا الناسَ إلىٰ أنفسهم أبداً، ولم يعتبروا أنفسهم في عَرض اللّه عزَّوجلّ، وإنَّ كلَّ ما أرادوه فهو للّه عزَّوجل، وكلّما فعلوه فهو بأمر اللّه تعالىٰ، وكلَّ أحكامهم هي قول اللّه عزَّوجل، فأرادوا أن يوجِّهوا الناس إلىٰ اللّه فقط، وإلىٰ العمل بأحكامه وإمتثالها.

فالأئمَّة عليهم السّلام هم الواسطة بين اللّه عزَّوجلّ وبين خلقه، ولقد كانوا ولا زالوا هكذا في جميع العوالم.

الدعاة إلىٰ اللّه

وقد ذكرنا في مباحث الإمامة أنّ المقصود بـ«الإمام» هو الذي يخلف «النبيّ» ويقوم مقامه ويسدّ الفراغ الحاصل بموته، وكذلك كان أئمتنا عليهم السّلام، فقد أدّوا كلّ وظائف الرسول الأعظم وتحمّلوا جميع مسئوليّاته صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولذا فإنَّهم بالضرورة يتَّصفون بكلِّ صفات ومقامات النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ما عدا النبوَّة.

ولا شك أنّ أوّل وظائف رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله هي الدعوة إلىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَ داعِياً إِلَى اللّه ...﴾

وفي آية أخرىٰ، يخاطب اللّه تعالىٰ رسولَه الكريم بقوله:

﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[١]

والأئمَّة عليهم السّلام كانوا مكلَّفين بنفس هذا التكليف وبالقيام بهذه المهمَّة، وهم المراد من ﴿وَمَنِ إتَّبَعَنِيْ﴾ كما عن الأئمَّة عليهم السلام، فقد روى سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السّلام أنه قال:

«ذلك رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأمير المؤمنين والأوصياء عليهم السّلام من بعدهما»[٢]

وهذه الدعوة هي خير الدعوات وعلىٰ رأسها وأحسنها، يقول تعالىٰ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣]

ومن أحسن قولاً من الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأحسن دعوةً للناس بأحسن القول إلىٰ اللّه تعالىٰ منهم؟

ومَن مِنَ الناسِ كان له عمل صالح كالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام؟

نعم، إنَّ هؤلاء هم سادة المسلمين، ولذا جاء في تفسير هذه الآية بأنَّ المراد منها هو أمير المؤمنين عليه السّلام، لكونه المصداق الأتمّ لعنوان الإسلام و المسلمين.[٤]

---

(١) سورة يوسف (١٢): الآية ١٠٨.

(٢) الكافي ٤٢٥/١، الحديث ٦٦؛ مناقب آل أبي طالب: ٤٨٦/٢؛ بحار الأنوار: ٢١/٢٤، الحديث ٤٢.

(٣) سورة فصّلت (٤١): الآية ٣٣.

(٤) راجع تفسير العيّاشي: ٢١٢/١، ضمن الحديث ١٧٩.

وإنْ كان المراد من «وقال إنّني مِنَ المُسلمينَ» هو مقام التسليم، حيث ورد عنه عليه السّلام:

«الإسلام هو التسليم»[١]

فـالأئمّة أيـضاً هـم عـلىٰ رأس أهـل التسـليم، كـما جـاء فـي الزيـارة: «وله تُسلّمون»

الأئمّة ومقام التسليم

لأنّ الأئمّة عليهم السّلام يهدون الناس إلىٰ اللّه تعالىٰ ويُدلّونهم عليه وهـم مسلّمون أمرهم إلىٰ اللّه تعالىٰ، ومقام التسليم مقامٌ عظيم، وشرحُه مـفصّل فـي الكتب الأخلاقيّة لمدرسة أهل البيت عليهم السّلام.

فالإنسان إذا ما سلّم أمره إلىٰ اللّه تعالىٰ، لم يعد يرىٰ نفسه شيئاً في قبال اللّه، ولا إرادة له أمام إرادة اللّه، وحينئذٍ تكون إرادته، قوله وعمله إلهـيّاً، ومـثل هـذا الشخص لن يشعر بالوحدة والوحشة والإكتئاب، ولا يبالي بإعراض الناس عنه، ولن يكون لإعراضهم عنه أيَّ تأثير في سلوكه.

وقد جاء عن الإمام السجّاد عليه السّلام، قال:

«جهلوا -واللّه- أمْر اللّه وأمر أوليائه مَعَه، إنّ المراتب الرفيعة لا تُـنال إلاّ بالتسليم للّه جلّ ثناؤه وترك الإقتراح عليه والرضا بما يُدبّرُهم به...»[٢]

إنّ مقام التسليم أعلىٰ من مقام الرضا، وقد بلغ الأئمة أعلى مراتب الرّضـا

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ١٢٥.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٣٩؛ بحار الأنوار: ٢٢/٤٦.

والتسليم، ولذا فإنهم عليهم السّلام لايريدون إلّا مايريد ولا يفعلون شيئاً من عند أنفسهم، بل يعملون بما يؤمرون من قبل اللّه تعالىٰ فيرشدون إليه، ويحكمون بقوله، بل إنّ كلّ أُمورهم إلٰهيّة، فأين من حالاتهم حال المخالفين لهم؟ وما عمل الآخرين ممّن يدّعى له العلم والمعرفة إلّا كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً!!

فعلى المؤمن الذي يطلب المعارف الإلهيّة ويرجو الفلاح والهداية والنجاة في الآخرة أنْ يتّبع أهل البيت ويترك الطريق الآخر، وقد كررّنا أنْ لاطريق ثالث.

هذا، ولا يخفىٰ أنه لو رفع الإنسان يده عمّا يريد و سلّم أمره للّه، أعطاه الله ما يريد، وهذا ما وعد اللّه به المسلّمين كما جاء في الرواية عن الأئمَّة الأطهار عليهم السَّلام من أنَّ اللّه تعالىٰ خاطب داود النّبي عليه السَّلام فقال:

أنت تريد و أنا أريد، فإنْ سلَّمت إليّ في ما أُريد أعطيتك ما تريد، وإلاّ أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلاّ ما أُريد.

الأدلّاء علىٰ الله

وإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هم الأدلّاء علىٰ اللّه، دون غيرهم، وقد قرأنا في فقرة سابقة: «أدلّاء علىٰ صراطه»

إنَّ الدلالة علىٰ اللّه والهداية إلى صراطه من خصوصيّات الأئمَّة عليهم السّلام فقط، وذلك -كما هو المفهوم من الإطلاق في العبارة- لأنَّ كلّ أقوالهم، أفعالهم

وحالاتهم، كانت للّه وتدلُّ عليه وتدعوا إليه، وخاصَّة حالاتهم في العبادة وما كانوا عليه من الخضوع والخشوع لله العلّي الكبير، تلك الحالات التي لم يكن أحدٌ مثلهم فيها، ولا شكَّ في تأثير الأفعال والحالات السلوكيَّة في الدلالة علىٰ اللّه، والهداية إلىٰ الحقّ، بل هي أكثر وقعاً من الأقوال، ومن هنا أوصىٰ الإمام عليه السّلام شيعته قائلاً:

«كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم»

العاملون بأمر الله

ولقد كان الأئمّة عليهم السّلام عاملين بأمرالله، بل كانت إرادة الله متجليّة في أعمالهم كما قال تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ * لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون﴾(١)

ومن هنا صحّ أنْ تنسب أفعالهم إلى الله كما تنسب أفعال النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأفعال الملائكة المقرّبين، قال الله سبحانه:

﴿وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمى﴾(٢)

وحتّىٰ في البيعة لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فقد أضيفت البيعة لله عزّوجلّ إذ يقول:

﴿إِنَّ الَّذينَ يُبٰايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰه﴾(٣)

( ) حاشية مجمع الفائدة والبرهان: المقدّمة.

(١) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الأنفال (٨): الآية ١٧.

(٣) سورة الفتح (٤٨): الآية ١٠.

الحاكمون بقول اللّه

وكذلك حكم الأئمَّة عليهم السّلام، إنّما هو بقول اللّه تعالىٰ، لا إنّه مطابق لميلهم، ولا هو علىٰ أساس الرأي والقياس والإستحسان، كما هو حال أرباب المذاهب الأُخرىٰ، والتي أسّستها الحكومات ورعتها وقّدمت لها الدعم، كما لا يخفىٰ علىٰ أهل الفضل والتحقيق.

بل إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، مؤيّدون في أحكامهم من عند اللّه تعالىٰ، وهذا ما ورد في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِما أَراكَ اللّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً﴾(١)

ولذا، فإنَّ الإمام الصادق عليه السّلام يقول في ذيل هذه الآية الشريفة:

«لا واللّه، ما فوّض اللّه إلىٰ أحدٍ من خلقه إلاّ إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وإلىٰ الأئمَّة عليهم السّلام. قال عزّوجلّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِتُحْكُمَ بينَ النَّاسِ بِما أَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُنْ لِلخَائِنِين خَصِيماً﴾

وهي جارية في الأوصياء عليهم السّلام»(٢)

وكما مرَّ بنا سابقاً، فإنَّ هذا المقطع من الزيارة الجامعة، هو لبيان أنَّ كلَّ ما يقوله ويفعله الأئمَّة عليهم السّلام، إنّما هو من اللّه وللّه عزّوجلّ.

ومن ثمَّ، فإنَّ كلَّ من أطاعهم وتابعهم، فقد أطاع اللّه تعالىٰ، وبهذا يكون الأئمَّة عليهم السّلام هم الواسطة بين الخالق المتعال وخلقه.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ١٠٥.

(٢) الكافي ٢٦٨/١، الحديث ٨؛ الإختصاص: ٣٣١؛ بحار الأنوار: ٦/١٦، الحديث ٦.

وقد عُبِّر عن هذا المعنىٰ بتعابير عديدة مثل: الوسيلة، السبب، الحبل، النجم، الآية، الراية، العَلَم، و....

ومن تلك الروايات المشتملة على ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام من قوله:

«إنَّما نَحنُ كَنُجوم السَّماء كُلَّما غابَ نَجمٌ طَلَعَ نجم»[١]

وعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«نحن حبل اللّه الّذي قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَلاٰ تَفَرَّقُوا﴾[٢]؛[٣]

وعن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«...نحنُ الوسيلة إلىٰ اللّه والوصلة إلىٰ رضوان اللّه»[٤]

وقال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حديث آخر:

«يا عليّ أنت منّي وأنا منك، نيط لحمك بلحمي ودمك بدمي، وأنت السبب فيما بين اللّه وبين خلقه بعدي، فمن جحد ولايتك قطع السبب الّذي فيما بينه وبين اللّه وكان ماضياً في الدركات؛»[٥]

---

(١) الكافي: ٣٢٨/١، الحديث ٨؛ الغيبة، النعماني: ١٥٦، الحديث ١٧؛ بحار الأنوار: ١٣٨/٥١، الحديث ٧.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ١٠٣.

(٣) العمدة: ٢٨٨، الحديث ٤٦٧؛ بحار الأنوار: ٨٣/٢٤، الحديث ٣؛ شواهد التنزيل: ١٦٩/١، الحديث ١٨٧؛ نهج الإيمان: ٥٤٧؛ ينابيع المودّة: ٣٥٦/١، الحديث ٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣/٢٥، الحديث ٣٨.

(٥) كتاب سليم بن قيس: ٣٧٨؛ بحار الأنوار: ١٤٨/٢٣، الحديث ١٤١ مع تفاوت بسيط.

سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ

ثَمَرَةُ مُوالاة الأئمَّة

كان بحثنا إلىٰ الآن، في حالات الأئمة مع الله، ومنازلهم عليهم السّلام عنده.

هذه الفقرة ينصبُّ البحث علىٰ نتيجة الموالاة أو المعاداة لهم وما كتب الله للمحسنين إليهم من الأجر، وللمسيئين من الجزاء.

قد ذكرنا مراراً أنَّ اللّه تعالىٰ قد جعل الأئمة الأدلاّء عليه والواسطة بينه وبين الخلق، فكانت إرادتهم إرادة اللّه وأقوالهم وأفعالهم أقوال اللّه وأفعاله.

وعلىٰ هذا، فإنَّ السّعادة والشّقاوة ستدوران مدار إتّباع أئمَّة أهل البيت وعدم اتّباعهم، وذلك، لأنَّ الإنسان إمّا سعيد و إمّا شقي كما قال تعالىٰ:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1]

وقال تعالىٰ:

﴿إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَإِمّٰا كَفُوراً﴾[2]

ولكلٍّ من السّعادة والشقاوة طريقه الخاصّ به، وكلّ طريق يؤدّي إلىٰ نتيجته الخاصّة.

فالذين والوا أهل البيت وأطاعوهم واتّبعوهم كانوا من أهل النّجاة، وإنْ اختلفت مراتبهم في الآخرة بحسب إنقيادهم وطاعتهم، وهذا ممّا لا يشكّ فيه أحدٌ من المسلمين، فإنَّ أعتىٰ أعداء أهل البيت عليهم السّلام لا يتجرأون علىٰ القول بأنَّ نتيجة طاعة أهل البيت عليهم السّلام هي النار، بل إنَّ الجميع يقرّون

(١) سورة هود (١١): الآية ١٠٥.
(٢) سورة الدهر (٧٦): الآية ٣.

ويعترفون ويذعنون بأنّ أتباع أهل البيت عليهم السّلام هم من أهل السّعادة، وقد سُعدوا فعلاً.

إذن، فنتيجة الطاعة الواقعيّة والحقيقيّة لأهل البيت عليهم السّلام هي السعادة، حُسن العاقبة والنجاة في الآخرة، والورود إلىٰ جنّات الخلد. يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

﴿وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[١]

لماذا؟ لأنّ الأئمّة عليهم السّلام هم الواسطة، السبب والرابط، فكلُّ أقوالهم وأفعالهم، هي أقوال وأفعال إلهيّة، فكلامهم كلامُ اللّه، وفعلهم فعل اللّه. فإطاعتهم والتبعيّة لهم، إطاعةٌ لله، وهذه هي «السعادة» ومخالفتهم وعداوتهم مخالفة لله، وهذه هي «الشقاوة».

فظهر السّبب في قولنا: سعد من والاكم.

ثمّ إنّ السعادة تقع دائماً في قبال الشقاء. قال الراغب:

الشقاوة خلاف السعادة[٢]

ولكنّ السعادة في هذه الفقرة من الزيارة الجامعة، قد جُعلت في مقابل الهلكة، وبين الهلكة والشقاوة تفاوتٌ، وسيأتي معنى الهلاك.

ولعلّ ذلك من أجل أنّ الشقاء، يعني سوء الحال، وأمّا الهلكة فمساوية للفناء والاضمحلال والزوال، فليتأمّل في عاقبة الّذين خالفوا أهل البيت وعادوهم وظلموهم!

---

(١) سورة هود (١١): الآية ٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن.

ومن المناسب هنا إيراد الحديث التالي عن بعض المصادر المعتبرة غير الشيعيَّة في هذا الباب.

روىٰ أبو القاسم الطبراني بسنده عن السيّدة الزهراء عليها السّلام أنها قالت:

«خرج علينا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عشيَّة عرفة فقال: إنَّ اللّه باهىٰ بكم وغفر لكم عامَّة ولعليّ خاصَّة، وإنّي رسول اللّه إليكم غير محارب لقاربتي، هذا جبريل يخبرني أنَّ السعيد حقّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياته وبعد موته، وأنَّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته؛»[١]

هذا مختصر الكلام حول سعادة أهل الولاية في عالم الآخرة.

وإنَّ لولاية أهل البيت عليهم السّلام، آثاراً مادّية ومعنويَّة في عالم الدنيا أيضاً.

وإنَّ أهمَّ وأوضح آثار هذه الولاية في الدنيا، هي التقوىٰ والورع.

ومن هنا، فإنَّ الروايات -الشيعيَّة والسنيَّة معاً- تصف أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب بأنَّه "إمام المُتَّقين".

وفي الحديث عن جابر عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«يا جابر! أيكتفي من ينتحل التشيُّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فواللّه، ما شيعتنا إلاّ من اتّقىٰ اللّه وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر! إلاّ بالتواضع والتخشُّع والأمانة وكثرة ذكر اللّه والصَّوم والصّلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير؛ وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر: فقلت: يابن رسول اللّه! ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة.

---

(١) المعجم الكبير: ٤١٥/٢٢، الحديث ١٠٢٦.

فقال: يا جابر! لا تذهبنَّ بك المذاهب، حسب الرّجل أن يقول: أُحبُّ عليّاً وأتولّاه ثمَّ لا يكون مع ذلك فعالاً؟

فلو قال: إنّي أُحبُّ رسول اللّه ـ فرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله خيرٌ من عليّ عليه السّلام ـ ثمَّ لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً.

فاتّقوا اللّه واعملوا لما عند اللّه، ليس بين اللّه وبين أحد قرابة، أحبُّ العباد إلىٰ اللّه عزَّوجلّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر! واللّه، ما يتقرّب إلىٰ اللّه تبارك وتعالىٰ إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا علىٰ اللّه لأحد من حجّة. من كان للّه مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان للّه عاصياً فهو لنا عدوّ. وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع؛»[1]

فالمطلوب من أهل الولاء لأهل البيت عليهم السَّلام أن يأخذوا بالتقوىٰ في جميع الأمور، بل إنَّ التشيُّع لهم هو التقوىٰ، والفائزون في الآخرة هم الشيعة، كما سيأتي في الحديث عن رسول اللّه أنَّه قال لعلي عليهما الصَّلاة والسَّلام:

«يا علي، أنت و شيعتك هم الفائزون»

وقد قال سبحانه و تعالىٰ:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً * حَدٰائِقَ وَأَعْنٰاباً * وَكَوٰاعِبَ أَتْرٰاباً * وَكَأْساً دِهٰاقاً * لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَلاٰ كِذّٰاباً * جَزٰاءً مِنْ رَبِّكَ عَطٰاءً حِسٰاباً﴾[2]

بل المطلوب منهم هو الورع، وهو الوقوف عند الشبهات، وهو أعلىٰ من "التقوىٰ"، وقد ورد في الروايات أنَّ الشيعة يُعرفون من ورعهم، أي إنَّ أهمّ

(١) الكافي: ٧٤/٢، الحديث ٣.
(٢) سورة النبأ (٧٨): الآيات ٣١-٣٦.

علامات التشيُّع هو الورع، وإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام كانوا يوصون شيعتهم بالورع ويؤدبونهم به، ويربّونهم عليه.

فعن أبي أُسامة قال: قال الصادق عليه السّلام:

«عليك بتقوىٰ اللّه والورع والإجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلىٰ أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً...؛»[١]

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«ليس منّا –ولا كرامة– من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه»[٢]

وعن إبن رئاب قال: قال الصادق عليه السّلام:

«إنّا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتّىٰ يكون بجميع أمرنا متّبعاً مريداً. ألا ومن اتّباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيَّنوا به، يرحكم اللّه»[٣]

وعن عمرو بن سعيد بن هلال، قال قلت للإمام أبي عبد اللّه عليه السّلام:

«أوصني.

قال: أُوصيك بتقوىٰ اللّه وَالوَرَع والإجتهاد. وإعلم أنَّه لا ينفع إجتهادٌ لا ورعَ فيه»[٤]

وعن عبيد اللّه بن علي عن الإمام الكاظم عليه السّلام أنه قال:

---

(١) الكافي: ٧٧/٢، الحديث ٩.

(٢) الكافي: ٧٨/٢، الحديث ١٠.

(٣) نفس المصدر، الحديث ١٣.

(٤) نفس المصدر، الحديث ١١.

«كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنَّ، وليس من شيعتنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق اللّه أورع منه.»[١]

وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ

نتيجة معاداة الأئمَّة

لقد جاءت كلمة "سَعِدَ" في مقابل كلمة "هَلَكَ"، وكلمة "عاداكم" في مقابل كلمة "والاكم".

قال الراغب الإصفهاني في معنىٰ "هَلَكَ":

«الهلاك علىٰ ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود، كقوله تعالىٰ ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾. وهلاك الشيء باستحالة وفساد، كقوله: ﴿**وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾ والثالث: الموت... والرابع: بطلان الشئ من العالم وعدمه رأساً... ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك....»[٢]

وعليه، فإنَّ أعداء أهل البيت عليهم السّلام ليسوا فقط محرومين من السعادة، وإنّما هم من الهالكين أيضاً...

ويُعلم من خلال التقابل المذكور، بأنَّ صِرف "عدم الموالاة" لأهل البيت، ـأي عدم الكون معهم ـ يساوق "الهلكة" أيْ الضلال، وأيّ فساد أعظم من الضلال؟

---

(١) الكافي: ٧٩، الحديث ١٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٤.

وفي الحديث عن إبن عبّاس، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لعليٍّ بن أبي طالب عليه السّلام:

«سَعد من أطاعك، وشقي من عصاك، وربح من تولّاك، وخسر من عاداك، وفاز من لزمك، و هلك من فارقك...»[١]

إذن، "سعد من أطاعك" لأنَّ "الموالاة" تستتبعُ "الطاعة".

و"خسر من عاداك"، لأنَّ "العداء" مع الحق، "باطلٌ"، وصاحبه ضالٌّ قطعاً، واللّه تعالىٰ يقول:

﴿وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُون﴾[٢]

و"هلك من فارقك". فمن فارق أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السّلام، فهو من الهالكين، وليس له نصيب في الآخرة، كما هَلَكَ قومُ نوح الذين فارقوا نبيَّهم ولم يلازموه، وقد صُرِّح بهذا المعنىٰ في حديث السفينة، كما تقدم وسيأتي إنْ شاء اللّه.

وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ

خَيبةُ المنكرين

فسَّرَ اللغويّون لفظة "جَحَد" بمعنىٰ الإنكار، ولكنْ ليس بمطلق الإنكار، وإنَّما هو الإنكار مع وجود اليقين في القلب.

---

(١) فرائد السمطين: ٢/٢٤٣.

(٢) سورة غافر (٤٠): الآية ٧٨.

قال الراغب الإصفهاني:

«الجحود نفي ما في القلب إثباتُه، وإثباتُ ما في القلب نفيُه»[١]

وجاء في القرآن الكريم:

﴿وَ جَحَدُوا بِهٰا وَاسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾[٢]

وعليه، فإنَّ كلمة "جَحَد" أخصَّ من الإنكار، وفي هذا النوع من الإنكار ينكر الإنسانُ بلسانه ما قد تيقَّنَه بقلبه.

وما معنىٰ "خاب"؟

وإنَّ كلمة "خاب" مأخوذة من مادَّة "الخيبة"، وهي عدم نيل المقصود، فيقال للإنسان الذي سعىٰ للوصول إلى شيءٍ ولم ينله: خائب. قال الجوهري في ذلك:

«خابَ الرجل خيبةً: إذا لم يَنَل ما يطلب»[٣]

وعليه، فمن أنكر إمامة الأئمّة عليهم السّلام، حسداً أوعداءاً أو لمصالح وأغراض دنيويَّة -مع إنّهم لو رجعوا إلىٰ ما تيقَّنته قلوبهم لم يقولوا بإمامة غيرهم- سيكون من الخائبين النادمين، لأنَّ الحقائق ستنكشف في يوم القيامة وتتَّضح، وسيرىٰ كلُّ إنسان عاقبة سعيه وعمله في دار الدنيا.

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي، ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨.

(٢) سورة النمل (٣٧): الآية ١٤.

(٣) صحاح الجوهري: ١/١٢٣.

وإنَّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض، وإنّي سائلكم عنهما...»[١]

فالفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، يكون فقط عن طريق التمسُّك بالقرآن الكريم وبالعترة الطاهرة، وبغير التمسّك بهما ليس إلاّ الخسران والخيبة.

وقد أوضحنا كراراً أنه لا يوجد أكثر من طريقين، فإمّا طريق الهداية، وإمّا طريق الضلالة ولا ثالث لهما، فإذا ما قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بأنَّ طريق الهداية والنجاة في الآخرة هو التمسُّك بالقرآن والعترة، فهذا يعني إنَّ عدم التمسُّك بهما هو طريق الضلالة والخيبة.

ومن هنا، جاء في حديث المعراج بأنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قال لرسوله الكريم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم:

«يا محمَّد، إنّي إطَّلعت إلىٰ أهل الأرض إطلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موضع إلاّ ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمَّد.

ثمَّ اطَّلعت الثانية، فاخترت عليّاً، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلىٰ وهو علي.

يا محمَّد، إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من نوري، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السماوات وأهل الأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمَّد، لو أنَّ عبداً من عبيدي عبدني حتّىٰ ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ثمَّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم...»[٢]

---

(١) راجع الأجزاء الثلاثة الأولى من نفحات الأزهار.

(٢) مقتل الحسين عليه السّلام، الخوارزمي: ٩٥؛ ينابيع المودّة: ٣٨٥/٣.

وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ

نتيجة مفارقة الأئمَّة

فظهر إنَّ مفارقة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هي الضّلال عن الهدىٰ والوقوع في الرّدىٰ.

وأيضاً، فإنّ مفارقتهم هي مفارقةٌ لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.

قال أبوذر الغفّاري، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«يا علي، من فارقني فقد فارق اللّه، ومن فارقك فقد فارقني»[(١)]

وهل من شكّ في ضلال من فارق رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؟

ومن جهة ثالثة، جاء في الأحاديث الصحيحة المتّفق عليها: أنَّ النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«عليٌّ مَعَ الحقّ والحقُّ مع علي»[(٢)]

وفي حديث آخر عنه قال:

«عليٌّ مَعَ القرآن والقُرآن مَعَ عليٍّ»[(٣)]

وهل من شك في ضلال من فارقَ "الحقَّ" و"القرآن"؟

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٢٣/٢.

(٢) راجع الجزء الأول، الصفحة: ٤١١.

(٣) راجع الجزء الأول، الصفحة: ٤١١.

وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ

ثمرةُ التمسُّك بالأئمَّة

والمُراد من "التمسُّك"، هو المعيَّة والملازمة. وإنَّ فوز الملازمين لأهل البيت عليهم السّلام، واضحٌ، والأحاديث الواردة في هذا المضمون كثيرة، من جملتها ما ورد في ذيل الآية المباركة:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين ﴾[١]

قال عليه السّلام:

«الصّادِقونَ هُمْ مُحمَّدٌ وأهْلُ بيتِه»[٢]

وعليه، فإنَّنا مأمورون بملازمة محمّد وآل محمّد عليهم السّلام.

وقد جاء في حديث السفينة:

«إنَّما مَثَلُ أهل بيتي كمثل سفينة نوح مَنْ ركِبَها نَجا ومَنْ تخلَّفَ عنها هَلَكْ»[٣]

ومن هنا جاء في الروايات الكثيرة:

«عليٌّ وشيعته هم الفائزون»[٤]

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ١١٩.

(٢) الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمّي: ١٣٨؛ مناقب آل أبي طالب: ١١١/٣؛ شواهد التنزيل: ٢٦٢/١، الحديث ٣٥٧؛ للإطّلاع أكثر في هذا الموضوع راجع: ٦٨/٢-٧٧.

(٣) الصّراط المستقيم: ٢٠٩/١؛ بحار الأنوار: ٧٦/٤٠.

(٤) بشارة المصطفى: ١٨٧؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣٣٣/٤٢؛ المناقب للخوارزمي: ١١١؛ ينابيع المودّة: ٢٤٥/٢.

وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ

الآمنون

وهذه العبارة مطلقة، فهم الملجأ في الدنيا والآخرة، لكنّ المهمّ هو يوم القيامة فإنّه يوم شديد، وصفه اللّه عزّوجلّ بقوله:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَى النّٰاسَ سُكٰارىٰ وَ مٰا هُمْ بِسُكٰارىٰ وَ لٰكِنَّ عَذٰابَ اللّٰهِ شَدِيد﴾[١]

ووصفه بقوله:

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ * وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[٢]

إلىٰ غير ذلك ممّا جاء في كلام اللّه في عظمة يوم القيامة و شدّته...

فالإنسان في ذلك اليوم و في تلك الأحوال يحتاج إلىٰ ملجأ يأوي إليه ليحفظه من أهواله وشدائده.

إنّ الحكم في ذلك اليوم للّه الواحد القهّار كما قال:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰه﴾[٣]

ولا يمكن الفرار من حكومته، كما قال أمير المؤمنين في دعائه:

«و لا يمكنُ الفِرارَ منْ حُكومَتِك»[٤]

---

(١) سورة الحج (٢٢): الآية ٢.

(٢) سورة المعارج (٧٠): الآية ١٣-١١.

(٣) سورة الأنعام (٦): الآية ٥٧، وسورة يوسف (١٢): الآية ٤٠ و ٦٧.

(٤) إقبال الأعمال: ٣٣٢/٣ (في ضمن دعاء الخضر عليه السّلام المعروف بدعاء الكميل رضوان اللّه عليه).

فهل من ملجأ يومئذٍ ؟

قال تعالىٰ :

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾(١)

نعم، ففي ذلك اليوم، لا ملجأ للإنسان إلاّ اللّه تعالىٰ ورحمته الواسعة، فعلىٰ الإنسان أن يجد طريقاً للّجوء إليه، ولذا نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام يقول في معرض دعائه :

«أَستَشفِعُ بكَ إلىٰ نَفسِكَ»(٢)

أيْ أتوسل برحمتك إليك لكي تؤمنني من غضبك وسخطك.

ويقول الإمام السجاد عليه السّلام في ضمن دعائه في يوم عرفة :

«يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحمَتُه غَضبَه»(٣)

ولكنَّ اللّه عزّوجلّ سوف لا يعامل المتّقين معاملة الكفّار و المنافقين، وقد عرفت أن أهل التقوىٰ هم أهل الولاية للنّبي وآله المنقادين لهم والمطيعين لأوامرهم ونواهيهم، يقول سبحانه :

﴿وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَ يُنَجِّي اللّٰهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفٰازَتِهِمْ لاٰ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤)

---

(١) سورة الشورىٰ (٤٢) : الآية ٤٧.

(٢) إقبال الأعمال : ٣٣١/٣.

(٣) الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ٣٤٥؛ إقبال الأعمال : ١٥٨/٢؛ بحار الأنوار : ٣٨٦/٩١.

(٤) سورة الزمر (٣٩) : الآية ٦١-٦٥.

هذا، وقد أذن سبحانه و تعالىٰ للرّسول الأعظم وأهل البيت الأطهار بالشّفاعة، فمن لجأ إليهم وأذن تعالىٰ بالشفاعة له خلص من العذاب وكان من الآمنين.

وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ

سلامة المصدِّقين

والسّلامةُ هنا بمعنىٰ النّجاة.

والمقصود من التصديق، هو الإعتقاد القلبي والإقرار بذلك باللّسان ثمّ العمل علىٰ طبق ذلك، كأن يقول أحد لغيره وعن إعتقادٍ قلبيّ: "أنت صادق"، ويعمل علىٰ طبق ما قال.

قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السّلام:

«أنا الصدّيق الأكبر»(١)

أيْ إنّي أنا الّذي صدّقت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله تصديقاً عمليّاً.

فكلُّ من كان مصدِّقاً لأهل البيت عليهم السّلام بمثل هذا التصديق العملي، فهو من أهل التقوىٰ، كما قال تعالىٰ:

﴿وَ الَّذي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِين﴾(٢)

---

(١) كنز الفوائد ١٢١؛ الإحتجاج: ١٤٦/٢؛ بحار الأنوار: ٢٦٠/٢٦، الحديث ٣٧؛ شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ٣٠/١؛ الكامل: ٢٧٤/٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣٣/٤٢؛ تهذيب الكمال: ١٨/١٢، رقم ٢٥٣٧؛ تهذيب التهذيب: ١٧٩/٤، رقم ٣٤٧ و....

(٢) سورة الزمر (٣٩): الآية ٣٤-٣٣.

ولا شكَّ أنَّه من أهل النّجاة والسلامة، وتكون عاقبة أمره ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾(١)

وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ

المهتدون

فقد تكرّر منّا القول بأنَّ اتّباع الأئمة إتّباع للّه و طاعتهم طاعته، فيكون المعتصم بهم مهتدياً كما قال تعالىٰ:

﴿وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢)

وأيضاً، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، هم "حبل اللّه"، وكما جاء في تفسير الآية المباركة:

﴿وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً﴾(٣)، وقد ورد في كتب الفريقين، عن الإمام الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«نَحنُ حَبلُ اللّه»(٤)

إذن، فكلُّ من إعتصم بالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، فهو مهتدٍ لامحالة.

وفي حديث آخر عن سيد الشهداء عليه السّلام، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) سورة الحجر (١٥): الآية ٤٥-٤٦.

(٢) سورة آل عمران(٣): الآية ١٠١.

(٣) سورة آل عمران (٣): الآية ١٠٣.

(٤) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: ٢/٦٠، ٣٥٣ و٣٣٣/٨.

«فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقته، من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوىٰ»(١)

مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ

مكافئة الأتباع وجزاء المخالفين

وإنّه طبقاً لما جاء في القرآن الكريم والروايات، فإنَّ الأئمّة هم الشاخص، العَلَم، الآية، العلامة، المعيار والميزان. وقد أشرنا إلىٰ بعض ذلك في المباحث السابقة. وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّ طريق الوصول إلىٰ جنّات النعيم، هو إتّباع وطاعة أهل البيت الأطهار عليهم السّلام لا غير، وإنَّ الجنَّة هي مقام هؤلاء الأتباع فقط، وإنَّ كلَّ مَن خالفهم أو كان علىٰ خلاف طريقهم فهو في النار.

وهذه الحقيقة قد بلّغها النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأُمّته في صور مختلفة وألفاظ متعدّدة. ومن ذلك: أنّه قد اعتبر إطاعة أمير المؤمنين عليه السّلام إطاعة له صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وإنَّ معصية أمير المؤمنين عليه السّلام، هي معصية لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وقد أقرَّ بهذا المعنىٰ وصدور هذا المضمون منه علماء الشيعة والسنّة معاً، ورَوَوه بأسانيدهم.

فقد روىٰ الحاكم النيشابوري بسندٍ صحيح عن أبي ذر الغفاري رضي اللّه عنه، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) فرائد السمطين: ٦٦/٢؛ الفصول المهمّة: ١١٧٥/٢؛ ينابيع المودّة: ٢٤٣/١.

«من أطاعني فقد أطاع اللّه ومن عصاني فقد عصىٰ اللّه. ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن عصىٰ عليّاً فقد عصاني»(١)

وفي حديث آخر، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لعمار بن ياسر:

«فإن سلك الناس كلّهم وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي وخلّ عن الناس.

يا عمّار! إنّ عليّاً لا يردّك عن هدىٰ ولا يدخلك في ردىٰ.

يا عمّار! طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة اللّه عزّوجلّ»(٢)

وفي حديث آخر، إنّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لعبد اللّه ابن مسعود:

«أما والّذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليَدخُلُنَّ الجنَّة أجمعين أكتعين»(٣)

إذن، فإمّا أن يتابع الإنسان طريق اللّه والرسول والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وإمّا أن يتّبع هواه ويتابع طريق الشيطان. يقول تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعىٰ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ * فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾(٤)

فليس هنا أكثر من إمامين، فإمّا إمام هداية أو إمام ضلال، ولكلٍّ منهما منهجه وعاقبة إتّباع كلٍّ منهما واضحة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٢١/٣.

(٢) فرائد السمطين: ١٧٨/١؛ ينابيع المودّة: ٣٨٤/١.

(٣) مجمع الزوائد: ١٨٥/٥.

(٤) سورة النازعات (٧٩): الآيات ٣٤-٤١.

وبعبارة أدقّ، إنَّه ليس هناك إلاّ طريق واحد وهو طريق أهل البيت الَّذي هو طريق اللّه ورسوله، وكلَّما كان غير هذا الطريق وأيّاً من كان القائد في ذلك الطريق، فهو ضلال.

ولذا، فإنَّ الذين لم يقبلوا إمامة أهل البيت عليهم السّلام، ونصبوا لأنفسهم أئمَّة من غير أهل البيت فتابعوهم في الأُصول و الفروع، لمّا كانوا عالمين بهذه الحقيقة، يضطرّون إلىٰ إدّعاء متابعة أهل البيت ومودّتهم.

فهذا إبن حجر المكّي، ولأنَّه يعلم جيِّداً بأنَّ طريق النجاة منحصرٌ بتبعيّة أهل البيت عليهم السّلام، يقول في كتابه "الصواعق المحرقة":

أنَّ الشيعة ليسوا أتباع أهل البيت، بل السُنَّة هم أتباعهم.[١]

الفرق بين كلمتي "مأوىٰ" و"مثوىٰ"

ثمَّ هل هناك فرق بين كلمتي "مأوىٰ" و"مثوىٰ" في المفهوم؟

الظاهر وجود الفرق بينهما، وقد وردتا في القرآن الكريم، قال الراغب:

المأوىٰ مصدر أوىٰ يأوي أُويّاً ومأوىً، تقول: أوىٰ إلىٰ كذا: إنضمَّ إليه. قال عزّوجلّ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾[٢]

وقال عزّوجلّ:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى﴾[٣]

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٣ و١٥٤.

(٢) سورة الكهف (١٨): الآية ١٠.

(٣) سورة النازعات (٩٧): الآيات ٣٧-٣٩.

وقال:

«الثواء: الإقامة مع الإستقرار...وقال: ﴿أليسَ في جهنّم مَثوىً للمُتكبّرين "﴾[١]

وكلمة "مثوى" أيضاً إستعملت في أهل جهنم، كما في قوله تعالىٰ:

﴿أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢]

وقوله تعالىٰ:

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣]

وحاصل معنىٰ الجملة:

إنَّ من اتّبع أهل البيت، فالمكان الذي يأوي إليه هو الجنَّة، لأنَّه قد انضمَّ إليهم باتّباعه لهم، ومن كان كذلك فمصيره الجنَّة لأنَّهم أهله. ومن تكبَّر عليهم فلم يتّبعهم، فالنار مستقرّه ولا يمكنه الخلاص من العذاب.

وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ

المنكرون كَفَرة

نعم، فمن أنكرهم وهو عالم بحقّانيتهم متيقنٌ بمقامهم، وإتّبع غيرهم وإعتبره إماماً له، فهو كافرٌ، لأنَّه قد أنكر الإمام المنصوب من قبل اللّه تعالىٰ وأطاع إماماً نصبه الشّيطان. وتقديم إمام الضلالة علىٰ إمام الهداية، تقديمٌ للشيطان علىٰ اللّه تعالىٰ، وهو كفرٌ.

وإنْ أضاف هذا الجاحدُ إلىٰ إنكاره، القيام بالسيف والمحاربة، فهو مشرك.

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٤.

(٢) سورة الزمر (٣٩): الآية ٦٠.

(٣) سورة الزمر (٣٩): الآية ٧٢.

وحكم المشرك، على بعض الوجوه والإعتبارات، أسوء من الكافر، إذ كلُّ مشركٍ كافر، وليس كلُّ كافرٍ بمشرك.

وبناءاً علىٰ هذا، فإنَّ عقاب المنكر لإمامة أهل البيت عليهم السّلام، مساوٍ لعقاب الكفّار، وإنْ كان في ظاهره مسلماً، وأمّا عقاب من يحارب الإمام الحقّ، فهو عقاب المشركين، وإنْ قال "لا إله إلاّ اللّه"

قال السيد المرتضىٰ علم الهدىٰ رحمه اللّه في هذا المعنىٰ:

«ثمَّ مذهبنا نحن في محاربي أمير المؤمنين عليه السّلام معروفٌ، لأنّهم عندنا كانوا كفّاراً بحربه بوجوه و... منها: إنَّ من حاربه كان مستحلاًّ لقتله مظهراً لأنّه في ارتكابه علىٰ حق، ونحن نعلم أنَّ من أظهر استحلال شرب جرعة خمرٍ فهو كافر بالإجماع، واستحلال دم المؤمن - فضلاً عن أكابرهم وأفاضلهم - أعظم من شرب الخمر واستحلاله، فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كُفّاراً.

ومنها: أنَّ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال له عليه السّلام بلا خلاف بين أهل النقل:

«حربك يا عليّ حربي وسلمك سلمي».(١)

ونحن نعلم أنّه لم يرد إلاّ التشبيه بينهما في الأحكام، ومن أحكام محاربي النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله الكفر بلا خلاف.

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٥٦، الحديث ١٥٠؛ كفاية الأثر: ١٥١؛ روضة الواعظين: ١١٣؛ بحار الأنوار: ٢٠٣/٢٧، الحديث ٣؛ شرح نهج البلاغة:، إبن أبي الحديد: ٢٩٧/٢؛ المناقب، الخوارزمي ١٢٨، الحديث ١٤٣؛ ينابيع المودّة: ١٧٢/١، الحديث ٩.

ومنها: أنَّه عليه السّلام قال بلا خلاف أيضاً: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»(١). وقد ثبت عندنا أنَّ العداوة من اللّه لا تكون إلاّ للكفّار الّذين يعادونه دون فسّاق أهل الملّة...»(٢)

والحديثان المذكوران في كلام السيد المرتضىٰ، مذكوران في كتب السُّنَّة والشيعة جميعاً. فمن حارب النبيَّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فهو كافرٌ بلا شكّ فإذا ما قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله «حربُ عليٍّ حربي» فهذا يعني أنَّ من حارب أمير المؤمنين عليه السّلام فحكمه حكم من حارب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.

والنبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد دعا اللّه تعالىٰ وقال:

«اللهم وال من والاه...»

وهذا يعني أنَّ من لم يواله اللّهُ فهو مخذول لا محالة، والمخذول كافرٌ.

وإلىٰ هنا تبيَّن حكمُ من أنكر إمامة الأئمَّة عليهم السّلام و أطاع غيرهم وهو عالم متيقّن بإمامتهم.

وكذا تبيَّن حكم من حارب أمير المؤمنين عليه السّلام، وهو علىٰ حدِّ قول السيد المرتضىٰ؛ مذهبنا.

والآن، نحاول بيان حكم من بايع أمير المؤمنين عليه السّلام في يوم الغدير، ثمَّ نقض بيعته ودعا الناس إلىٰ نفسه.

---

(١) علل الشرائع: ١/١٤٤، الحديث ٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٥٢، الحديث ١٨٣؛ الخصال: ٦٦، الحديث ٩٧؛ بحار الأنوار: ٢١/٣٨٧؛ مسند أحمد بن حنبل: ١/١١٩؛ المستدرك على الصحيحين: ٣/١٠٩.

(٢) الشافي في الإمامة: ٤/٤٥؛ الصوارم المهرقة: ٨٩.

يقول تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون﴾[١]

وروى الشيخ الكلينيّ رحمه اللّه عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام في تفسير هذه الآية المباركة أنه قال:

«لمّا نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. اجتمع نفر من أصحاب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ماتقولون في هذه الآية؟

فقال بعضهم: إنْ كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإنْ آمنّا فإنَّ هذا ذلٌّ حين يسلّط علينا ابن أبي طالب.

فقالوا: قد علمنا أنَّ محمَّداً صادق فيما يقول، ولكنّا لا نتولاّه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا.

قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نُعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يعرفون، يعني ولاية علي [ابن أبي طالب عليهما السّلام] وأكثرهم الكافرون بالولاية»[٢]

وهنا يأتي هذا السؤال: هل إنَّ الكفر الَّذي عناه السيد المرتضىٰ رحمه اللّه في كلامه، هو الكفر المقابل للإيمان، أم إنَّه الكفر المقابل للإسلام؟

للفقهاء والمتكلّمين في هذا المجال بحثٌ. فمن عبارة السيد المرتضىٰ رحمه اللّه يظهر أنَّ المراد هو الكفر المقابل للإسلام، أي إنَّ مثل هذا الإنسان يكون خارجاً عن ملّة الإسلام.

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٨٣.

(٢) الكافي: ٤٢٧/١.

ولكنَّ بعض الأكابر قالوا بأنَّ مراده هو الكفر المقابل للإيمان لا الإسلام.

ولهذا البحث ثمرات إعتقاديَّة، وله أيضاً ثمرات عمليَّة، وجذور هذا البحث تعود إلىٰ مسألة الإمامة، وهل إنَّ إمامة أهل البيت عليهم السلام، من أُصول الدين أم إنّها من أُصول المذهب؟

ولمزيدٍ من الأدلَّة علىٰ إثبات أنَّ أثر الإنكار هو الكفر، وأنَّ أثر المحاربة هو الشرك، ننقل لكم بعض الروايات في هذا المضمار:

عن المفضَّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السّلام، أنَّ الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ جعل عليّاً عليه السّلام عَلَماً بينه وبين خلقه، ليس بينه وبينهم عَلَمٌ غيره، فمن تبعه كان مؤمناً، ومن جحده كان كافراً، ومن شكّ فيه كان مشركاً»[1]

ومن هذه الرواية يُفهم بأنَّ الشكّ هو أصلُ كلِّ أسباب الحروب مع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسّلام.

وجاء في رواية أُخرىٰ عنه عليه السّلام أنه قال:

«أُمِرَ الناسُ بمعرفتنا، والردُّ إلينا والتسليم بنا.

ثمَّ قال: وإنْ صاموا وصلّوا وشهدوا أن لا إله إلاّ اللّه وجعلوا في أنفسهم أن لا يردّوا إلينا، كانوا بذلك مشركين»[2]

فهؤلاء، عندهم شكٌّ في حقانيّة أهل البيت ووجوب طاعتهم، وهم

---

(١) المحاسن: ٨٩٨، الحديث ٣٤؛ ثواب الأعمال: ٢٠٩؛ بحار الأنوار: ١٢٧/٦٩، الحديث ١٢.

(٢) الكافي: ٣٩٨/٢، الحديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٦٨/٢٧، الحديث ٣٣٢٢١.

يشركون الآخرين في الطاعة والعبوديَّة، لأنَّ إطاعة الأئـمَّة عـليهم السّلام هـي العبوديَّة المحضة للّه تعالىٰ، فإذا ما أطاع أحدٌ غير الأئمَّة أيضاً، فهو في الحقيقة صار عبداً للشيطان، وأشرك باللّه تعالىٰ.

إذن، فجذور محاربة الأئمَّة عليهم السّلام هي عدم التسليم، وعدم الطاعة، والتي يلزم أن تكون إطاعة مطلقة.

إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، عَلَمٌ بين اللّه و خلقه ودليل لهم عليه ولا أحدَ غيرهم علمٌ ودليل، فإن أراد أحدٌ أن ينصب له عَلَماً آخر إلىٰ جنبهم ويتّخذه إماماً يقتدي به دون الإمام، كان مشركاً.

يقول تعالىٰ في كتابه:

﴿فَلاٰ وَرَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُـمَّ لاٰ يَـجِدُوا فـي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(١)

وعن عبد اللّه الكاهلي عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام في ذيل هذه الآية: قال:

«لو أنَّ قوماً عبدوا اللّه وحده لا شريك له، وأقاموا الصّلاة، وآتوا الزّكـاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثمّ قالوا لشيء صنعه اللّه تعالىٰ أو صـنعه النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: ألا صنع خـلاف الّـذي صـنع؟ أو وجـدوا ذلك فـي قلوبهم. لكانوا بذلك مشركين.

ثمَّ تلا هذه الآية: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيَماً﴾**.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٦٥.

ثمَّ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: وعليكم بالتسليم»[١]

فإذا ما كان الإنسان مؤمناً باللّه حقّاً، ممتثلاً للأحكام الإلهيَّة، مؤدّياً للصّلاة، الصّوم، الحجّ و...ويعتبر نفسه عبداً مطيعاً للّه، وجب عليه التسليم في كلِّ أُموره لإرادة الحقّ تعالىٰ، وعدم الإعتراض عليه، وحينئذٍ عليه أن يرضىٰ بالإمام المنصوب من قبل اللّه، وأن يطيعه ويسلّم له تسليماً.

وعلىٰ هذا، لن يكون للعبادات التي يؤديها الإنسان فائدة بدون التسليم للإمام المنصوب من قبل اللّه. فما بالك بمن يخرج علىٰ الإمام المنصوب من قبل اللّه ؟!! ولذا نقول:

وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فَهُوَ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ

والمراد من الردّ علىٰ الأئمَّة هو تكذيبهم، فمن كذَّب الأئمّة عليهم السّلام بأيِّ نحو، وفي أيِّ موردٍ من الموارد، فإنَّ محلَّه في أسفل درجات جهنَّم.

وهذا المعنىٰ يستفاد من الآيتين المباركتين، حيث يقول تعالىٰ:

﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُون﴾[٢]

ويقول عزَّوجلّ في آية أُخرىٰ:

﴿وَ الَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾[٣]

إذ لا شكَّ في أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هم "آيات اللّه" حقّاً.

---

(١) المحاسن: ٢٧١/١، الحديث ٣٦٥؛ بحار الأنوار: ٢٥٥/٢، الحديث ٩٥.

(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ٢٧-٢٨.

(٣) سورة المائدة (٥): الآية ١٠.

وبعبارة أوضح، ذُكر في هذا المقطع من الزيارة، ثلاث طوائف:

١- من جحدكم.

٢- من حاربكم.

٣- من ردَّ عليكم.

فالمجموعة الاولىٰ محكومةٌ بالكفر، والثانية محكومة بالشرك، والمجموعة الثالثة ـ وهم لا ينكرون الأئمَّة عليهم السّلام علانية، ولا يخرجون عليهم ولا يحاربونهم، ولكنَّهم يكذِّبونهم ـ "منافقون"، واللّه تعالىٰ يقول:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّار﴾(١)

ولا يخفىٰ، إنَّنا قسمنا الطائفة الأُولىٰ إلىٰ قسمين:

الاول: الذين بايعوا الإمام ثمَّ نقضوا بيعتهم ودعوا الناس إلىٰ أنفسهم.

الثاني: الذين خذلوا الأئمّة مع علمهم بحقيَّتهم عليهم السّلام، وأطاعوا أئمّة آخرين.

وبعبارة أُخرىٰ، فإنَّ الطائفة الأُولىٰ تنقسم إلىٰ رؤساء وأتباع.

أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ

الشهادة بمقامات الأئمَّة العالية

في هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة، نشهد في حضور الإمام عليه السّلام بثبوت المنازل المذكورة للأئمة الأطهار مقامات ومنازل في

(١) سورة النساء (٤): الآية ١٤٥.

الماضي والحاضر، فتلك المنازل والمقامات لا تزال ثابتةً لهم، وستبقىٰ كذلك في المستقبل.

والشهادة لابدَّ أن تكون عن عِلمٍ، ونحن إنَّما نعتقد بهذه المقامات عن علم ومن خلال الأدلَّة، ونؤمن بثبوت وإستمرار المقامات المذكورة لهم، كالولاية، وجوب الطاعة المطلقة، هداية الأُمَّة وأنَّهم حجَجُ اللّه تعالىٰ.

وهذه المقامات عامَّةٌ لكلِّ أئمَّتنا وغير خاصَّة بمولانا أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام، وهي ثابتة لهم في كلِّ العوالم، لا فقط في هذا العالم.

وهذا المعنىٰ إستفدناه من الروايات والآيات الكريمة.

ففي هذه الجهات، لا فرق بين الأئمَّة عليهم السّلام، فلا يؤثر الحُضور والغيبة وإختلاف حالاتهم وغير ذلك علىٰ ثبوت هذه المقامات فيهم.

ومن هنا أيضاً، نحن نشهد:

وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهُرَتْ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

الطينة الواحدة

إنَّ خلقة الأئمَّة عليهم السّلام، من جهة أرواحهم وأجسادهم، واحدة، ولذا قلنا بأنَّهم متساوون في مقام الولاية، وجوب الطاعة المطلقة، هداية الأُمَّة، الحجيَّة الإلهيَّة وسائِر المقامات كالعصمة، الطهارة، والشفاعة في عالم الآخرة، وفي مقاماتهم في عالم الدنيا، وفي عوالم ما قبل عالم الدنيا. ولا فرق في ذلك بين أمير المؤمنين عليه السّلام وسائر الأئمّة عليهم السّلام.

وهذا المعنىٰ ورد في كلمات الأئمّة عليهم السّلام وفي موارد مختلفة، مثل ما ورد عنهم في ذيل الآية المباركة:

﴿وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين﴾[1]

والآية المباركة:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْض﴾[2].

عن الإمام الباقر عليه السّلام في حديث طويل، قال:

«...فرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أوّل من عبد اللّه تعالىٰ، وأوّل من أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثمَّ نحن بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

ثمَّ أودعنا بذلك النور صلب آدم عليه الصلاة والسّلام، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صلب إلىٰ صلب، ولا استقرَّ في صلب إلاّ تبين عن الّذي انتقل منه انتقاله، وشرف الّذي استقرّ فيه، حتّىٰ صار في صلب عبد المطّلب، فوقع بأمّ عبد اللّه فاطمة، فافترق النور جزئين: جزء في عبد اللّه، وجزء في أبي طالب. فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ في السّاجِدِينَ﴾؛ يعني في أصلاب النبيّين وأرحام نسائهم.

فعلى هذا أجرانا اللّه تعالىٰ في الأصلاب والأرحام وولدنا الآباء والأُمّهات من لدن آدم عليه السّلام؛»[3]

(١) سورة الشعراء (٢٦): الآية ٢١٩.
(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ٣٤.
(٣) بحار الأنوار: ٢٠/٢٥، الحديث ٣١.

وفي رواية أُخرىٰ في ذيل هذه الآية عن الإمام الباقر عليه السّلام، أنه قال:

«في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وأهل بيته صلوات اللّه عليهم»[١]

وعن سدير عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام أيضاً في ذيل قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْض﴾[٢] قال:

«نحن منهم ونحنُ بقيَّة تِلكَ العِترَة»[٣]

وبناءاً علىٰ ما جاء في الروايات، فإنَّ صغر سنِّ الإمام وكبره، حضور الإمام أو غيبته، كونُه في الحبس أو خارج الحبس، إقبال الناس عليه أو إدبارهم، لا يؤثر علىٰ تلك المقامات، بل هي محفوظة لهم في كلِّ الأحوال والحالات، وليس لتلك الأُمور دخالةٌ في هذه المقامات والمنازل، بعد وضوح أنَّه لولا العصمة لما وجدت الولاية المطلقة، وإذا لم تكن الولاية المطلقة متوفِّرة لم يتمكن الإمام من الهداية، وإذا لم تكن الهداية لم يكن هناك حجيَّة إلهيَّة.

وعن زيد الشحّام أنه سأل الإمام أبا عبدالله الصادق عليه السّلام عن أفضليَّة الإمام الحَسَن من الإمام الحسين أو العكس، قال عليه السّلام:

«...خَلْقُنا واحدٌ، وعلمُنا واحدٌ، وفضلُنا واحدٌ، وكلُّنا واحدٌ من عند اللّه عزّوجلّ...»[٤]

---

(١) نفس المصدر: ٢١٣/٢٥، الحديث ٢.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآيات ٣٣-٣٤.

(٣) تفسير العياشي: ١٦٨/١، الحديث ٢٩؛ بحار الأنوار: ٢٢٥/٣٣، الحديث ٤٤.

(٤) كتاب الغيبة، النعماني: ٨٦، الحديث ١٦؛ بحار الأنوار: ٣٦٣/٢٥، الحديث ٢٣.

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الكاظم عليه السّلام قال:

«نَحنُ في العلم والشّجاعة سواء، وفي العطايا علىٰ قدر ما نؤمر»[١]

وفي رواية أخرىٰ:

«وَنَحنُ في الأمر والنهي والحلال والحرام نجري مجرىٰ واحد، فأمّا رسول اللّه وعليّ عليهما السّلام فلهما فضلهما»[٢]

نعم، فلرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إمتياز خاصّ من أجل مقام نبوّته، وكذا أمير المؤمنين عليه السّلام، فله إمتياز خاصّ من أجل بعض حالاته الخاصّة، وأمّا في الجهات العامّة التي يجب أن تتوفر في الإمام، فهم فيها سواء.

خَلَقَكُمْ اللّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ

الخلقَة النوريّة للأئمّة

يُشير هذا المقطع الشريف من الزيارة الجامعة إلىٰ خلقة الأئمّة عليهم السّلام فيما قبل هذا العالم، في هذا العالم وما بعد هذا العالم الدنيويّ.

فالأئمّة عليهم السّلام قد خُلقوا من نور واحدٍ، وذلك النور هو نور اللّه المتعال.

لقد كانت خلقة الأئمّة عليهم السّلام النوريّة قبل خلق آدم عليه السّلام بسنين كثيرة. ولقد كان هؤلاء الكرام في ذلك العالم أقرب الموجودات عند اللّه تعالىٰ، وبواسطتهم خلق اللّه الخلق، ومن خلال التوسل بهم عليهم السّلام غفر اللّه لآدم ورحمه.

---

(١) بصائر الدرجات: ٥٠٠، الحديث ٣؛ الكافي: ٢٧٥/١، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٧/٢٥، الحديث ٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٠٠، الحديث ٢؛ الكافي: ٢٧٥/١، الحديث ٦.

ولقد كان الأئمَّة عليهم السّلام في ذلك العالم معلِّمي وأساتذة الملائكة، فتعلّمت الملائكة العُبوديّة للّه من هؤلاء الكرام عليهم السّلام.

وهذه المطالب، هي من الأمور الغيبيَّة التي لا طريق لنا لكشفها والتعرّف علىٰ حقائقها إلاّ من خلال كلمات النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السّلام.

ولذا، لا وجه للرّجوع إلىٰ عقل الإنسان القاصر لكشف أحوالات، ملكات، مقامات وخصوصيّات الأئمَّة الكرام عليهم السّلام، التي هي من الأمور الغيبيَّة، بقطع النظر عن الروايات.

ثم إنّ الروايات الواردة في خلقة الأئمة النوريّة كثيرة في كتب الفريقين، إلى درجة لايمكن إنكارها.

والقسم الكبير منها واضحٌ معنىً وتامٌ سنداً.

وكل روايةٍ إذا كانت واضحةً في معناها، بحسب ظواهر الألفاظ والمفاهيم العرفيَّة، وتمّت حجيّتها علىٰ القواعد المقرَّرة، وجب الأخذ بظاهرها والإعتقاد بمدلولها ومعناها، كما هو الحال في الأبواب الأُخرىٰ، حيث نأخذ بظواهر الروايات ونعمل بمضامينها، أو نعتقد بها.

أجل، إنَّ بعض هذه الروايات غير واضحة المعنىٰ، وليس لها ظهورٌ تامٌّ، ومثل هذه الروايات إمّا أن تكون مشتبهة أو إنَّ فيها مشكلة، فأمّا ما كان منها بسندٍ معتبرٍ فلا يجوز تكذيبه، بل يردّ علمه إلى أهله.

نوريّة الأئمّة في روايات أهل السنّة

وهذه بعض الروايات من طرق أهل السنَّة ـ من باب "والفضل ما شهدت به الأعداء" ـ، نرويها من ليتَّضح مقام الأئمَّة عليهم السّلام في كتبهم ورواياتهم في مسألة أصل الخلقة، يروونها بأسانيدهم عن غيرواحدٍ من الصّحابة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

ففي حديثٍ عن أبي حاتم الرازي، أخرجه بالإسناد عن أنس بن مالك أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم، قال:

«خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نورٍ واحد، نُسبّح اللّه عزَّوجلّ في يُمنة العرش قبل خلق الدنيا، ولقد سكن آدم الجنَّة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه.

فلم نزل يقلبنا اللّه عزَّوجل من أصلاب طاهرة إلىٰ أرحام طاهرة، حتّىٰ انتهىٰ بنا إلىٰ عبد المطّلب، فجعل ذلك النور بنصفين، فجعلني في صلب عبد اللّه، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيَّ النّبوَّة والرسالة، وجعل في عليّ الفروسيّة والفصاحة، واشتقّ لنا اسمين من أسمائه، فربُّ العرش محمود وأنا محمَّد وهو الأعلىٰ وهذا عليّ»(١)

وفي بعض المصادر ورد "جَعَلَ في عليٍّ الوصاية" بدل "جعل في عليٍّ الفروسيَّة والفصاحة"(٢)

---

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: ٥/٥٥، نقلاً عن زين الفتىٰ في تفسير سورة هل أتىٰ.

(٢) المناقب، إبن المغازلي: ٨٩.

وفي حديث آخر:

«جَعَلَ في عليٍّ الخلافة»(١)

وعن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل بسنده عن الصحابي سلمان رضي الله عنه قال: سمعت حبيبي رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول:

«كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي اللّه عزّوجل قبل أن يخلق اللّه آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللّه آدم قسّم ذلك النور جزئين: فجزءٌ أنا وجزءٌ علي.

فلم نزل في شيء واحد، حتّىٰ افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوَّة وفي عليٍّ الخلافة»(٢)

وأخرج إبنُ مردويه بسنده عن الإمام الباقر عليه السّلام: عن أبيه عن جدِّه عليهم السّلام عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«كنتُ أنا وعليٌّ نوراً بين يدي اللّه تعالىٰ من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللّه تعالىٰ آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل اللّه تعالىٰ ينقله من صلب إلىٰ صلب حتّىٰ أقرّه في صلب عبد المطّلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد اللّه، وقسماً في صلب أبي طالب.

---

(١) نفس المصدر: ٨٩.

(٢) فضائل الصّحابة: ٦٢٢/٢، الحديث ١١١٣؛ العمدة: ٨٨، الحديث ١٠٥ و٨٩، الحديث ١٠٧؛ بحار الأنوار: ٢٤/٣٥، الحديث ١٨؛ وقريب من هذا المضمون في: تأريخ مدينة دمشق: ٦٧/٤٢؛ المناقب، الخوارزمي: ١٤٥، الحديث ١٦٩؛ نظم درر السمطين: ٧؛ كشف الخفاء: ٢٦٥/١؛ نهج الإيمان: ٣٩١؛ جواهر المطالب، إبن الدمشقي: ٦١/١.

فعليّ منّي وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبَّه فبحبّي أحبَّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه؛»[١]

وعن الحافظ الخطيب البغداديّ عن إبن عبّاس، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«خلق اللّه قضيباً من نور قبل أن يخلق اللّه الدنيا بأربعين ألف عام. فجعله أمام العرش حتّى كان أوّل مبعثي، فشقَّ منه نصفاً، فخلق منه نبيّكم والنصف الآخر علي بن أبي طالب»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ عن أبي ذر الغفّاري، قال: سمعتُ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول:

«كنت أنا وعليّ نوراً عن يمين العرش، يسبّح اللّه ذلك النور ويقدّسه، قبل أن يخلق اللّه آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلي في شيء واحد، حتّىٰ افترقنا في صلب عبد المطّلب»[٣]

وعن بن عبد اللّه الأنصاري عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إنَّ اللّه عزَّوجلّ أنزل قطعةً من نور فأسكنها في صلب آدم فساقها حتّى قسّمها جزئين، فجعل جزءاً في صلب عبد اللّه وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً وأخرج عليّاً وصيّاً»[٤]

---

(١) المناقب، للخوارزمي: ١٤٥-١٤٦، الحديث ١٧٠؛ نظم درر السمطين: ٧٩؛ كشف الغمّة: ٣٠١/١؛ مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي عليه السّلام: ٢٨٦، الحديث ٤٥١؛ الروضة المختارة (شرح الهاشميّات والعلويّات): ١٢٣.

(٢) كفاية الطالب: ٣١٤، باب ٨٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٦٧/٤٢.

(٣) العمدة: ٩٠، الحديث ١٠٨؛ ينابيع المودّة: ٤٧/١، الحديث ٩؛ المناقب، الخوارزمي: ٥٤، الحديث ١٦٩؛ المناقب، إبن المغازلي: ٨٩، الحديث ١٣١؛ كتاب الفضائل، أحمد بن حنبل: ٦٦٢/٢.

(٤) كتاب الأربعين: ٥٣؛ العمدة: ٩٠؛ المناقب لإبن المغازلي: ٨٩.

وأخرج الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عن سلمان رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم:

«خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور عن يمين العرش، نسبّح اللّه ونقدّسه من قبل أن يخلق اللّه عزَّوجل آدم بأربعة عشر آلاف سنة، فلمّا خلق اللّه آدم نقلنا إلىٰ أصلاب الرجال وأرحام النساء الطاهرات.

ثمَّ نقلنا إلىٰ صلب عبد المطّلب وقسّمنا بنصفين: فجعل النصف في صلب أبي، عبد اللّه، وجعل النصف في صلب عمّي أبي طالب، فخلقت من ذلك النصف، وخلق علي من النصف الآخر.

واشتقّ اللّه لنا من أسمائه اسماً، واللّه محمود وأنا محمَّد، واللّه الأعلىٰ وأخي علي، واللّه فاطرٌ وابنتي فاطمة، واللّه محسن وابناي الحسن والحسين، وكان اسمي في الرسالة والنبوَّة، وكان اسمه في الخلافة والشجاعة. فأنا رسول اللّه، فعليّ سيف اللّه»[١]

وعن إبن عباس قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«لمّا خلق اللّه آدم عزَّوجل ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه اللّه: (الحمد للّه ربّ العالمين).

فقال له ربّه: يرحمك اللّه.

فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العُجْبُ (عَجَب) فقال: يا ربِّ! خلقت خلقاً أحبّ إليك منّي؟ فلم يجب.

---

(١) فرائد السمطين: ٤١/١، الحديث ٥؛ الخصائص العلويّة (مخطوط).

ثمَّ قال ثانية، فلم يجب.

ثمَّ قال ثالثة، فلم يجب.

ثمَّ قال اللّه عزَّوجل له: نعم، ولولاهم ما خلقتك.

فقال: يا ربّ! فأرنيهم!

فأوحىٰ اللّه عزَّوجلّ إلىٰ ملائكة الحجب أن ارفوا الحجب.

فلمّا رفعت، إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش.

فقال: يا ربّ! من هؤلاء؟

قال: يا آدم! هذا محمَّد نبيّي، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّي ووصيّه، وهذه فاطمة إبنة نبيّي، وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبيّي.

ثمَّ قال: يا آدم! هم ولدك.

ففرح بذلك.

فلمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّ! أسئلك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي.

فغفر اللّه له بهذا.

فهذا الّذي قال اللّه عزَّوجل: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[١]، فلمّا هبط إلىٰ الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه: محمّد رسول اللّه وعلي أمير المؤمنين. ويكنّىٰ آدم بأبي محمَّد[٢]

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٣٧.

(٢) الخصائص العلويّة (مخطوط)؛ اليقين: ١٧٤ و١٧٥؛ بحار الأنوار: ١١/١٧٥، الحديث ٢٥.

وفي رواية اُخرى في ذيل نفس قصّة آدم عليه السّلام، هكذا ورد:

«قال آدم: فمن هؤلاء الخمسة الّذين أرىٰ أسمائهم في هيئتي وصورتي؟

قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، ولولاهم ما خلقت الجنّة والنار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمَّد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين. آليت بعزّتي أنَّه لا يأتيني أحد بمثقال حبَّة من خردلٍ من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناري ولا اُبالي.

يا آدم! هؤلاء صفوتي بهم اُنجيهم واُهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل.

فقال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلَّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلىٰ اللّه حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[١]

كان ذلكم بعض الروايات الواردة في كتب أهل السنّة عن أبي حاتم الرازي، عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، الخطيب البغدادي، إبن عساكر الدمشقي، أبي نعيم الإصبهاني، أبي بكر إبن مردويه الإصفهاني و...بأسانيد متعدّدة، وإنَّ هذا المقدار من الروايات يكفي لهذا البحث.

---

(١) كتاب الأربعين: ٣٩٥-٣٩٦، ونقل هذا الحديث في بحار الأنوار: ٥/٢٧، الحديث ١٠، بتفاوت طفيف؛ فرائد السمطين: ٣٦/١.

روايات خلقة الأئمّة النوريّة عند الشيعة

وهذه عدّة الروايات في خلقة الأئمّة النورانيّة، مما ورد في المصادر الشيعيّة:

روىٰ الكليني عن بكير بن أعين عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه كان يقول:

«إنّ اللّه أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق علىٰ الذّرّ، بالإقرار بالربوبيّة ولمحمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بالنبوّة،

وعرض اللّه عزّوجل علىٰ محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أمته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم،

وخلق اللّه أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه، وعرّفهم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وعرفهم عليّاً، ونحن نعرفهم في لحن القول»[١]

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«قال اللّه تبارك وتعالىٰ: يا محمّد! إنّي خلقتك وعليّاً نوراً - يعني روحاً بلا بدن - قبل أنْ أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تُهلّلني وتمجّدني.

ثمَّ جمعت روحيكما فجعلتكما واحدةٍ، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني.

ثمَّ قسّمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة، محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان.

ثمّ خلق اللّه فاطمة من نورٍ ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمَّ مسحنا بيمينه فافضىٰ نوره فينا»[٢]

---

(١) الكافي: ٤٣٨/١، الحديث ٩؛ بصائر الدرجات: ١٠٩،الحديث ١؛ بحار الأنوار ١٢٥/٢٦-١٢١، الحديث٩.

(٢) الكافي: ٤٤٥/١، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٨/١٥و١٩، الحديث ٢٨.

ولمّا لم يكن غرضنا الدخول في هذا المطلب بالتفصيل، فإنّنا سنقتصر علىٰ شرح عبارات الزيارة الجامعة، وهي قوله عليه السّلام:

خَلَقَكُمْ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ

عن محمّد بن سنان ـ ذلك الّذي لا نشكُّ بوثاقته، وبالتدقيق في رواياته لا نجد أيَّ مؤشرٍ لرميه بالغلوّ ـ قال:

«كنت عند أبي جعفرٍ عليه السّلام؛ فأجريت اختلاف الشيعة.

فقال: يا محمَّد! إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ لم يزل متفرّداً بوحدانيَّته ثمَّ خلق محمَّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمَّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرىٰ طاعتهم عليها وفوَّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء اللّه تبارك وتعالىٰ»؛

والعجيب أنَّه جاء في ذيل هذه الرواية إنَّ الإمام الجواد عليه السّلام قال لمحمّد بن سنان:

«يا محمَّد، هذه الديانة التي من تقدَّمها مَرِقَ، ومن تخلَّف عنها مَحق، ومن لزمها لَحِق. خذها إليك يا محمّد»[1]

ولعلَّه قد خطر في ذهن البعض بأنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، –ولأنَّهم قد خلقوا من نور اللّه المتعال – قدماء كقدم الباري عزَّوجل، وهذه الرواية صريحة في تكذيب هذا المعنىٰ.

---

(١) الكافي: ٤٤١/١، الحديث ٥؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٢٥، الحديث ٢٤.

كما إنَّ البعض قد تأمَّل وقال: ما هو المراد من الإطاعة والتفويض في الرواية؟!

ونقول لهم: إنَّ هذا المعنىٰ هو نفس "الولاية" التي شرحناها في الكتاب.

والمستفاد من الرواية إنَّ مثل هذه المطالب والحقائق لا يسهل علىٰ الجميع دركها وفهمها، ولذا ينبغي أن لا يباح بها للجميع، وما كنّا لنذكرها لولا أنَّها كتبت في الكتب ووصلت إلينا.

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«إنَّ بعض قريش قال لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟

قال: إنّي كنت أوّل من آمن بربّي وأوّل من أجاب حين أخذ اللّه ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَىٰ﴾ فكنت أنا أوّل نبيّ قال بلى، فسبقتهم بالإقرار باللّه»[١]

وعن المفضَّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام:

«كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟

فقال: يا مفضَّل! كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء نسبّحه ونقدّسه ونهلّلهُ ونمجّده، وما من ملك مقرَّب ولا ذي روح غيرنا، حتّى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمَّ أنهىٰ علم ذلك إلينا»[٢]

---

(١) الكافي: ١/٤٤١، الحديث ٦؛ بحار الأنوار: ١٦/٣٥٣، الحديث ٣٦.

(٢) الكافي ١ / ٤٤١ الحديث ٧؛ بحار الأنوار: ١٥/٢٤، الحديث ٤٥.

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام قال:

«إنّا أوّل بيت نوّه اللّه بأسماءنا. إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادىٰ: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه -ثلاثاً- أشهد أنَّ محمّداً رسول اللّه -ثلاثاً- أشهد أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً -ثلاثاً-»(١)

وكلمة "حقّاً" في حقِّ أمير المؤمنين عليه السّلام، كلمة مهمّة، وذلك لأنَّ المستفاد منها بأنَّ البعض لم يؤمن بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام منذ ذلك الوقت.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، إنّه قال:

«إنَّ اللّه كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نُوّرت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً. فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوِّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهَّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّىٰ افترقا في أطهر الطاهرين، في عبد اللّه وأبي طالب.»(٢)

وعن جابر بن يزيد الجعفي رحمه الله، قال: قال لي أبو جعفر الباقر عليه السّلام:

«يا جابر! إنَّ اللّه أوَّل ما خلق خلق محمَّداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي اللّه.

قلتُ: وما الأشباح؟

---

(١) الكافي ١ / ٤٤١: الحديث ٨؛ بحارالأنوار: ٣٦٨/١٦، الحديث ٧٨.

(٢) الكافي ١ / ٤٤٢، الحديث ٩؛ بحار الأنوار ٢٤/١٥، الحديث ٤٦.

قال: ظلّ النور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحدةٍ وهي روح القدس، فبه كان يعبد اللّه، وعترته،[١] ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون اللّه بالصلاة والصّوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجّون ويصومون.»[٢]

وفي كلام لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام في بعض خطبه، قال:

«إنّا آل محمد، كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا اللّه بالتسبيح، فسبّحنا فسبّحته الملائكة بتسبيحنا.

ثمَّ أهبطنا إلىٰ الأرض، فأمرنا بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإنّا لنحن الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون.»[٣]

وعن إبن عبّاس، قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«خلقني اللّه نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بإثني عشر ألف سنة، فلمّا أن خلق اللّه آدم ألقىٰ النور في صلب آدم، فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلىٰ صلب حتّىٰ تفرقنا في صلب عبد اللّه بن عبد المطلب وأبي طالب، فخلقنا ربّي من ذلك النور لكنّه لا نبيَّ بعدي»[٤]

وجاء في رواية أُخرىٰ أنَّ النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، قال:

«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي اللّه جلَّ جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف

---

(١) أي: وعترته أيضاً كانوا مؤيّدين بروح القدس.

(٢) الكافي ١ / ٤٤٢، الحديث ١٠؛ بحارالأنوار: ٢٥/١٥، الحديث ٤٧.

(٣) غاية المرام: ٤٧/١، وهذا الحديث موجود أيضاً في بحار الأنوار: ٨٨/٢٤، الحديث ٣، مع تفاوت بسيط نقلاً عن كنز الفوائد؛ البرهان: ٢٩/٤، الحديث ٣.

(٤) تفسير فرات: ٥٠٤ و٥٠٥، الحديث ٦٦٢؛ بحار الأنوار ٦/١٥، الحديث ٦.

عام، فلمّا خلق اللّه آدم سلّط ذلك النّور في صلبه، فلم يزل اللّه عزّوجل ينقله من صلب إلىٰ صلب حتّىٰ أقرّه في صلب عبد المطّلب.

ثمّ أخرجه من صلب عبد المطّلب فقسّمه قسمين، فصيّر قسم في صلب عبد اللّه وقسم في صلب أبي طالب.

فعليٌّ منّي وأنا من علي، لحمه من لحمي ودمه من دمي، فمن أحبّني فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه»(١)

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«إنَّ اللّه عزّوجل خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام.

قلت: فأين كنتم يا رسول اللّه؟

قال: قدّام العرش نسبّح اللّه تعالىٰ ونحمده ونقدّسه ونمجده.

قلت: يا علي أيّ مثال؟

قال: أشباه النور...»(٢)

وعن الإمام الصّادق عليه السّلام قال:

«أما علمت إنَّ محمّداً وعليّاً صلوات اللّه عليهما كانوا نوراً بين يدي اللّه جلّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام، وإنَّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعّب فيه شعاعٌ لامع.

فقالت: إلهنا وسيّدنا! ما هذا النور؟!

---

(١) الخصال: ٦٤٠، الحديث ١٦؛ بحار الأنوار: ٣٣/٣٥، الحديث ٣٠؛ نظم درر السمطين: ٧؛ ينابيع المودّة: ٤٩٥/٢، الحديث ٣٧٩.

(٢) علل الشرائع: ٢٠٨/١ و٢٠٩، الحديث ١١؛ بحار الأنوار: ٧/١٥، الحديث ٧.

فأوحىٰ اللّه عزَّوجل إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوَّة وفرعه إمامة، أمّا النبوَّة، فلمحمّد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة، فلعلي حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي...»[١]

وعن الإمام زين العابدين عليه السّلام، قال:

«إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ خلق محمّداً وعليّاً والأئمَّة الأحد عشر من نور عظمته، أرواحنا في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون اللّه عزَّوجل ويقدّسونه، وهم الأئمَّة الهادية من آل محمَّدٍ عليهم السّلام.»[٢]

وروى الشيخ المفيد رحمه اللّه عن سلمان رضي الله تعالى عنه أنَّ النبيَّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«خلقني اللّه من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة، فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن نور علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه.

فسمّانا بالخمسة الأسماء من أسمائه: اللّه المحمود وأنا محمَّد، واللّه العلي وهذا علي، واللّه الفاطر وهذه فاطمة، واللّه ذو الإحسان وهذا الحسن، واللّه المحسن وهذا الحسين.

ثمَّ خلق منّا من صلب الحسين تسعة أئمَّة، فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق اللّه سماءاً مبنيَّةً ولا أرضاً مدحيَّة أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه نوراً نسبّحه ونسمع ونطيع»[٣]

---

(١) علل الشرائع ١٧٤/١، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٨٠/٣٨، ذيل الحديث ٢.

(٢) كمال الدين "٣١٨-٣١٩، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٣/١٥، الحديث ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ٩/١٥، الحديث ٩، نقلاً عن الخصال: ١٤٢/٥٣، الحديث ١٦٢، نقلاً عن كتاب

وروىٰ الشيخ الطوسي في أماليه، إنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان ذات يوم جالساً في رحبة الكوفة وقد إجتمع الناس حوله، فجاء رجلٌ وسأل سؤالاً، فأجابه الإمام إلىٰ أن قال عليه السّلام:

«و الَّذي بعث محمّداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بالحقّ نبيّاً، إنَّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفيء أنوار الخلق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ونوري ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ومن ولده من الأئمَّة؛ لأنَّ نوره من نورنا الّذي خلقه اللّه عزَّوجل من قبل أن يخلق آدم بألفي عام.»[١]

وينبغي الإشارة هنا إلىٰ أنّ في كلٍّ واحدةٍ من هذه الروايات نكتة أو نكاتٍ مهمّة في أبواب المعرفة، سنشير إلىٰ بعضها قريباً.

وعن الإمام الصادق عليه السّلام عن جدِّه أمير المؤمنين عليه السَّلام عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن جبرئيل عليه السّلام قال:

«يا محمد! إنَّ اللّه جعلك سيّد الأنبياء، وجعل عليّاً سيّد الأوصياء وخيرهم، وجعل الأئمَّة من ذريّتكما إلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها. فسجد علي صلوات اللّه عليه وجعل يقبّل الأرض شكراً للّه تعالىٰ.

وإنَّ اللّه جلّ إسمه خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام أشباحاً يسبّحونه ويمجّدونه ويهلّلونه بين يدي عرشه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فجعلهم نوراً ينقلهم في ظهور الأخيار من الرجال وأرحام الخيرات المطهّرات والمهذّبات من النساء من عصرٍ إلىٰ عصر.

← المحتضر: ١٥٢.

(١) أمالي، الشيخ الطوسي: ٣٠٥، الحديث ٦١٢؛ كنز الفوائد: ٨٠؛ بحار الأنوار: ١١٠/٣٥، الحديث ٣٩، بتفاوت بسيط.

فلمّا أراد اللّه عزَّوجل أن يبيّن لنا فضلهم ويعرّفنا منزلتهم ويوجب علينا حقّهم، أخذ ذلك النور فقسّمه قسمين: جعل قسماً في عبد اللّه بن عبد المطّلب، فكان منه محمّد سيد النبيّين وخاتم المرسلين وجعل فيه النبوَّة.

وجعل القسم الثاني في عبد مناف وهو أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ابن عبد مناف، فكان منه علي أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وجعله رسول اللّه وليّه ووصيّه وخليفته وزوج إبنته وقاضِيَ دِيْنه (دينِه) وكاشف كربته ومنجز وعده وناصر دينه.»(١)

والروايات في هذا المضمار كثيرة، نكتفي بما نقلناه منها.

إشارةٌ إلىٰ فوائد مهمَّة

في الروايات الشيعيَّة والسنيَّة التي نقلناها في هذا الموضوع، فوائد مهمّة يمكن استخلاصها فيما يلي:

١- كما أنَّ نبوَّة النبيِّ الأكرم محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كانت مقرَّرة من عالمٍ سابق علىٰ عالمنا، فكذلك الوصاية، الخلافة، والولاية لأمير المؤمنين عليٍّ والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، كانت مقرَّرة من ذلك العالم.

٢- إنَّ الملائكة الكرام المقرَّبين، قد تعلّموا عبادة اللّه تعالىٰ من حضرات المعصومين عليهم الصَّلاة والسّلام.

٣- لولا وجود الأئمَّة عليهم السّلام، لم يُخلَق آدم عليه السّلام.

(١) دلائل الإمامة: ٥٧، الحديث ٣؛ اليقين: ٢٢٧، مع تفاوت بسيط؛ بحار الأنوار: ٢٧/٣٥، الحديث ٢٢.

٤- إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، أفضل من آدم وسائر الأنبياء، ما عدا رسول اللّه محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

٥- إنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام مساوٍ لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في كلِّ الكمالات ما عدا النبوَّة.

٦- إنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام، أفضل الخلائق بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولا شكَّ في تعيُّن الفرد الأفضل للخلافة والإمامة والوصاية.

٧- إنَّ الأئمّة عليهم السّلام، كانوا في ذلك العالم محدقين بعرش اللّه سبحانه وتعالىٰ، يعبدون ويسبِّحون ويهلِّلون ويحمدون اللّه و...

كلامٌ في العرش

وهناك بحوث موسعة وعميقة حول العرش، ذكرت في كتب التفسير والحديث والمعارف والكلام، كما وصنِّفت كتب عديدة في هذا الخصوص.

وقد يتصوَّر عوامُ الناس بأنَّ العرش عبارةٌ من منصَّة عظيمة وضعت في العالم الأعلىٰ ليستقرَّ عليها اللّه سبحانه وتعالىٰ!! ولعلَّهم إستوحوا ذلك من ظاهر بعض الآيات القرآنيَّة الشريفة.يقول القرآن الكريم:

﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾[1]

ونقرأ في آيةٍ أُخرىٰ:

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجيدُ ﴾[2]

---

(١) سورة طه (٢٠): الآية ٥.

(٢) سورة البروج (٨٥): الآية ١٥.

وأمّا الراغب الإصفهاني فيقول في معنى العرش:

«العرش في الأصل شيءٌ مسقف... وسمّي مجلس السلطان عرشاً إعتباراً بعلوّه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] ﴿أَيُّكُم يأْتيني بِعَرْشِها﴾[2]... وكنّىٰ به عن العزّ والسّلطان والملكة... وعرش اللّه ما لا يعلمه البشر علىٰ الحقيقة إلاّ بالإسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة.»[3]

إذن، فمتىٰ ما جاءت كلمة "العرش" في القرآن المجيد والروايات، فهي كناية عن السّلطنة الإلهيّة العظيمة، وإشارة إلىٰ قدرة اللّه عزّوجل، إذ ليس اللّه تعالىٰ بجسمٍ حتّىٰ يحتاج إلىٰ مكان يجلس عليه ويستقرّ فيه.

ومع إنّ الراغب الإصفهاني، أشعريّ المذهب، ولكنّك رأيت ما قاله حول العرش.

ولإبن تيميّة كتاب "العرش".[4]

ويقول كبار علماء العامّة: إنّ إبن تيميّة يصرِّح في كتابه بأنّ اللّه تعالىٰ جسمٌ وهو مستقرٌّ علىٰ العرش.[5]

ولابدَّ من الإشارة هنا إلىٰ إنّ علماء العامّة المعاصرين لإبن تيميّة، قد تكلّموا فيه بسبب كتابه لمذكور حتى أنهم لعنوه، كالشيخ أبي حيّان الأندلسي النحوي اللّغوي المفسّر صاحب البحر المحيط في التفسير، فقد قال الزبيدي في كتاب

---

(١) سورة يوسف (١٢): الآية ١٠٠.

(٢) سورة النمل (٢٧): الآية ٣٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٢٩.

(٤) قد تعرّضنا لهذا الموضوع في كتابنا: شرح منهاج الكرامة. راجع المدخل: دراسات في منهاج السنة: ١٠٢.

(٥) راجع كتاب كشف الظنون: ١٤٣٨/٢.

إتحاف السّادة المتّقين في شرح إحياء علوم الدين:

«كتاب العرش من أقبح كتبه (إبن تيميّة). ولما وقف عليه الشيخ أبو حيّان ما زال يلعنه حتّىٰ مات بعد أن كان يعظّمه»[١]

وعلىٰ الجملة، فإنَّ بعض ألفاظ القرآن الكريم إنْ كان لها ظهور في جسمانيّة اللّه تعالىٰ، أو إدُّعي ظهورُها فيها، فلا مناص من تفسير تلك الآيات الكريمات بما يتناسب مع نصوص القرآن الكريم، ومع الأدلّة القطعيّة التي تدلُّ علىٰ نـفي الجسمانيّة عنه تعالىٰ.

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّ المراد من عرش اللّه تعالىٰ هو العظمة والقدرة وسلطنة اللّه عزَّوجل، والمراد من كون الأئمة محدقين بالعرش أنّ الله مكنّهم من القـيام ببعض الامور، وأقدرهم على التصرّف في الخلق، فهم كالوزراء الذين يحيطون بالسلطان ويُعَدّون من جملة أدوات جهازه الجهاز الحاكم علىٰ الكون.

الأسماء المكتوبة علىٰ العرش

ومن هنا، فإنَّ الأحاديث الواردة بطرق الشيعة والسنَّة تتحدّث عن إنَّ إسمَ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام مكتوب إلىٰ جنب إسم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله حول العرش.

وإليكم بعض تلك الروايات:

روىٰ القاضي عياض المالكي -وهو من كبار محدّثي وعلماء أهل السنّة، وهو مالكي المذهب- بسنده عن أبي الحمراء أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

(١) إتحاف السّادة المتّقين في شرح إحياء علوم الدّين: ١٠٦/١.

«لمّا أُسري بي إلىٰ السّماء إذا علىٰ العرش مكتوب: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه أيَّدتُه بعليٍّ»[١]

وفي رواية أُخرىٰ يقول: سمعت عن رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله إنَّه قال:

«لمّا أُسري بي إلىٰ السماء رأيت علىٰ ساق العرش الأيمن: أنا اللّه وحدي، لا إله غيري، غرستُ جنَّة عدنٍ بيدي، محمّدٌ صفوتي، أيَّدته بعليٍّ»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ يقول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«مكتوب علىٰ ساق العرش:

أنا غرست جنّة عَدنٍ بيدي، محمَّدٌ صفوتي من خلقي، أيَّدتُه بعليٍّ»[٣]

وروى الحافظ محبّ الدين الطبري في كتاب "الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشَّرة" في قسم "فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام" تحت عنوان: "ذكر إختصاصه بتأييد اللّه نبيّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله به وكتبه ذلك علىٰ ساق العرش" عن أبي الحمراء قال

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«ليلة أُسري بي إلىٰ السماء نظرت إلىٰ ساق العرش الأيمن، فرأيتُ كتاباً عن يمينه: محمّد رسول اللّه أيَّدته بعلي ونصرته به»[٤]

وعن إبن عبّاس قال:

«كُنّا عند النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إذا بطائر في فيه لوزة خضراء، فألقاها في

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ١٧٤/١؛ ينابيع المودَّة: ٦٩/١، الحديث ٣٨.

(٢) نظم درر السمطين: ١٢٠؛ كشف الغمَّة: ٣٦٦/١، حلية الأولياء: ٢٧/٣؛ فرائد السمطين: ٢٣٥/١؛ المناقب لابن المغازلي: ٣٢.

(٣) المناقب، الخوارزمي: ٣٢١، الحديث ٣٢٦؛ حلية الأولياء: ٢٧/٣.

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة: ٢٢٧/٢.

حجر النبي، فقبلها ثمّ كسرها فإذا في جوفها ورقة خضراء مكتوبة: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، نصرته بعليّ»[١]

أخرج أحمد بن حنبل:

«مكتوب علىٰ باب الجنَّة: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، عليٌ أخو رسول اللّه قبل أن يخلق اللّه السماوات».

وجاء في لفظ آخر:

«قبل أن تُخلق السماوات بألفي عام»[٢]

وفي هذا الباب رواية مفصَّلة رواها القوم عن إبن مسعود قال، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«لمّا أُسري بي إلى السماء، أُمر بعرض الجنّة و النار عليّ، فرأيتهما جميعاً، رأيت الجنّة و ألوان نعيمها، و رأيت النار و أنواع عذابها.

فلمّا رجعت قال لي جبرئيل عليه السّلام: هل قرأت يا رسول اللّه ما كان مكتوباً علىٰ أبواب الجنّة، وما كان مكتوباً على أبواب النار؟

فقلت: لا، يا جبرئيل!

فقال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، علىٰ كلّ باب منها أربع كلمات؛ كلّ كلمة خير من الدّنيا و ما فيها لمن علمها وعمل بها، وإنَّ للنار سبعة أبواب، علىٰ كلّ باب منها ثلاث كلمات، كلّ كلمة خير من الدنيا والآخرة لمن علمها وعرفها.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) كشف الغمّة: ١/٣٠٥؛ فيض القدير: ٤/٤٦٨؛ شواهد التنزيل: ١/٢٩٦؛ تأريخ بغداد: ٧/٣٩٨، رقم ٣٩١٩؛ تأريخ مدينة دمشق: ٤٢/٥٩ و٣٣٦؛ ميزان الإعتدال: ١/٢٦٩، الحديث ١٠٠٦؛ لسان الميزان: ١/٤٥٧؛ المناقب، الخوارزمي: ١٤٤، الحديث ١٦٨؛ كنز العمّال: ١١/٦٢٤، الحديث ٣٣٠٤٣.

فقلت: يا جبرئيل! إرجع معي لأقرأها.

فرجع معي جبرئيل، فبدأ بأبواب الجنّة.

فإذا على الباب الأول منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيء حيلة و حيلة طيب العيش في الدّنيا أربع خصال: القناعة، و نبذ الحقد، و ترك الحسد، و مجالسة أهل الخير.

و على الباب الثّاني منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه. لكلّ شيء حيلة، و حيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامىٰ، و التعطّف على الأرامل، و السعي في حوائج الناس، و تفقّد الفقراء و المساكين.

و على الباب الثّالث منها مكتوب: لا إله الا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، كلّ شيء هالك إلاّ وجهه، لكلّ شيء حيلة و حيلة الصحّة في الدّنيا أربع خصال: قلّة الكلام، و قلّة المنام، و قلّة المشي، وقلّة الطعام.

و على الباب الرّابع منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، ومن كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليبرّ والديه، ومن كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت.

و على الباب الخامس منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، من أراد أن لا يذلّ فلا يذلّ، و من أراد أن لا يشتم فلا يشتم، و من أراد أن لا يظلم فلا يظلم، و من أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بقول: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، علي ولي اللّه.

و على الباب السّادس منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، من أحبّ أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فلينفق علىٰ المساجد، ومن أحبّ

أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، ومن أحبّ أن لا يظلم لحده فلينوّر المساجد، ومن أحبّ أن يبقىٰ طريّاً تحت الأرض فليبسط المساجد.

و على الباب السّابع منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، بياض القلوب في أربع خصال: في عيادة المريض، و إتّباع الجنائز، وسدي أكفان الموتىٰ ودفع القرض.

و على الباب الثّامن منها مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، من أراد الدخول من هذه الأبواب الثمانية فليستمسك بأربع خصال: بالصّدقة، و السخاء، و حسن الخلق، و كفّ الأذىٰ عن عباد اللّه عزّوجلّ.

ثمّ جئنا إلى أبواب جهنّم: فإذا علىٰ الباب الأوّل منها مكتوب ثلاث كلمات: من رجىٰ اللّه سعد، ومن خاف اللّه أمن، والهالك المغرور من رجىٰ سوىٰ اللّه وخاف غيره.

و علىٰ الباب الثّاني منها مكتوب: ويل لشارب خمر، ويل لشاهد زور، ويل لعاق أبويه.

و على الباب الثّالث منها مكتوب: من أراد أن لا يكون عرياناً في القيامة فليكس الجلود العارية في الدنيا، و من أراد أن لا يكون جائعاً في القيامة فليطعم البطون الجائعة في الدنيا، ومن أراد أن لا يكون عطشاناً فليسق العطشان في الدّنيا.

و على الباب الرّابع منها مكتوب ثلاث كلمات: أذلّ اللّه من أهان الإسلام، أذلّ اللّه من أذلّ أهل بيت نبيّ اللّه، أذلّ اللّه من أعان الظّالمين على ظلم المخلوقين.

و على الباب الخامس منها مكتوب ثلاث كلمات: لا تتّبع الهوىٰ، فإنّ الهوىٰ يجانب الإيمان، ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من عين ربّك، و لا تكن عوناً للظالمين؛ فإنّ الجنّة لم تخلق للظالمين.

و على الباب السّادس منها مكتوب ثلاث كلمات: حاسبوا أنفسكم من قبل أن تحاسبوا، و وبّخوا أنفسكم قبل أن توبّخوا، و ادعوا اللّه عزّوجل قبل أن تردوا عليه ولا تقدروا على ذلك.

و على الباب السّابع منها مكتوب ثلاث كلمات: أنا حرام على المتهجّدين، أنا حرام علىٰ الصّائمين، أنا حرام على المتصدّقين.»[١]

وجاء في رواية أُخرىٰ:

«إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب علىٰ كلّ أبواب منها أربع كلمات، كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن تعلمها واستعملها، وإنَّ للنار سبعة أبواب علىٰ كلّ باب منها ثلاث كلمات كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن تعلمها وعرفها...»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«لمّا عُرِجَ بي إلىٰ السماء رأيت علىٰ باب الجنَّة مكتوباً بـالذهب: لا إله إلاّ اللّه، محمد حبيب اللّه، علي ولي اللّه، فاطمة أمة اللّه، الحسن والحسين صفوة اللّه، علىٰ مبغضيهم لعنة اللّه»[٣]

وجاء في رواية أُخرىٰ:

«لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، عليٌّ حبيبُ اللّه»[٤]

---

(١) مدينة المعاجز: ٣٥٨/٢، وروي هذا الحديث بتفاوت طفيف في نظم درر السمطين: ١٢٢-١٢٤؛ فضائل شاذان بن جبرئيل: ١٥٢-١٥٤.

(٢) كتاب الأربعين: ٣٦٥؛ نظم درر السمطين ١٢٢.

(٣) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٣٥، الحديث ٧٣٨؛ الطرائف: ٦٤، الحديث ٦٥؛ الجواهر السنيَّة: ٢٩٩؛ مدينة المعاجز: ٣٥٤/٢، الحديث ٥٩٩؛ بحار الأنوار: ٥٤/٢٧، الحديث ٨؛ ميزان الإعتدال: ١٩٤/٤، الحديث ٥١٥ و٧٠/٥، الحديث ٢٣٤؛ المناقب، الخوارزمي: ٣٠٢، الحديث ٢٩٧؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السّلام، إبن عساكر: ١٨٦؛كشف الغمَّة: ٩٣/١ و١٤٩/٢، جاء في بعض المصادر: «علىٰ باغضيهم لعنة اللّه».

(٤) بعض مصادر الحاشية السابقة.

وعن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«لمّا أنْ خلق اللّه آدم ونفخ فيه من روحه، عطس آدم فقال: الحمد للّه.

فأوحىٰ اللّه تعالىٰ إليه: حمدني عبدني، وعزّتي وجلالي، لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك.

قال: إلهي فيكونان منّي؟

قال: نعم يا آدم! ارفع رأسك وانظر.

فرفع رأسه فإذا هو مكتوب علىٰ العرش: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه نبي الرحمة، علي مقيم الحجَّة، ومن عرف حقّ علي زكى وطاب، ومن أنكر حقَّه لعن وخاب. أقسمت بعزَّتي أن أدخل الجنَّة من أطاعه وإنْ عصاني، وأقسمت بعزَّتي أن أدخل النار من عصاه وإنْ أطاعني.»[١]

وجاء في رواية أُخرىٰ إنَّ إسمَ أمير المؤمنين عليه السّلام قد كتب علىٰ كتف ملك من الملائكة إسمُه صرصائيل.

فقد روي عن الإمام الصادق عن أبائه أنَّ أمير المؤمنين عليهم السّلام قال:

«بينا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في بيت أمّ سلمة، إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كلّ رأس ألف لسان، يسبّح اللّه ويقدّسه بلغة لا تشبه الأخرىٰ، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنّه جبرئيل.

فقال: يا جبرئيل! لم تأتني في مثل هذه الصورة قط.

---

(١) المناقب الخوارزمي: ٣١٨، الحديث ٣٢. ؛ بحار الأنوار: ١٥/٢٧، الحديث ٢٢، نقلاً عن إيضاح دفائن النواصب: ٣٤ و٣٥؛ ينابيع المودّة: ٤٨/١ و٤٩، الحديث ١١.

قال الملك: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثني اللّه إليك لتزوّج النور من النور.

فقال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: من ممّن؟

قال: إبنتك فاطمة من علي بن أبي طالب.

فزوّج النبيّ فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل.

قال: فنظر النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، علي بن أبي طالب مقيم الحجّة.

فقال النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: يا صرصائيل! منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟

قال: من قبل أن يخلق اللّه الدنيا بإثني عشر ألف سنة.»[١]

وفي رواية أُخرىٰ إنَّ إسم عليٍّ عليه السّلام مكتوب علىٰ جناح جبرائيل.

فعن الصادق عليه السّلام عن آبائه الطاهرين إنَّ عليّاً عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«أتاني جبرئيل وقد نشر جناحَيه فإذا فيهما مكتوب: لا إله إلاّ اللّه محمّد النبيّ ومكتوب علىٰ الآخر: لا إلّه إلاّ اللّه عليّ الوصيّ»[٢]

وكذلك ورد أنّه مكتوب علىٰ جبهة ملك لواء الحمد. قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«لمّا عرج بي إلىٰ السماء رأيت في السماء الرابعة أو السادسة ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وفي جبهته مكتوب: أيّد اللّه محمّداً بعليّ.

---

(١) مائة منقبة: ٣٥؛ كشف الغمّة: ٣٦١/١؛ بحار الأنوار: ١٢٣/٣٤، الحديث ٣١.

(٢) المناقب، الخوارزمي: ١٤٧؛ كشف الغمّة: ٣٠٢/١؛ بحار الأنوار: ٩/٢٧، الحديث ١٩.

فبقيت متعجّباً، فقال لي ذلك الملك: ممّ تعجّب؟ كتب اللّه في جبهتي ماترى قبل خلق الدنيا بألفي عام»[١]

وروىٰ الحافظ أبو نعيم الإصفهاني، عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي الله عنه قال:

«بينا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يوماً في مسجد المدينة، فذكر بعض أصحابنا الجنَّة.

فقال: أما علمت أنَّ للّه لواءً من نور وعموداً من زبرجد خلقهما قبل أن يخلق السماوات بألفي سنة. مكتوب علىٰ رداء ذلك اللواء: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، آل محمّد خير البريَّة»[٢]

وعلىٰ الجملة، فإنَّ هذه المجموعة من الروايات، مضافاً إلىٰ أخبار النور المتقدِّمة وما تشتمل عليه من دلالات في خلقة أهل البيت ومنازلهم عند اللّه يمكن أنْ تكون شرحاً مناسباً لهذا المقطع من الزيارة الجامعة.

حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ

المِنَّةُ علىٰ أهل الأرض

وهذه العبارة من الزيارة تتعلّق بوجود الأئمّة عليهم السّلام في هذا العالم، وإنَّ وجودهم مِنَّةٌ من اللّه تعالىٰ علىٰ الخلائق.

---

(١) المحتضر: ٩٩، ورُوي هذا الحديث في مناقب الخوارزمي: ٣٠٩ بتفاوت طفيف.
(٢) شواهد التنزيل: ٤٦٨/٢، الحديث ١١٤١؛ كشف اليقين: ٣٨٥؛ بحار الأنوار: ٢١٨/٣٩، الحديث ١١.

في معنىٰ المنَّة

قال الراغب:

«والمنَّة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك علىٰ وجهين: أحدهما أن يكون ذلك بالفعل، والثاني أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين النـاس إلاّ عـند كفران النعمة. فيقال: منّ فلانٌ علىٰ فلان إذا أثقله بالنعمة.

وذلك علىٰ الحقيقة لا يكون إلاّ للّه تعالىٰ»(١)

والمنّة بالمعنىٰ الحقيقيّ لها، لا تصحّ إلاّ من اللّه تعالىٰ، وأمّا الآخرون فهم ليسوا مالكين حقيقيين ليكون لهم المنَّة علىٰ أحد.

ومن أنعم علىٰ أحد، أو قدَّم له خدمة ثم ذَكَرها، عُدَّ ذلك من القبيح.

أقسام المنَّة الثلاث

وإنَّ هذا المقطع من الزيارة يحتاج إلىٰ مزيد تأمّل وتدقيق، فنقول: إنَّ تتحقّق المنَّة علىٰ ثلاثة أوجه:

١- المنّة بفعلٍ من الأفعال، كأن يؤدي له عملاً مّا، من باب الإمتنان عليه.

٢- المنّة القوليَّة، وهو قول كلامٍ من باب الإمتنان.

٣- المنّة بواسطة شخص مّا.

ونقول في الزيارة الجامعة للأئمَّة: إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ ـ ومن لطفه علينا ـ قد نقلكم يا أهل البيت من ذلك العالم إلىٰ عالمنا، فمنَّ بكم علينا وعلىٰ الخلائق.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٤.

لنفترض ـ لتقريب المطلب إلىٰ الأذهان ـ أنَّ أمير المؤمنين قد أرسل أخصّ أصحابه وأحبَّ الناس إليه والياً علىٰ بعض البلاد، أليس من حقِّه أنْ يمتنّ علىٰ أهل البلد و يكتب إليهم أنّي قد أثرتكم علىٰ نفسي فأرسلته إليكم؟ أليس من حقّه أنْ يكتب إليهم: عليكم أن تعرفوا قدره، وتغتنموا وجوده بينكم وتغترفوا من نميره وعلمه وأن تسمعوا له وتطيعوه وتوقِّروه، ثمَّ من حقّه عليهم أن يسألهم عن كيفيَّة تعاملهم معه.

ولقد كان الرسم إلىٰ أواخر هذه الأيّام، أن يرسل مراجع التقليد وأعاظم الحوزات العلميَّة، أحد مقرّبي تلامذتهم بعنوان "الوكيل" إلىٰ البلاد، ليستفيدوا من علمه وفضله، وكانوا يكتبون الكتب إلىٰ أهالي تلك البلاد يُبيِّنون فيه ضرورة الإهتمام بهذا الوكيل، والإستفادة منه كمال الإستفادة، لأنَّه كان عزيزاً عندنا فآثرناكم علىٰ أنفسنا به.

وإنَّ رسول اللّه وأمير المؤمنين والأئمَّة الطاهرين عليهم السَّلام أجمعين، كانوا في ذلك العالم، فأرسلهم اللّه تعالىٰ إلىٰ هذا العالم منَّةً منه علىٰ الخلائق.

فاللّه تعالىٰ قد منَّ علينا بأن بعث سيدنا رسول اللّه محمداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إلىٰ العالمين. يقول القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(١)

وكذلك أراد عزَّوجل أن يكونَ الأئمَّة عليهم السّلام في هذا العالم، لنفس الغرض الذي من أجل تحقّقه بعث جدّهم، وهذه أيضاً منَّة منه علينا، ويتلخَّص

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ١٦٤.

الغرض النهائي في الهداية إلىٰ اللّه بمعرفته وإطاعته وعبادته والوصول عن هذا الطريق إلىٰ مقام القرب.

وقد جاء هذا المعنىٰ في القرآن المجيد. حيث يقول تعالىٰ:

﴿بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدٰاكُمْ لِلْإِيمٰان﴾[١]

نعم، إنَّ الغرض هو الهداية، هداية الخلائق إليه بواسطة الأنبياء والأولياء.

وللهداية مراحل، فأوّلها معرفة الباري والإيمان به، ولذا شرع رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله دعوته بقوله:

«قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا»

وقوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ﴾[٢] إشارة إلىٰ هذه المرحلة.

ثمّ تأتي مرحلة إخراج الناس من ظلام الجاهليّة الأولىٰ والفساد الأخلاقي، بتزكية قلوبهم و تهذيب نفوسهم، حتّىٰ إذا استعدّوا للعلم والعمل يعطيهم المنهاج الإلهي وهو الشّريعة المطهّرة في أُصولها وفروعها، وإلىٰ ذلك يشير قوله تعالىٰ:

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَة﴾[٣].

ومن الواضح أنَّ تحقق هذا الأمر لا يكون إلاّ من خلال مدرسة الوحي، وهي مدرسة النّبي وأهل بيته.

وأمّا المدارس الأُخرىٰ فعاجزة عن إيصال الإنسان إلىٰ هذا المقام.

وكلُّ من إدّعىٰ غير ذلك فهو في جهلٍ مركّب، إذ كيف يمكن للإنسان المنقطع عن الوحي -الوحي الّذي يتوفر في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام

(١) سورة الحجرات (٤٩): الآية ١٧.
(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ١٦٤.
(٣) سورة آل عمران (٣): الآية ١٦٤.

فقط - أنْ يصل إلىٰ مقام التزكية والعلم و كمال الإنسانيَّة ؟

والحاصل، إنَّ اللّه تعالىٰ قد منَّ علىٰ الخلائق، فجاء بالنبيّ وآله الطّاهرين عليهم السّلام من ذلك العالم إلىٰ عالم الدنيا من أجل هدايتهم.

فَجَعَلَكُمُ اللَّهُ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ

بيوت الرفعة والجلالة

إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام يعملون ويطبّقون كلَّ ما يقولونه للناس قبل أن يقولوه، بل إنَّهم كانوا يعبدون اللّه تعالىٰ قبل الملائكة بل منهم تعلّمت ذلك كما أسلفنا.

وهذه الفقرة من الزيارة الجامعة، إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَالآْصٰالِ * رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَلاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَإِقٰامِ الصَّلاٰةِ وَإِيتٰاءِ الزَّكٰاةِ يَخٰافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصٰارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ﴾(١)

ففي هذه الآيات وصفٌ لـ"البيوت" ووصف لـ"أهلها". أمّا البيوت، فقد قدّر اللّه وقرّر أن ترفع، أي يكون لها شأن و رفعة، ويذكر فيها وينتشر منها إسمه والدعوة إليه والهداية إلىٰ طاعته.

---

(١) سورة النور (٢٤): الآيات ٣٦-٣٨.

وأمّا أهلها، القائمون بذلك، فهم يسبّحون له فيها علىٰ الدّوام ولا تلهيهم عن ذكره الدنيا ومافيها.

وهذا حال بيوت الأئمّة الأطهار التي هي من أفاضل بيوت الأنبياء كما سيأتي في الحديث، وهكذا أهلها الذين لا يقاس بهم أحد كما في الحديث كذلك.

ولذا يقول تعالىٰ في آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١]

ولا يخفىٰ ما نكتُه من الإحترام لأُمّ سلمة، ولكنَّ زوجات النبيّ صلّىٰ اللّه عليه وآله غير مشمولات بآية التطهير، كما تقدّم منّا ذلك.[٢]

بيوت أهل البيت في الروايات

وإليك بعض الروايات الواردة في ذيل قوله عزّوجلّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، ليتّضح مَعنىٰ الآية والمراد منها؟ وفيمن نزلت؟ ومن هم المصداق الحقيقي لها؟

يقول الإمام الباقر عليه السّلام، في ذيل هذه الآية:

«هي بيوت الأنبياء وبيت عليّ منها»[٣]

وقد يتعجّب أحدٌ ويستغرب من دخول بيت عليٍّ عليه السّلام في ضمن بيوت الأنبياء وعليٌّ ليس بنبيّ!

(١) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٣٣.

(٢) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب، الصفحة: ١٧٩.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٢٨٢، الحديث ٣٨٢؛ تفسير القمّي: ١٠٤/٢؛ بحار الأنوار: ٣١٢/٢٣، الحديث ١٩ و ٣٢٧، الحديث ٦.

لقد ذكرت كتب أهل السنَّة في ذيل هذه الآية المباركة أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لمّا قرأ هذه الآية المباركة، قام إليه رجل وسأله عن هذه البيوت. فقال له رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«بيوت الأنبياء»؛

فقام أبوبكر وقال: وهل بيت عليٍّ وفاطمة منها؟

فقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«نعم، من أفاضلها»[1]

وفي رواية أُخرىٰ، عن إبن شهر آشوب، عن أبي حمزة الثمالي، قال:

«لما كانت السنة التي حجَّ فيها أبو جعفر محمّد بن علي عليهما السّلام ولقيه هشام بن عبد الملك، أقبل الناس ينثالون عليه.

فقال عكرمة: من هذا عليه سيماء زهرة العلم؟! لأجربنّه.

فلمّا مثل بين يديه ارتعدت فرائصه واسقط في يد أبي جعفر عليه السّلام وقال:

يابن رسول اللّه! لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي إبن عبّاس وغيره، فما أدركني ما ادركني آنفاً!

فقال أبو جعفر عليه السّلام: ويلك يا عبيد أهل الشام! إنَّك بين يدي ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾»[2]

---

(١) تفسير الثعلبي: ١٠٧/٧؛ الدرّ المنثور: ٥٠/٥؛ شواهد التنزيل: ٥٣٣/١، الحديث ٥٦٧ و٥٣٤، الحديث ٥٦٨؛ كشف الغمَّة: ٣٢٦/١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣١٧/٣؛ بحار الأنوار: ٢٥٨/٣٦، الحديث ٥٩.

وفي حديثٍ عن أبي حمزة عن الإمام الباقر:

«...إنّما الحجّة في آل إبراهيم، لقول اللّه عزّوجل: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾.

فالحجّة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء حتّىٰ تقوم الساعة، لأنّ كتاب اللّه ينطق بذلك ووصيّة اللّه جرت بذلك في العقب من البيوت الّذي رفعها اللّه تباك وتعالىٰ علىٰ الناس فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمّة الهدىٰ»(١)

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السّلام في هذه الآية المباركة:

«هي بيوت النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله»(٢)

وعن محمّد بن الفضيل عن الإمام أبي الحسن عليه السّلام، قال: سألته عن الآية، فقال:

«بُيوتُ مُحمَّد ثمَّ بيوتُ عليّ منها»(٣)

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن أبيه، قال: قال الصادق عليه السّلام:

«...وَصَلَ اللّه طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع اللّه ولا رسوله وهو الإقرار بما أنزل من عند اللّه عزّوجل، ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مُسْجِدٍ﴾(٤) والتمسوا البيوت التي أذن اللّه أن ترفع

(١) كمال الدين: ٢١٨، ضمن الحديث رقم ٢؛ تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٢٩ و١٣٠؛ بحار الأنوار: ٤٩/١١، ضمن الحديث ٤٩ مع تفاوت بسيط.

(٢) الكافي: ٣٣١/٨، الحديث ٥١٠؛ بحار الأنوار: ٣٣٢/٢٣، الحديث ١٨.

(٣) تأويل الآيات: ٣٦٢/١، الحديث ٩؛ بحار الأنوار ٣١٥/٢٣، الحديث ٢، نقلاً عن كنز الفوائد: ١٨٥.

(٤) سورة الأعراف (٧): الآية ٣١.

ويذكر فيها اسمه، فإنّه أخبركم أنّهم ﴿رِجالٌ لا تُلهيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ﴾[١]»[٢]

وعن قتادة -وهو من كبار المفسّرين عند أهل السنّة- قال:

أتيت محمد بن عليّ -أي الإمام الباقر عليه السّلام- فقال:

من أنت؟

قلت: قتادة بن دعامة البصري.

قال: أنت فقيه أهل البصرة؟

قلت: نعم.

فقال له الإمام الباقر عليه السّلام:

«وَيحَك يا قتادة! إنَّ اللّه جلَّ وعزّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قُوّامٌ بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه.

قال: فسكت قتادة طويلاً. ثمّ قال: أصلحك اللّه! واللّه لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك.

قال له أبو جعفر عليه السّلام: ويحك أتدري أين أنت؟ بين يدي ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا إسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ * رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكَاةِ﴾ فأنت ثَمَّ، ونحن اولئك.

---

(١) سورة النور (٢٤): الآية ٣٧.

(٢) الكافي: ١٨٢/١، الحديث ٦؛ بحار الأنوار: ١٥/٦٦، الحديث ١٢.

فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين»[١]

وجاء في نهج البلاغة إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قرأ الآية المذكورة فقال:

«وإنّ للذكر لَأهْلاً، أخذوه من الدنيا بدلاً فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيّام الحياة ويهتفون بالزّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويتأمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه.

فكأنّما قطعوا الدنيا إلىٰ الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فَكَأنَّما اطّلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحقّقت القيامة عليهم عداتها فَكَشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتّىٰ كأنّهم يرون ما لا يَرىٰ الناس ويسمعون ما لا يسمعون؛»[٢]

وأمّا فيما يرتبط بسبب جعل بيت عليٍّ وفاطمة عليها السّلام من جملة بيوت الأنبياء. فنقول: ذلك، لأنَّ كلَّ ما كان في بيوت الأنبياء عليهم السَّلام فهو موجود في بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السّلام، ومن هذا البيت ينتشر، بل إنَّ في بيت عليٍّ وفاطمة ما لم يكن موجوداً في بيوت الأنبياء، ولذا قال النبيّ الأكرم صلّىٰ اللهُ عليه وآله:

«من أفاضلها».

---

(١) الكافي: ٢٥٦/٦، الحديث ١؛ بحارالأنوار: ١٥٤/١٠، الحديث ٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢١١/٢ و٢١٢، الخطبة ٢٢٢؛ بحار الأنوار ٣٢٥/٦٦، الحديث ٣٩.

وَ جَعَلَ صَلَواتَنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ ولَايَتِكُمْ

الميثاق الإلهي

كلُّ ما قرأناه من الزيارة لحدِّ الآن، كان مرتبطاً بما جَعَلَه اللّه تعالىٰ لأهل البيت عليهم السَّلام، وهنا تتحدث الزيارة عمّا جعله اللّه تعالىٰ في أهل الولاية.

إنَّ اللّه تعالىٰ قد أخذ في ذلك العالم السّابق الميثاق علىٰ ربوبيَّته وعلىٰ نبوَّة النبيِّ الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وعلىٰ ولايَة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وهذا الموضوع من الأمور الغيبيَّة والمرتبطة بعالم الغيب، ولا يمكننا أبداً أن نتناوله بعقولنا القاصرة والمحدودة عن درك ذلك العالم، وينحصر طريق معرفته والإعتقاد به، بالروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام، فهم فقط المرتبطون والمحيطون بكلِّ العوالم.

يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيٰامَةِ إِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُون﴾(١)

وفي الحقيقة، إنَّ قضيَّة أخذ الميثاق، هي إقامة للحجّة من ناحية اللّه تعالىٰ علىٰ جميع الخلائق، فيما يرتبط بربوبيَّة اللّه تعالىٰ، رسالة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم وولاية أهل بيت النبيّ الأكرم عليهم السّلام.

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٧٢ و١٧٣.

والبحوث المتعلّقة بما قبل عالم الدنيا كثيرة.

فهل كان هناك عالَمٌ بعنوان عالَم الأرواح؟

وهل إنَّ الأرواح مخلوقة قبل الأجساد؟

وهل إنَّ الأرواح في ذلك العالم كانت عاقلة مُدركة؟

وهل كان هناك عالمٌ بعنوان عالم الذر؟

وهل إنَّ المراد من الإقرار المذكور في الآية هو الإقرار اللّساني، والَّذي يعبَّر عنه بـ"اللّسان الملكوتي"؟

وهل إنَّ الميثاق المأخوذ من ذريَّة آدم، قد أُخذ بعد خلق آدم عليه السّلام؟

إلى غيرذلك من المسائل بالعوالم المتقدمة.

قال السيد المرتضىٰ رحمه اللّه في كتاب الأمالي حول عالم الذَر:

«وَقد ظنَّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية إنَّ اللّه سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السّلام جميع ذريَّته وهم في خلق الذرّ، فقرّرهم بمعرفته وأشهدهم علىٰ أنفسهم.

وهذا التأويل -مع أنَّ العقل يبطله ويحيله- ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه،لأنَّ اللّه تعالىٰ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل: من آدم،وقال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره، وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ولم يقل: ذريته.

ثمّ أخبر تعالىٰ بأنَّه فعل ذلك لئلّا يقولوا [يوم القيامة]: إنَّهم كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنَّهم نشؤا علىٰ دينهم وسنّتهم، وهذا يقتضي أنَّ

الآيــة لم تــتناول ولد آدم عــليه السّــلام لصــلبه، وأنّـها تـناولت مـن كـان له آباء مشركون....»[١]

وتوهم بعضُ متعصّبي أهل السنَّة من هذا الكلام، بأنَّ السيد المرتضىٰ رحمه اللّه، ينكر عالم الذر. وقد نسب إليه ذلك بعض الشيعة أيضاً، وقد بحثنا عن هذا الموضوع في محلّه وناقشناه هناك. فراجع.[٢]

والأمر الآخر هو؛ إذا كان ذلك العالَمُ موجوداً، وإذا كان هناك إقرارٌ في الواقع، فهل إنَّ الآية المذكورة وافية بإثبات ذلك؟

هذا ما يُستفاد من كلام السيد المرتضىٰ رحمه اللّه، كما إنَّ بعض المعاصرين الأكابر له مثل هذا الرأي.

والحاصل، إنَّ ولاية أهل البيت عليهم السّلام قد أُخذ الميثاق عليها من كلِّ الخلائق، إلىٰ جنب ربوبيّة اللّه تعالىٰ ونبوّة النبيِّ الأكرم محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم، أي إنَّ هناك عهداً مع ذريَّة آدم عليه السَّلام حول أهل بيت النَّبي.

وهذا الميثاق والعهد علىٰ ولاية أهل البيت عـليهم السّـلام لم يُـذكر فـي كــتب أهــل السُــنَّة، وإنْ رَوَوْا فــي مـصادرهم المـيثاق عـلىٰ الربـوبيّة وعـلىٰ نبوّة خاتم الأنبياء محمد صلّىٰ اللّـهُ عـليه وآله وسـلَّم، ولكـنّهم يـروون بـتفسير قوله تعالى:

﴿وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنٰا﴾[٣]

---

(١) الأمالي، السيد المرتضىٰ: ١/٢٥؛ بحار الأنوار: ٥/٢٦٧.

(٢) راجع: إستخراج المرام من استقصاء الأفحام: ١/٢٥٧.

(٣) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٤٥.

أن كلَّ الأنبياء السابقين، كانوا مأمورين بإبلاغ ولاية أهل البيت عليهم السّلام إلىٰ الناس، وإنَّ هذا الإبلاغ كان من جملة وظائفهم الإلهيَّة:

ففي الحديث عن عبد اللّه بن مسعود، قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: «أتاني ملك فقال: يا محمَّد! ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ علىٰ ما بعثوا؟

قلت: علىٰ ما بعثوا؟

قال: علىٰ ولايتك وولاية علي بن أبي طالب»(١)

وهذا الخبر رواه أصحابنا أيضاً في ذيل الآية المباركة، وهو موجود في التفاسير خاصَّة في تفسير "كنز الدقائق".

فقد جاء في رواية:

«إنَّ النَّبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ليلة اسري به إلىٰ السماء، جمع اللّه بينه وبين الأنبياء ثمَّ قال له: سلهم يا محمَّد، علىٰ ماذا بعثتم؟

فقالوا: بعثنا علىٰ شهادة أن لا إله إلاّ اللّه والإقرار بنبوَّتك والولاية لعلي بن أبي طالب»؛

وفي رواية اُخرىٰ:

«ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يَبعَث اللّه رسولاً إلاّ بنبوَّة محمّد ووصيَّة عليّ عليه السّلام.»(٢)

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٩٦؛ تفسير الثعلبي: ٣٣٨/٨؛ شواهد التنزيل: ٢٢٣/٢، الحديث ٨٥٥؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٤١/٤٢؛ المناقب، الخوارزمي: ٣١٢، الحديث ٣١٢، فرائد السمطين: ٨١/١، الحديث ٧٣؛ كشف الغمَّة: ٣١٨/١؛ كفاية الطالب: ٧٤.

(٢) كنز الدقائق: ٣٤٣/١؛ راجع كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: ٣٧٥/١٦.

معنىٰ الصّلاة علىٰ محمد وآل محمد

وفتح الشيخ الصّدوق رحمة اللّه عليه في كتابه "معاني الأخبار" باباً تحت عنوان "معنىٰ الصلاة علىٰ النّبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله"، ونقل فيه رواية عن الإمام الكاظم عليه السّلام، قال:

«من صلّىٰ علىٰ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فمعناه: إنّي أنا علىٰ الميثاق والوفاء الّذي قبلتُ حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَىٰ﴾[١]

وعليه، فإنّنا نقول بكلِّ صراحة بأنَّ الصلوات علىٰ محمَّد و آله من الشعائر بل يستحب الإجهار بها، وكلُّ من خالف في هذا فهو غافل عن هذه الخصوصيّات التي ذكرت.

بل إنَّ المخالفة مع ذكر الصلوات علىٰ محمّد وآل محمد هي سيرة أعداء أهل البيت قديماً وحديثاً، ولنا شواهد تاريخيَّة علىٰ هذا الموضوع.

ومن ذلك ما كان من عبد اللّه بن الزبير، فإنه كان يطلب الرئاسة ويريد التسلّط علىٰ رقاب الناس والحكومة عليهم، فثار ضدّ بني اميّة حتى قُتل، لكنّه كان يبغض أهل البيت عليهم السّلام ولذلك كان بصدر غيظهم وإيذائهم، ومن ذلك أنه جماعة من المؤرخين أنّه مكث أربعين جمعة لا يصلّي على النّبي صلّىٰ اللّه عليه و آله وقال: «لا يمنعني من ذكره إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها».[٢]

يعني: إنّه إذا ذكر رسول الله وصلّى عليه، افتخر أهل بيته حتّى لو صلّى الصّلاة البتراء فكيف لو صلّى عليه وعلى آله كما أمر صلّى الله عليه وآله؟

---

(١) معاني الأخبار:١١٦، الحديث ١؛ مختصر بصائر الدرجات:١٥٩؛ بحار الأنوار: ٥٤/٩١، الحديث ٢٥.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة ٦١/٤-٦٢.

ونفس هذا الأُسلوب إتّبعه المنصور الدوانيقي، فإنَّه لما تسلّم زمام الحكم، وثار عليه العلويّون -ولقد كانت أيّام حكومته قاسية وصعبة علىٰ أهل البيت عليهم السّلام - أمر بذكر أبي بكر وعمر في الخطب.

فقد ذكر العلّامة في جملة البدع ذكر الخلفاء في الخطب، قال:

لم يكن في زمن النبي ولا في زمن أحدٍ... بل هو شيءٌ أحدثه المنصور لمّا وقع بينه و بين العلويّة فقال: واللّه لارغمنَّ أنفي وأُنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وعدي، وذكر الصّحابة في خطبته و استمرّت هذه البدعة إلىٰ هذا الزمان.[١]

لقد حدثت هذه البدعة ـ أي ذكر الشيخين وغير الشيخين في خطبة الصلاة ـ منذ عهد المنصور، وكانت الغاية منها التقليل من شأن النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم ولمحاربة الولاية لأهل البيت عليهم السّلام.

الميثاق علىٰ الولاية في الروايات

ووردت روايات كثيرة في أنَّ الولاية جزءٌ من العهد والميثاق الَّذي أُخذ من ذريَّة آدم في عالم الذر.

فعن داوود الرقّي عن الإمام الصادق عليه السَّلام، قال:

«فلمَّا أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟

فأوّل من نطق رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمَّة صلوات اللّه عليهم فقالوا: أنت ربّنا.

---

(١) انظر: شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة ١ / ٣٤.

فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي وهم المسئولون.

ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا للّه بالربوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة.

فقالوا: نعم ربّنا أقررنا.

فقال اللّه للملائكة: اشهدوا.

فقالت الملائكة: شهدنا علىٰ أن لا يقولوا غداً: ﴿إِنّا كُنّا عَنْ هَذا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (١)

يا داوود! ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق؛ (٢)

وعن حمران عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماء مالحاً أجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبّون: إلىٰ الجنّة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلىٰ النار ولا أُبالي.

ثمّ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَىٰ شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٣)

ثمّ أخذ الميثاق علىٰ النبيّين فقال: ألست بربّكم وأنّ هذا محمّد رسول اللّه وأن هذا علي أمير المؤمنين؟

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٧٢-١٧٣.

(٢) الكافي: ١٣٢/١، الحديث ٧؛ بحار الأنوار: ٩٥/٥٤، الحديث ٨٠.

(٣) سورة الأعراف (٧): الآية ١٧٢.

قالوا: بلىٰ.

فثبتت لهم النبوَّة وأخذ الميثاق علىٰ أُولي العزم. إنَّني ربّكم ومحمّد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنَّ المهدي انتصرُ به لديني أظهر به دولتي وانتقم به من أعدائي واعبد به (يعني بسببه) طوعاً وكُرهاً.

قالوا: أقررنا يا ربِّ وشهدنا...»[١]

إنَّ نبوَّة الأنبياء إنَّما ثبتت لهم بعد إقرارهم بنبوَّة رسول اللّه وولاية أمير المؤمنين، فحتّىٰ الأنبياء أولوا العزم أقرّوا بذلك. وهذه الرواية مهمَّة وخاصَّة لأُولئك الذين يتردّدون في أفضليّة الأئمّة المعصومين عليهم السّلام علىٰ الأنبياء من أولي العزم.

وعن الإمام الباقر عليه السّلام عن أبيه وعن جدِّه عليه السّلام، قال:

«إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لعلي عليه السّلام: أنت الذي احتجَّ اللّه بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربّكم؟

قالوا: بلىٰ.

قال: ومحمد رسولي؟

قالوا: بلىٰ.

قال: وعلي بن أبي طالب وصيّي؟

(١) الكافي: ٨/٢، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ١١٣/٦٤ و١١٤، الحديث ٢٣.

فأبىٰ الخلق جميعاً إلاّ إستكباراً وعتوّاً من ولايتك إلاّ نفر قليل وهم أقلّ القليل من أصحاب اليمين.»[١]

وروى شيخ الطّائفة أبوجعفر الطوسي دعاء عن الإمام الصادق عليه السّلام، يُقرأ بعد صلاة يوم الغدير، جاء فيه:

«وَمَنَنْتَ علينا بِشَهادة الإخلاص لك بموالاة أوليائك الهداة من بعد النذير المنذر والسراج المنير، وأكملت الدين بموالاتهم والبراءة من عدوّهم، وأتممت علينا النعمة الّتي جددت لنا عهدك، وذكرتنا ميثاقك المأخوذ منّا في مبتدأ خلقك إيّانا، وجعلتنا من أهل الإجابة، وذكرتنا العهد والميثاق ولم تنسنا ذكرك، فإنَّك قلت: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَشهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَىٰ﴾. اللّهم بلىٰ شهدنا بمنّك ولطفك بأنَّك أنت اللّه لا إله إلاّ أنت ربّنا، ومحمّدٌ عبدك ورسولك نبيّنا، وعلي أمير المؤمنين والحجّة العظمىٰ وآيتك الكبرىٰ والنبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون....»[٢]

وعن جابر بن عبد اللّه الأنصاري عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«يا جابر! لو يعلم الجهّال متى سُمّي أمير المؤمنين علي لم ينكروا حقَّه.

قال: قلت: جعلت فداك، متى سُمّي؟

فقال لى: قوله: ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ إلىٰ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾ وأنَّ محمّداً نبيُّكم رسول اللّه، وأنَّ عليّاً أمير المؤمنين.

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٣٢ و٢٣٣، الحديث ٤١٢؛ بحار الأنوار: ٢/٢٤، الحديث ٤؛ كنز الفوائد: ٣٢٧ و٣٢٨.

(٢) تهذيب الأحكام: ١٤٦/٣؛ مصباح المتهجد: ٧٥٥؛ المزار، الشيخ المفيد: ٩٣؛ المزار، محمد بن المشهدي: ٢٨٩.

قال: ثمَّ قال لي: يا جابر! هكذا والله جاء بها محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؛»[١]

والروايات كثيرة في هذا المعنىٰ، وفي كلّ واحدةٍ منها نورانيَّة خاصَّة بها.

الصلاة علىٰ النبيّ تجديدٌ للعهد

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّ الصلوات علىٰ محمد وآل محمد، هي تجديد للعهد، تأكيدٌ للميثاق و وفاء بذلك القرار المعقود في ذلك العالم.

وهذه هي خاصيَّة ذكر الصلوات بحسب ما جاء في الروايات المذكورة.

محاربة أعداء أهل البيت للشعائر

وعلىٰ مرِّ التأريخ، حارب أعداءُ أهل البيت عليهم السّلام عدَّة أُمور صارت شعاراً من شعائر الدين عند أتباع أهل البيت، ومن جملتها: الصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

فطبقاً لما ورد في الروايان المعتبرة عند أهل السنّة، فإنَّ النبيَّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد عيَّن صيغة الصّلاة عليه كما سيأتي، وأيضاً، قد نهى عن الصّلاة فقال كما في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

---

(١) تفسير العياشي: ٤١/٢، الحديث ١١٤؛ وجاء في بحار الأنوار: ٣٣٣/٣٧ ذيل الحديث ٧٢: وأنَّ محمّداً رسولي.

وجاء في منابع العامَّة كـ: ينابيع المودَّة: ٢٤٨/٢، الحديث ٦٩٦؛ مودَّة القربىٰ: ١٦؛ فردوس الأخبار: ٣٩٩/٣:

عن حذيفة قال: قال رسول الله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: لو يعلم الناس متىٰ سمّي علي أمير المؤمنين لما أنكروا فضائله، سمّي بذلك وآدم بين الروح والجسد، وحين قال: ألست بربّكم قالوا بلىٰ. فقال الله تعالىٰ: أنا ربّكم ومحمّد نبيّكم وعلي أميركم.

«لا تُصلّوا عليَّ صلاة مبتورة، بل صِلوا إليَّ أهل بيتي ولا تقطعوهم، فإنَّ كلّ نسبٍ وسببٍ يوم القيامة منقطعٌ إلاّ نسبي [وسببي]»[(١)]

ولا يخفىٰ، إنَّ أكثر أهل السنَّة قد خالفوا رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذا الموضع:

فإمّا صلّوا عليه الصّلاة البتراء، فلم يمتثلوا نهيد.

وإمّا زادوا في الصّلاة عليه ألفاظاً في الصيّغة التي ذكرها أو وضعوا من عند أنفسهم فوضعوا صياغات أُخرىٰ للصلاة عليه.

وكذلك بالنسبة إلىٰ فصول الأذان، فقد تصرَّفوا فيها، وغيَّروه، وأشاعوا اللّفظ المحرَّف، فكان هو المعمول به إلىٰ زماننا هذا، اللهمَّ إلاّ في البلدان التي لا يسيطرون عليها.

فأعداء أهل البيت حذفوا من الأذان «حيَّ علىٰ خَير العَمَل»، لأنَّهم يعلمون بأنَّ معناه الدَّعوة إلىٰ ولاية النبيّ وآله.

كما حاربوا التسمّي بإسم "عليّ"، "فاطمة"، "حسن"، "حسين" و"جعفر" محاربة شديدة.ولمّا تزلزل حكمهم وزال سلطانهم، رجعت هذه الأسماء إلىٰ واجهة المجتمع وتغيَّر الوضع.

كما حاربوا التختُّم باليمين، لأنَّه شعار.

يقول الزمخشري:

«أوَّل من تَختَّم باليسار، معاوية»[(٢)]

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٠٧/٧، الحديث ٩١٢٧.

(٢) ربيع الأبرار: باب ٧٥.

لقد خالفوا سنن النبيّ صلّى الله عليه وآله وهم يسمّون بأهل السنّة!!

وحتّىٰ كيفيَّة لفِّ العمائم، غيَّرها هؤلاء وخالفوا رسول اللّه وَأهل البيت عليهم السّلام.

والآن هم يحاربون بقوَّة لقب "أمير المؤمنين"، لكونه اللّقب المختصّ بمولانا علي بن أبي‌طالب عليه الصّلاة والسّلام.

نعم، إنَّ مثل هذه التصرّفات قد تكون عن جهل وعدم التفات، ولكنّ المؤسّسين لها لهم أغراض عدائيّة للنبيّ وأهل البيت. -نعوذ باللّه- لأغراض أُخرىٰ.

ومن جملة شواهدنا علىٰ إنَّ الصلوات علىٰ النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله شعارٌ مقدّس، ما ورد من أنَّ الصلاة علىٰ محمد وآل محمد تذهب بالنفاق.

فعن الإمام الصادق عليه السّلام، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إرفعوا أصواتكم بالصلاة عليَّ، فإنَّها تذهب بالنفاق»(١)

ثمَّ ضُمّوا إلىٰ هذه الرواية، الأحاديث التي تقول بصراحةٍ بأنَّ العداء لأهل البيت عليهم السّلام من علامات النفاق، وهي واردة في المصادر الشيعيَّة والسُنيَّة.

وقد تقدَّم منا آنفاً، أنَّ النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لبريدة: لمّا أظهر بغضه لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنافَقْتَ يا بريدة ؟!»

فاعتذر بريدة وتاب من فعلته، وجدَّد البيعة للنبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأعلن أنَّ علياً خير الناس عنده من ذلك الوقت.

(١) الكافي :٢/٤٩٣، الحديث ١٣؛ بحار الأنوار ٩١/٥٩ - ٦٠، الحديث ٤١، نقلا عن ثواب الأعمال: ١٥٩.

كيفيَّة الصلاة علىٰ محمّد صلّىٰ اللّٰهُ عليه و آله وسلَّم

وعلىٰ الجملة، فإنَّ الصلوات رمزُ الولاية للنبيّ و آله، ولها صيغة معيَّنة.

وفي هذا المجال أخرج كبار علماء السُنَّة -وكلُّ واحدٍ منهم أعلم من الشيخين بمراتب، والعجب كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا تابعين لهما- أحاديث عديدة.

فقد أخرج عبد الرزّاق، إبن أبي شيبة، أحمد بن حنبل، عبد بن حُميد، البخاري، مسلم، أبوداود، الترمذي والنسائي عن كعب بن عجزة، قال:

«قال رجل: يا رسول اللّه! أمّا السّلام عليك فقد علمناه، فكيف الصلاة عليك؟

قال: قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما صلّيت علىٰ آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد»(١)

فهؤلاء الذين يرون بأنَّ أحاديث البخاري ومسلم في الكتابين الموسومين بالصحيحين يجب العمل بها، فلماذا يتركون العمل بحديث كيفيَّة الصلوات الَّذي روياه؟

والعجيب هو إنَّ إبن حجر المكّي روىٰ في "الصواعق المحرقة" أنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله قال:

---

(١) الدر المنثور: ٢١٦/٥؛ المصنف، للصنعاني: ٢١٢/١، الحديث ٣١٠٥؛ المصنف، لابن أبي شيبة: ٣٩٠/٢، الحديث ٣٣٦؛ مسند أحمد بن حنبل: ٤٧/٣ و٤٩؛ صحيح البخاري: ١١٨/٤ و٢٧/٦؛ سنن إبن ماجه: ٢٩٣/١، الحديث ٩٠٤؛ فتح القدير: ٣٠٣/٤؛ فتح الباري: ١٢٩/١١؛ تحفة الأحوذي: ٤٩٢/٢؛ مسند إبن جعدة: ٤؛ فضل الصّلاة علىٰ النبي، الجهضمي: ٥٥؛ السنن الكبرىٰ، النسائي: ٣٨٢/١، الحديث ١٢١١؛ مسند أبي يعلى: ٢١/٢، الحديث ٢٤؛ صحيح إبن حبّان: ٢٨٧/٥؛ المعجم الصغير: ٧٥/١ و٨٦؛ المعجم الأوسط: ٩١/٣ و٩٢ و٢١٥ و٣٧٨/٤؛ المعجم الكبير: ٢٥٥/١٧ و١٢٤/١٩ و١٢٦؛ كنز العمّال: ٢٧٥/٢.

«لا تُصَلّوا عَلَيَّ الصلاة البتراء

قيل يا رسول اللّه، وما الصلاة البتراء؟

قال: تقولون: "اللهم صلّ علىٰ محمَّد" وتمسكون، بل قولوا "اللهمَّ صلّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد"»(١)

وقد دلّ نهي النبي عن الصّلاة البتراء على أنْ لا أجر للصّلاة كذلك إنْ لم يترتّب عليها العقاب!

وهكذا فقد إتَّضح وجه الإرتباط بين ذكر الصلوات وبين الميثاق وأصل ولاية أهل البيت عليهم السّلام.

ثمَّ إنَّ للصلاة علىٰ النبيّ الأكرم وأهل بيته، آثاراً وبركات كثيرة بالإضافة إلىٰ ما تمتاز به من كونها شعاراً وإعلاناً للوفاء بذلك الميثاق والعهد المأخوذ في ذلك العالم، كما سيأتي قريباً.

طِيباً لِخَلْقِنَا، وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا، وَتَزْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا

طيب الولادة

نعم، إنَّ حبَّ أهل البيت عليهم السّلام، علامة علىٰ طيب الولادة، وممّا يوجب غفران الذنوب وتكفيرها، حتّىٰ الذنوب الكبيرة منها.

وقد فتح العلّامة المجلسيُّ رحمه اللّه في بحار الأنوار، باباً تحت عنوان:

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٦، باب ١١، فصل ١، في الآيات النازلة في أهل البيت، الآية الثامنة (سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٥٦).

"باب إنَّ حبَّهم عليهم السّلام علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة"

من ذلك: الحديث المشهور عن النبي صلّى الله عليه وآله:

«مَن أحبَّنا أهل البيت فليحمد اللّه علىٰ أوّل النعم؛

قيل: وما أوّل النعم؟

قال: طيب الولادة، ولا يحبّنا إلاّ من طابت ولادته»[١]

وعن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«مَن أصبح يجد برد حبّنا علىٰ قلبه فليحمد اللّه علىٰ باديء النعم.

قيل: وما باديء النعم؟

قال: طيب المولد»[٢]

وفي رواية أُخرى، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«يا عليّ من أحبّني وأحبَّك وأحبّ الأئمّة من ولدك فليحمد اللّه علىٰ طيب مولده، فإنّه لا يحبّنا إلاّ مؤمن طابت ولادته، ولا يبغضنا إلاّ من خَبُثَت ولادته»[٣]

وإعلم بأنَّ هذه الروايات ليست مختصّة بنا، بل إنَّ أهل السنّة أيضاً لهم روايات لطيفة في هذا الباب.

---

(١) بحار الأنوار: ١٤٥/٢٧، الحديث ٣، ونقله أهل السنّة أيضاً: كالقندوزي في ينابيع المودَّة: ٢٧٢/٢، الحديث ٧٧٤ نقلاً عن المودَّة في القربىٰ: ١٤.

(٢) علل الشرائع: ١٤١/١١، الحديث ٢؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٦٢، الحديث ٧٥٥؛ معاني الأخبار: ١٦١، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ١٤٦/٢٧، الحديث ٤.

(٣) علل الشرائع: ١٤١/١، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٤٦/٢٧، الحديث ٥.

فعن عبادة بن الصّامت:

«كنّا نبور أولادنا بحبِّ عليّ بن أبي طالب، فإذا رأينا أحدهم لا يحبُّ علي ابن أبي طالب علمنا أنّه ليس منّا وأنّه لغير رشدة»[١]

هذا لفظ الحديث، وإنْ حاول البعض تحريفه، فوضعوا كلمة "بنور" بدل نبور! و"إيماننا" بدل "أبناءنا"، فصار الحديث:

«كنّا بنور إيماننا نحبُّ عليّ بن أبي طالب»[٢]

وهذا الكلام وإنْ كان جيِّداً، ولكنَّه محرَّف.

آثار أُخرىٰ للصلاة علىٰ النبيّ وآله

ثمّ إنَّ للصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد الكرام عليهم السّلام، آثاراً وبـركات كثيرة أُخرىٰ، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة، بعضها عن شخص رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«من لم يقدر علىٰ ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة علىٰ محمّد وآله فإنَّها تهدم الذنوب هدماً»[٣]

وعنه عليه السّلام أيضاً أنه، قال:

«الصلاة علىٰ محمد وآله تعدل عند اللّه عزَّوجلّ التسبيح والتهليل والتكبير»[٤]

---

(١) الغدير: ٣٢٢/٤ نقلاً عن: اسنى المطالب؛ شواهد التنزيل: ٤٤٩/١، ذيل الحديث ٤٧٥؛ نهج الإيمان: ٤٥٦؛ النهاية: ١٥٩/١؛ لسان العرب: ٨٧/٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة: ١١٥/٤.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٣١، الحديث ١٢٣؛ بحار الأنوار: ٤٧/٩١، الحديث ٢ و٦٣، الحديث ٥٢.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٢٦٥/٢، ذيل الحديث ٥٢؛ بحار الأنوار: ٤٧/٩١، ذيل الحديث ٢.

والمستفاد من هذه الرواية هو أنَّ الصّلاة علىٰ النبيّ وآله ذكرٌ من الأذكار.

وفي رواية اُخرىٰ عن أمير المؤمنين عليه السّلام، قال:

«بالشهادة تدخلون الجنَّة وبالصلاة تنالون الرحمة، فأكثروا من الصلاة علىٰ نبيّكُم»[(١)]

وعن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السّلام، قال:

«أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة علىٰ محمد وعلىٰ أهل بيته»[(٢)]

وعن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«مَنْ نَسيَ الصَلاة عَلَيَّ أخطأ طريق الجنَّة»[(٣)]

وعنه أنّه قال:

«صَلاتُكُم عليَّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم»[(٤)]

وعن أبي حمزة الثمالي أنَّه سأل أبا عبد اللّه الصادق عليه السّلام:

«فما ثوابٌ من صلّىٰ علىٰ النبيِّ وآله بهذه الصلاة؟

قال عليه السّلام: الخروج من الذنوب -واللّه- كهيئة يوم ولدتُه اُمُّه»[(٥)]

وفي رواية اُخرىٰ عن أمير المؤمنين عليه السّلام، قال:

«الصّلاة علىٰ النبيّ وآله أمحق للخطايا من الماء للنار»[(٦)]

---

(١) الكافي: ١٩/٨، ضمن الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٨١/٧٤، الحديث ١ (خطبة الوسيلة).

(٢) قرب الإسناد: ١٤، الحديث ٤٥؛ بحار الأنوار: ٤٩/٩١، الحديث ٩.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٤٤ و١٤٥، الحديث ٢٣٦؛ بحار الأنوار: ٥٣/٩١، الحديث ٢٠.

(٤) الأمالي: ٢١٥، الحديث ٣٧٦؛ بحار الأنوار: ٥٤/٩١، الحديث ٢٧.

(٥) معاني الأخبار: ٣٦٧ و٣٦٨، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٥/٩١، الحديث ٢٧.

(٦) ثواب الأعمال: ١٥٤؛ بحار الأنوار: ٩٥/٩١.

وينبغي الإشارة هنا إلىٰ إنَّ هذه الروايات ظاهرة في أنَّ الصلاة علىٰ النبي وآله عليهم السَّلام تمحق حتّىٰ الذنوب الكبيرة، بل إنَّ بعض تلك الروايات صريحٌ في ذلك.

وقد نقلنا سابقاً رواية -والظّاهر أنَّ سندها معتبرٌ أيضاً- عن الإمام الصادق عليه السّلام عن جدّه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إرفَعوا أصواتكم بالصلاة عليَّ فإنَّها تذهب بالنفاق»[١]

وفي وصايا النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام، قال:

«يا عليّ من صلّىٰ عليَّ كلَّ يوم أو كلَّ ليلة وجبت له شفاعتي، ولو كان من أهل الكبائر»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ، أنَّ الصلوات من العلم المكنون، حيث ورد:

«قيل يا رسول اللّه! أرأيت قول اللّه تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ**﴾ كيف هو؟

فقال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: هذا من العلم المكنون. ولولا أنّكم سئلتموني ماأخبرتكم.

إنَّ اللّه تعالىٰ وكّل بي ملكين، فلا أذكر عند مسلم فيصلّي عليّ إلاّ قال له ذلك الملكان: غفر اللّه لك وقال اللّه وملائكته: آمين. ولا أذكر عند مسلم فلا يصلّي عليَّ إلاّ قال له الملكان: لا غفر اللّه لك، وقال اللّه وملائكته: آمين.»[٣]

---

(١) ثواب الأعمال: ١٥٩؛ بحار الأنوار: ٩٥/٩١ و٦٠، الحديث ٤١.
(٢) بحار الأنوار: ٦٣/٩١، في ذيل الحديث ٥٣، نقلاً عن جامع الأخبار: ٦٩.
(٣) عوالي اللئالي: ٣٨/٢، الحديث ٩٧؛ بحار الأنوار ٦٨/٩١، الحديث ٥٧.

وبهذه الروايات، يتّضح تماماً معنىٰ هذه الفقرة من الزيارة، وكيفيَّة صيرورة الصلاة علىٰ محمد وآل محمد عليهم السّلام مزكّية للأعمال ومكفِّرة للذنوب.

فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ

أثرٌ آخر

فكأننا نخاطبهم بأنّه بعد أن جعلنا اللّه بكم طيّبي الولادة ورتَّب تلك الآثار علىٰ صلواتنا عليكم، فجعلنا في زمرة أهل الولاية، ومن جملة الثابتين علىٰ الميثاق معكم، والراضين بولايتكم، فإنّنا أيضاً نسلِّم بفضلكم ونصدِّقكُم ونُعرف بذلك عند اللّه.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ

أشرف المحالّ

وهذا المقطع الشريف، وبعض المقاطع اللّاحقة من الزيارة الجامعة، صريحٌ في أفضليَّة الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ الأنبياء ماعدا رسول اللّه الأكرم محمد بن عبداللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وكذا أفضليّتهم علىٰ الملائكة المقرَّبين.

فلقد أعطىٰ اللّه تعالىٰ للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، مقاماً أعلىٰ من مقامات كلِّ المكرَّمين، المقرَّبين والمرسلين.

وحرف "الباء"، في قوله "فبلغ اللّه بكم"، هي للتعدية.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ اللّه تعالىٰ قد رفعكم، كما يأخذ أحدٌ بيد غيره ويرفعها ويرتفع، فرفعكم وأُوصلكم إلىٰ هذا المقام.

وقد أوردنا سابقاً في ذيل «وَعباده المكرمين الذين لا يَسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[١] بعض ما له نفع في المقام، وهنا نذكر جانباً آخر من ذلك البحث:

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿وَ قٰالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ * لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمٰا خَلْفَهُمْ وَلاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰالِمِين﴾[٢]

ففي هذه الآية المتعلّقة بالأنبياء عدَّة مطالب:

أحدها: الردّ علىٰ القول بأنَّ الله اتّخذ عيسىٰ ولداً.

والثاني: أنَّ الأنبياء عباد للّه ولكنْ عباد مكرمون مقرّبون عنده، وكلّ أفعالهم بأمره، وهم مطيعون له علىٰ كلّ حال.

والثالث: أن من منازلهم عند اللّه الشفاعة، ولكنّهم لمّا كانت أفعالهم أفعال اللّه، فإنَّهم لا يشفعون إلاّ لمن أراد اللّه له الشفاعة.

والرابع: إنَّهم مع ذلك من خشية اللّه مشفقون.

---

(١) الجزء الأول، الصفحة: ٣٧٢.

(٢) سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٢٦-٢٩.

والخامس: إنَّه ليس لأحدٍ منهم أنْ يدّعي الألوهيَّة لنفسه، فلو إدّعىٰ ذلك كان جزاؤه جهنَّم.

أفضليَّة الأئمَّة علىٰ الأنبياء الماضين

لكنَّ الأئمَّة الطاهرين أفضل من جميع الأنبياء السّابقين، فقد ورد وصفهم في الروايات والأدعية والزيارات بأعلىٰ مراتب تلك المنازل، مع أنَّ مراتب الأنبياء متفاوتة كما قال سبحانه:

﴿ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْض ﴾[١]

وذلك، لأنَّ الأنبياء عبادٌ للّه مكرمون، ولكنَّ اللّه تعالىٰ قد أنزل الأئمَّة أشرف محلّ المكرَّمين.

وإذا كان اللّه قد آتىٰ الأنبياء العلم ورفعهم درجات، فإنَّه قد بلغ بالأئمَّة أرفع درجات المرسلين.

ويتّضح ذلك بالمقارنة بين ما جاء في كتب الأنبياء السابقين وما جاء في القرآن الكريم. يقول سبحانه في حقّ موسىٰ عليه السّلام:

﴿ وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْء ﴾[٢]

فإذا كانت "مِنْ" هنا تبعيضيَّة، فهذا يعني إنَّه ما كتب لموسىٰ كلّ شيء.

أمّا بالنسبة إلىٰ عيسىٰ عليه السّلام، فقد صَرَّح بكلمة "بعض"، وذلك في قوله تعالىٰ:

---

(١) سورة الاسراء (١٧): الآية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف (٧ ٩: الآية ١٤٥.

﴿وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[(١)]

وعليه، فإنَّ كتب الأنبياء السابقين لم تكن مشتملةً علىٰ كلِّ الحقائق ومبيِّنة لكلِّ الأمور.

أمّا في خصوص القرآن الكريم، فاللّه تعالىٰ يقول:

﴿تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[(٢)]

إذن، فالقرآن الكريم أفضل من كتب الأنبياء السّابقين، وهذا القرآن الأفضل بكلِّ ما فيه من حقائق ومعارف وأسرار و علوم، هو موجود عند رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام وقد قال سبحانه:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا﴾[(٣)]

ثم يقول في شأن أمير المؤمنين عليه السّلام:

﴿وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ﴾[(٤)]

هذا، وقد استدلّ الإمام عليه السّلام بهذه الآية، فقد ورد:

عن عبد اللّه بن الوليد، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

«ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين وعيسىٰ وموسىٰ؟ أيُّهم أعلم؟

قال: قلت: ما يقدّمون علىٰ أُولي العزم أحداً.

قال: أما أنّك لو خاصمتهم بكتاب اللّه لحججتهم.

قال: قلت: وأين هذا في كتاب اللّه؟

---

(١) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٦٣.
(٢) سورة النحل (١٦): الآية ١٩.
(٣) سورة فاطر (٣٥): الآية ٣٢.
(٤) سورة الرعد (١٣): الآية ٤٣.

قال: إنَّ اللّه قال في موسىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾(١) ولم يقل: كلّ شيء. وقال عيسىٰ: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾(٢) ولم يقل: كلّ شيء. وقال في صاحبكم: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(٣)»(٤)

وفي رواية أُخرىٰ:

«عن عبد اللّه بن الوليد، قال: قال لي أبو جعفر عليه السّلام:

يا عبد اللّه! ما تقول الشيعة في علي وموسىٰ وعيسىٰ؟

قال: جعلت فداك، وعن أيِّ حالاتٍ تسألني؟

قال: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء.

قال: قلت: جعلت فداك، فما عسىٰ أن أقول لهم؟

قال: هو -واللّه- أعلم منهما.

ثمّ قال: يا عبد اللّه! أليس يقولون: إنّ لعليّ ما لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من العلم؟

قلت: بلىٰ.

قال: فخاصمهم فيه، إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ قال لموسىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٥) فأعلمنا أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه. وقال اللّه تبارك وتعالىٰ

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٤٥.
(٢) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٦٣.
(٣) سورة الرعد (١٣): الآية ٤٣.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٢٩.
(٥) سورة الأعراف (٧): الآية ١٤٥.

لمحمَّدٍ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]»[٢]

وبناءاً علىٰ ذلك، فإن الأئمّة عليهم السّلام أفضل من الأنبياء الماضين، حتّىٰ أُولي العزم، لأنّ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السّلام منهم.

و الدليل الآخر لبيان أفضليّة الأئمّة عليهم السّلام، هو آية المباهلة.[٣]

فإذا كان عليٌّ عليه السّلام نفس رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وإنّ رسول اللّه أفضل من كلِّ الأنبياء السابقين بما فيهم أُولوا العزم، فلامحالة يكون أمير المؤمنين عليه السّلام أفضل من الأنبياء السابقين عليهم السّلام.

وأيضاً، ففي القرآن الكريم موارد كثيرة قد صدر من الأنبياء ما لا ينبغي صدوره منهم، وذلك ما يعبّر عنه بترك الأُولىٰ رعاية لحفظ جهة العصمة فيهم -والمستفادة من القرآن نفسه-. ولكنّنا لا نرىٰ في سيرة الأئمّة عليهم السّلام ما يدلُّ علىٰ تركهم للأولىٰ أبداً، ولو كان قد صدر منهم مثل ذلك، لشنَّع به أعداؤهم عليهم، ولحاكوا منه القصص والأساطير للنيل منهم.

إذن، فالأئمّة عليهم السّلام، أفضل من الأنبياء السابقين في جهة العصمة وجهة العلم.ولذا فإنّنا نقول في الزيارة:

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٨٩.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٤٨.

(٣) سورة آل عمران (٣): الآية ٦١.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ

أفضليّة الأئمّة وحديث التشبيه

وأمّا في سائر الأوصاف، فإنَّ أئمّتنا عليهم السّلام هم أفضل من الأنبياء السابقين كذلك.

ومن جملة الدلائل علىٰ هذا المدَّعىٰ، "حديث التشبيه".

وهذا الحديث، معتبرٌ جدّاً، وقد رُوي بأسانيد كثيرة في المصادر الشيعيَّة والسنيَّة.[١]

ولذا، فإنَّ علماءنا يستدلّون بآية المباهلة وحديث التشبيه على للأفضليّة علىٰ الوجه المزبور، وقد غيرواحدٍ من المفسّرين من أهل السنّة الاستدلال المذكور بذيل آية المباهلة، وليس لهم جوابٌ مقبولٌ عنه إلاّ أن الرازي قال:

«قد أجمع المسلمون علىٰ إنَّ غير النبيِّ لا يكون أفضل من النبيّ!!»[٢]

ونقول في الجواب: إنَّ الشيعة، وهم من المسلمين، مخالفون لهذه المقالة، والشاهد علىٰ ذلك، أن الشيخ المفيد الَّذي كان قبل الفخر بمدّةٍ مديدةٍ قد كتب رسالة في أفضليَّة الأئمَّة علىٰ سائر الأنبياء.

إذن، فمثل هذا الإجماع غير منعقد أصلاً.

---

(١) حديث التشبيه "يُشكِّل مجلّداً كاملاً من مجلَّدات كتابنا نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، وقد بحثنا هناك عن هذا الحديث من جهة السند والمتن والدلالة كما في مصادر أهل السنَّة فقط .راجع كتاب نفحات الأزهار، ج ١٩.

(٢) تفسير الرازي ٨ / ٨٦، تفسير البحر المحيط ٢ / ٥٠٣.

ثم نقول: فإذا كان الأئمّة عليهم السّلام أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، ومن أُولي العزم منهم، فهم بالأولويّة أفضل من كلّ صحابة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فلا يتقدَّم عليهم أحدٌ أبداً.

وإليك بعض نصوص حديث التشبيه.(١)

عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيِّب عن أبي هريرة قال: كان رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في جمع من أصحابه، فقال:

«إنْ تنظروا إلىٰ آدم في علمه، ونوح في همّه، وإبراهيم في خلقه، وموسىٰ في مناجاته، وعيسىٰ في سننه، ومحمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في هديه وحِلمه، فانظروا إلىٰ هذا المقبل.».

فأدار الناس رقابهم لينظروا مَن المُقبل، فإذا هو عليّ بن أبي‌طالب عليه السّلام.(٢)

وعن إبن عبّاس، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ موسىٰ في مناجاته، وإلىٰ عيسىٰ في سمته، وإلىٰ محمد في تمامه وكماله وجماله، فلينظر إلىٰ هذا الرجل المقبل.

قال: فتطاول الناس بأعناقهم فإذا هم بعليّ ....»(٣)

وعن أنس بن مالك قال:

---

(١) نقلنا هذه الأحاديث في كتاب "نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار" من المصادر السنيَّة، ولمزيد من الإطّلاع راجع كتاب المذكور، الجزء ١٩.

(٢) معجم الأدباء: ٢٠٥/١٧.

(٣) المناقب، لابن شهر آشوب: ٥٧/٣.

كُنّا في بعض حُجر مكّة نتحدث في عليّ إبن أبي طالب، فدخل علينا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقال:

«أيُّها الناس! من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ إبراهيم في حلمه، وإلىٰ موسىٰ ـ شدّته، وإلىٰ عيسىٰ في زهادته، وإلىٰ محمّد في بهائه، وإلىٰ جبرئيل في أمانته، وإلىٰ الكوكب الدرّي والشمس الضّحي والقمر المضي فليتطاول ولْيَنظُرْ إلىٰ هذا الرجل، وأشار إلىٰ علي بن أبي طالب.»

وعن أبي سعيد الخدري: كنّا عند رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فدخل عليٌّ ابن أبي طالب، فنظر إليه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقال:

«من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه وإلىٰ نوح في حكمه وإلىٰ إبراهيم في حلمه، فلينظر إلىٰ هذا»

وفي رواية أُخرىٰ عن إبن عبّاس إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كان جالساً بين أصحابه، فدخل عليٌّ، فلما وقع بصر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، قال:

«من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه وإلىٰ نوح في حكمته وإلىٰ إبراهيم في حلمه، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب.»

وعن أبي الحمراء قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ يحيى بن زكريا في زهده، وإلىٰ موسىٰ بن عمران في بطشه، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب.»

وعن الحارث الهمداني من أصحاب أمير المؤمنين المعروفين:

«بَلَغَنا أن النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم

آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته.

فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السّلام.

فقال أبوبكر: يا رسول اللّه! أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول اللّه؟

قال النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: ألا تعرفه يا أبا بكر؟

قال: اللّه ورسوله أعلم.

قال: أبو الحسن علي بن أبي طالب.

قال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن! وأين مثلك يا أبا الحسن؟!»[١]

وأخرج أبونعيم بإسناده عن النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ إبراهيم في خلّته، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب»[٢]

وجاء في حديث آخر أنَّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«مَن أراد أن ينظر إلىٰ إبراهيم في حلمه وإلىٰ نوح في فهمه وإلىٰ يوسف في جماله، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب»[٣]

وعليه، فالصفات التي كانت موجودة عند الأنبياء منفردة، موجودة عند أمير المؤمنين عليه السّلام مجتمعة.

وفي حديث آخر قال:

«من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في تقواه، وإلىٰ إبراهيم

(١) بحار الأنوار: ٣٩/٣٩؛ المناقب للخوارزمي: ٨٨.

(٢) معارج العُلىٰ في مناقب المرتضىٰ – مخطوط.

(٣) وسيلة المتعبّدين في سيرة سيد المرسلين: ١٦٨/٥.

في حلمه، وإلىٰ موسىٰ في هيبته، وإلىٰ عيسىٰ في عبادته، فلينظر إلىٰ علي ابن أبي طالب»(١)

وفي حديث طويل عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«مَن أراد أن ينظر إلىٰ إسرافيل في هيبته، وإلىٰ ميكائيل في رتبته، وإلىٰ جبرائيل في جلالته، وإلىٰ آدم في سلمه، وإلىٰ نوح في حسنه، و إلىٰ إبراهيم في خلّته، وإلىٰ يعقوب في حزنه، وإلىٰ يوسف في جماله، وإلىٰ موسى في مناجاته، وإلىٰ أيّوب في صبره، وإلىٰ يحيىٰ في زهده، وإلىٰ عيسىٰ في سنته، وإلىٰ يونس في ورعه، وإلىٰ محمّد في جسمه وخلقه، فلينظر إلىٰ علي، فإنَّ فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء، جمعها اللّه فيه ولن تجمع في أحدٍ غيره»(٢)

كان ذلك بعض الروايات التي رواها أهل السُنَّة في كتبهم، وقد إستدللنا بها من باب الإلزام والإحتجاج، وإنْ كانت قد وردت بأسانيد أُخرىٰ في مصادرنا أيضاً.

أفضليّة أُخرىٰ

ومن جملة جهات الأفضليّة، ما ورد من أنَّ نبوَّة النبيّ الأكرم محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كانت قبل نبوَّة كلِّ الأنبياء الماضين، بل قبل خلق آدم عليه السَّلام:

---

(١) الفصول المهمّة: ٥٧١/١، الحديث ١٥.

(٢) ينابيع المودَّة: ٣٠٦/٢، الحديث ٨٧٤، بتفاوت طفيف؛ مودّة القربى: ٢٦؛ الفردوس للديلمي: ١٩١/٢، الحديث ٢٩٥٢ نقلاً عن سلمان.

قال عبد اللّه بن شقيق: سأل رجلٌ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: متىٰ كنت نبيّاً؟

فقال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«كُنتُ نَبيّاً وآدَمُ بينَ الماءِ والطّين»(١)

وهذا الحديث مرويٌّ في كتب الشيعة والسنَّة معاً.

وقد ثبت بالأحاديث كون أمير المؤمنين مع رسول اللّه في جميع العوالم،

كما ثبت أنَّ أنبياء اللّه كلّهم كانوا مكلَّفين بإبلاغ نبوَّة النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وولاية الأئمَّة عليهم السّلام إلىٰ اُمَمهم.

وممّا يدلّ علىٰ الأفضليَّة ما رواه الفريقان من أنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«نَحنُ أهلُ البيتِ لا يُقاسُ بنا أحدٌ»(٢)

كما إنَّه مذكور في نهج البلاغة أيضاً.

وفي بعض الروايات:

«أحدٌ من الناس»(٣)

وأيضاً:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٨٣/١؛ بحار الأنوار ٤٠٢/١٦؛ المصنّف: لابن أبي شيبة: ٤٣٨/٨، الحديث ١، مع تفاوت بسيط؛ الإستيعاب: ١٤٨٨/٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/٦٥، الحديث ٩٠ نقلاً عن إرشاد القلوب: ١٣/١١٠؛ ذخائر العقبىٰ: ١٧؛ سبل الهدىٰ والرشاد: ٧/١١؛ ينابيع المودَّة: ٦٨/٢، الحديث ٦١ و١١٤، الحديث ٣٢٢ و١١٧، الحديث ٣٣٤؛ كنز العمّال: ١٠٤/١٢، الحديث ٣٤٢٠١.

(٣) كشف الغمَّة: ٣١/١؛ ينابيع المودَّة: ٤٥٩/١؛ مفتاح النجا (مخطوط): ٢؛ شرح إحقاق الحقّ: ٣٧٨/٩.

«لا يقاس به أحدٌ ممَّن خلق اللّه»[١]

ثمَّ إنَّ أفضليَّة الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ الخلائق من الأوَّلين والآخرين -ما عدا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله- غير مختصَّة بعالم دون عالم، بل هي جارية ومتحقِّقة في كلِّ العوالم -الدنيا، عالم ما قبل الدنيا، عالم ما بعد الدنيا-، وخاصَّة في عالم الآخرة، حيث تجتمع كلُّ الخلائق من الأوَّلين والآخرين، ويظهر شأنُ أهل البيت عليهم السَّلام أكثر ممّا سبق.

بل إنَّ ظهور الحقائق مؤجّلٌ إلىٰ ذلك العالم، لكونها في عالمنا هذا مختلطة بغيرها، وناهيك بأخبار جلالة قدر الزهراء الطّاهرة المجهولة القدر في هذا العالم، وخاصَّةً خبر ورودها المحشر المرويّ في كتب الفريقين.[٢]

حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ

المقام السامي

وممّا ذكرنا على ضوء الآيات والأحاديث ظهر أنَّ مقام الأئمّة عليهم السّلام، مقام لا يناله المتأخّرون ولم ينله المتقدّمون، بل لا يطمع في إدراكه طامع مطلقاً.

قال الراغب الإصفهاني في معنىٰ "طمع":

«الطمع نزوع النفس إلىٰ الشيء شهوة له»[٣]

---

(١) شرح إحقاق الحقّ: ٩٥/٥، نقلاً عن كتاب الأربعين لأبي محمد بن أبي الفوارس (مخطوط): ٤٣.
(٢) راجع بحار الأنوار: ٢٢٤/٤٣، باب ٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٠٧.

إنَّ عالم الآخرة، عالم الحقيقة وليس عالم المجاز والإعتبار، وفي ذلك العالم سيعرف كلّ فردٍ قدر نفسه فلا يطمع بأكثر مما يستحقّه.

نعم، إنَّ التقدّم والتأخّر الإعتباري إنّما هو من مظاهر عالم الدنيا، حيث يتمكن بعض الناس من إحتلال مالا يستحقّون من المقامات والرتب، عن طريق القهر و الغلبة أو ببذل الأموال وإتّباع الأساليب الملتوية والوساطات والعلاقات العائليّة و....

وأمّا في عالم الآخرة، فليس هناك إلاّ سببٌ واحد لنيل المقامات، وهو الأعمال التي قام بها الإنسان في عالم الدنيا، فهناك الحق المحض، لاكعالم الدنيا حيث تختلط الحقائق بغيرها، فتشتبه الأُمور في أكثر الأوقات وتضيع الموازين.

وعلىٰ هذا، فإنَّ الناس في ذلك العالم، الأخيار منهم والأشرار، سيستقرّون في منازلهم المناسبة وستنكشف الحقائق للجميع هناك.

حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ،

وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ قُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ ؛

ظهور مقام الأئمَّة للخلائق

إنَّ مقامات أهل البيت عليهم السّلام في عالم ما قبل عالمنا، قد ظهرت للجميع وعرفتها كلُّ الخلائق، وقد أُمر الجميع في ذلك العالم، بالإيمان بولاية أهل البيت عليهم السّلام، ولكنَّ الأكثريَّة تمرّدت، وأمّا الأقليَّة الباقية، فقد رضيت بهم وآمنت بولايتهم وعقدت الميثاق معهم وهم الشيعة.

وكذلك أراد اللّٰه سبحانه وتعالىٰ أن يُظهر مقامات أهل البيت عليهم السَّلام في الدنيا وفي عالم الآخرة، ليعرف الجميع، الأخيار والأشرار، حقيقة أهل البيت وعلوِّ شأنهم وقربهم من اللّٰه تعالىٰ، ففي يوم القيامة، ستظهر حقائق مقامات أهل البيت عليهم السّلام للملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين والصدّيقين والشهداء والعلماء والجهّال والصالحين و...

وأمّا عالم الدنيا، فهو عالم التغييرات والتبدّلات، الَّذي نرىٰ فيه مثل يوسف الصدّيق عليه السّلام يوماً في قعر البئر، ويوماً في السجن، ويوماً آخر علىٰ كرسيّ الحكم والسلطان.

نعم، إنَّ مقام أهل البيت عليهم السّلام لم يظهر في هذه الدنيا بتمام حقيقته،

فلم يعرفهم الناس حقَّ المعرفة، ولم يستفيدوا منهم حقَّ الإستفادة، بل جاروا عليهم وصبّوا عليهم ألوان الظلم والإيذاء.

إنَّ اللّه تعالىٰ قد بيَّن في العوالم السابقة مقام أهل البيت عليهم السّلام بنحو لم يبق ملك مقرَّب، نبيٌّ مرسل، صدّيق، شهيد، عالم، جاهل وغير ذلك من الخلائق إلاّ وعرف "جلالة أمرهم...".

ولا يخفىٰ أنَّ "عرَّفهم" غير "أعلمهم"، فإنَّ المعرفة غير العلم، فمعرفة كلِّ إنسان بأهل البيت عليهم السّلام، تتناسب مع إستعداداته ومؤهلاته، ولعلَّ ذكر هذه الأصناف واحداً واحداً هو من أجل هذه الحقيقة، وهي إنَّ كلَّ صنف من هذه الأصناف قد عرف وسيعرف في الآخرة أهل البيت عليهم السّلام بقدر إستعداده ولياقته.

والمراد من "الملك المقرب" و"النبيّ المرسل" و"الشهيد" معلوم، فمن هو "الصدِّيق"؟

ذكر الراغب الإصفهاني في لفظة "صدّيق" أربعة معان، قال:

«الصدّيق، من كثر منه الصدق، وقيل: بل يقال لمن لا يكذّب قط، وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوّده الصدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله وإعتقاده وحقق صدقه بفعله، قال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ [١] وقال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [٢] وقال: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [٣]». [٤]

---

(١) سورة مريم (١٩): الآية ٤١.
(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٧٥.
(٣) سورة النساء (٤): الآية ٦٩.
(٤) المفردات في غريب القرآن: ٢٧٧.

والظاهر أنَّ المعنىٰ الرابع هو المتعيَّن، وإنَّ الصدّيق هو من صدق بقوله وإعتقاده ومن حقَّق صدقه بفعله وسلوكه في الخارج.

ولقد كان أمير المؤمنين عليٌّ عليه السّلام، كذلك، وكان السابق علىٰ غيره في هذا المجال، لذا يقول عليه السّلام:

«أنا الصدّيق الأكبر»(١)

تُرىٰ، أيصحُّ علىٰ هذا الأساس، أن يقال لأبي بكر أيضاً: صدّيق؟!

وما معنىٰ "خلقٌ بين ذلك شهيد"؟

ومن جملة خلائق اللّه تبارك وتعالىٰ، الحيوانات، فهم أيضاً يعرفون الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وفي الروايات الواردة في كتب السنَّة والشيعة ما يدلُّ علىٰ إرتباط الحيوانات مع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة عليهم السّلام، وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعض الشواهد علىٰ ذلك.

وقد يكون هناك أنواع أُخرىٰ من الخلائق لا نعرفها.

وبناءاً علىٰ ما مرَّ، فإنَّ الصدّيقين أيضاً لا يدركون شأن أهل البيت عليهم السّلام، ولن يطمعوا بنيل تلك المنازل العالية، لعدم توفّر الإستعداد اللّازم فيهم للوصول إلى هنالك.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٥/١ و١٢٢/٤ و٢٠٠/١٣ و٢٢٨؛ كنز العمّال: ٤٣٤/٢، الحديث ٤٢٩؛ الكامل: ٢٧٤/٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣٣/٤٢؛ تهذيب الكمال: ١٨/١٢ و....

جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ

النور التام

هذه العبارات في مجملها، قريبة من بعضها مفهوماً، وكلّها حاكية عن جلالة قدر الأئمَّة وعظمة شأنهم، وإنَّ اللّه تعالىٰ قد عرَّف كلَّ المكلَّفين وغير المكلَّفين من الموجودات ذات الشعور، بمقامات أهل البيت وولايتهم، كلٌّ بقدر ما يتمتع به من إستعداد وقابليَّة علىٰ درك ومعرفة تلك الحقائق.

ولكن، لا يبعد أن يكون "تمام نوركم" إشارة إلىٰ الآية المباركة من سورة الصف:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[١]

فهذا هو نور أهل البيت عليهم السّلام الّذي أتمَّهُ اللّه تعالىٰ.

وعن محمد بن الفضيل أنّه سأل الإمام الكاظم عليه السّلام عن هذه الآية، فقال:

«يريدون ليطفؤوا ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام بأفواههم.

قلت: قوله تعالىٰ: ﴿ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾.

قال: يقول: واللّه متمّ الإمامة، والإمامة هي النور، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾[٢].»[٣]

---

(١) سورة الصف (٦١) : الآية ٨.

(٢) سورة التغابن (٦٤) : الآية ٨.

(٣) الكافي : ١٩٦/١، الحديث ٦؛ بحار الأنوار : ٣١٨/٢٣، الحديث ٢٩.

نعم، لقد حورب الأئمَّة عليهم السّلام في هذا العالم محاربة شديدة، ولكنَّها لم تؤثر علىٰ عظمتهم وعلو شأنهم.

فها هو معاوية بن أبي سفيان الَّذي أعلن حربَه علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام بكلِّ شراسة، ولكنَّه في المواقع والأوقات الحسّاسة يلجأ إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، فيبعث رسولاً ليسأله عن بعض مشكلات المسائل التي كان يبتلىٰ بها بحكم تسلّطه علىٰ مقاليد الأمور في الشام.

وفي رواية سأل الإمام الحسن عليه السّلام أباه عليه الصّلاة والسّلام عن السّبب في جوابه عن أسئلة معاوية الخارج علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، فأجاب ما معناه: أنَّه يكفي إحتياجه إلينا.

وعلىٰ أيٍّ حال، كلّما زاد أعداء أهل البيت من محاربتهم لهم فإنَّ منازلهم عليهم السّلام كانت تتوضح أكثر، ويعلو شأنُهم وينتشر نورهم، وهذا ما اعترف به بنو أُميَّة أنفسهم.

ولم تقتصر محاربة أعداء أهل البيت لهم في حياتهم، بل حاولوا إطفاء نورهم بعد إستشهادتهم، بل وحاربوا كلَّ ما يتعلَّق ويرتبط بهم، كمحاربة أصحابهم وشيعتهم بأنواع المحاربة، وحتّىٰ قبورهم عليهم السّلام لم تسلم من محاربة الأعداء. فقد أقدموا على هدم قبر الحسين عليه السّلام مرَّتين أي في حكومة اثنين من بني العباس، في من هارون وفي زمن المتوكل، وأرادوا أن يمحوا آثار هذا المرقد الشريف، ولكنَّ اللّه تعالىٰ حفظ هذا المرقد من المكائد.(١)

---

(١) راجع كتاب بحار الأنوار: ٤٥/٣٩٠، باب ٥٠.

وقد تجرأ الأعداء علىٰ هدم قباب الأئمَّة عليهم السّلام وأهل البيت في البقيع، ولا زالوا إلىٰ يومنا هذا يحاربون ويقولون بأنَّ قبور أئمّتكم ليست هنا.

كما تجرّأوا على هدم قبّة الامامين العسكريين عليهما السّلام في مدينة سامراء في زماننا هذا.

كما أراد البعض تعيين محل دفن الزهراء عليها السّلام، لا حبّاً بالزهراء وشيعتها، وإنّما لأنّهم يعلمون بأنَّ خفاء قبرها سيبقىٰ دليلاً علىٰ مظلوميّتها إلىٰ يوم القيامة، فأرادوا إبطال هذا الدليل.

فكلُّ ذلك محاربة ولكنّها متنوّعة الأشكال متعدّدة الأبعاد، فتارة: ينكرون محل قبر أمير المؤمنين عليه السَّلام، وأُخرىٰ: يحاولون تعيين محلّ دفن الزهراء عليها السّلام وثالثة: يهدمون القباب.

ولكنَّ اللّه عزَّوجل شاء أن تفشل مخطّطات الظالمين وأن لا تؤثر هذه المحاربة، وأن تبقىٰ ولاية الأئمَّة عليهم السّلام، فبقيت آثار أهل البيت عليهم السّلام شامخة، وبقي شيعتهم علىٰ رغم حملات القمع والتشريد والتنكيل بهم علىٰ مرِّ التأريخ ثابتين راسخين في إعتقادهم بولاية أهل البيت عليهم السّلام علىٰ رغم قساوة الأعداء وضراوة المحاربة وشدَّة الآلام والمصائب التي قاسوها في هذا السبيل.

نعم، تلك إرادة اللّه عزَّوجل التي لا تقف إرادةٌ في قبالها.

وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ

مقاعد الصدق

والظاهر أنَّ هذه العبارة إشارة إلىٰ الآية المباركة:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾(١)

والمراد من "المليك المقتدر"، هو اللّٰه سبحانه وتعالىٰ، ومقام العنديَّة هذا، هو لأهل البيت عليهم السّلام، ولشيعتهم المقرَّبين المخُلَّص.

فعن جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري، عن رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله في حديث يخاطب أمير المؤمنين عليه السّلام:

«يا عليّ! أما عَلِمتَ أنَّ مَن أحبَّنا وإتّخذ محبّتنا أسكنه اللّٰه معنا»، ثُمَّ تلا هذه الآية: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقتَدِرٍ﴾(٢)

وقال تعالىٰ في المقابل:

﴿إِنَّ الْمجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾(٣)

وعن جابر أنَّ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله قال:

«أبشِرْ يا عليّ! ما من عبد يُحبُّك وينتحل مودَّتك إلاّ بعثه اللّٰه يوم القيامة معنا. ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ نَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾(٤)»(٥)

(١) سورة القمر (٥٤): الآية ٥٤ و٥٥.
(٢) الفضائل، لشاذان بن جبرائيل القمي: ١٢٣.
(٣) سورة القمر (٤٥): الآية ٤٧ و٤٨.
(٤) سورة القمر (٥٤): الآية ٥٤ و٥٥.
(٥) تفسير فرات الكوفي: ٤٥٦، الحديث ٥٩٧؛ بحار الأنوار: ٢٠٩/٧، الحديث ١٠٥.

وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ

المقام الثابت

نعم، إنَّ مقام الأئمَّة عليهم السّلام عند اللّه، ثابت ودائم. وقد قرأنا آنفاً في إحدىٰ فقرات الزيارة:

«والمستقرّين في أمْر اللّهِ»

وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ

المنزلة الرفيعة

وبالنظر إلىٰ مفهوم كلمة "الشّرَف"، يظهر إنَّ منزلة الأئـمَّة عـليهم السّـلام عنداللّه تعالىٰ أعلىٰ من منزلة سائر المقرَّبين وذوي المراتب والمنازل الإلهيَّة.

وكذا معنىٰ:

وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ.

وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ

قُرب المَنزلة

ولعلَّ هذه العبارة إشارة إلىٰ إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام لما كانوا في كلِّ العوالم مع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فهم معه في مقام القرب الَّذي أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[(١)(٢)]

لماذا هذا التفصيل؟

وفي هذا المقطع من الزيارة، يوجد تفصيلان:

١- التفصيل في صنوف الناس التي تعرّفت وستتعرف على منازل الأئمَّة عليهم السّلام، حيث جرىٰ ذكرهم واحداً واحداً، والحال كان يكفي ذكرهم جميعاً بلفظ واحد، كأنْ يقال "كلُّ الخلائق" فيفيد نفس المعنىٰ.

٢- التفصيل في ذكر مقامات الأئمَّة عليهم السّلام وبألفاظ مختلفة.

وهو في بعض الموارد حسن كحسن الإجمال في موارده، كما تقرّر في علم البلاغة، ولهذا نظائر في القرآن الكريم وفي الأدعية والزيارات أيضاً.

ففي زيارة حضرة وليّ العصر والزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف، نقرأ:

«...السّلام عليك حين تقوم، السّلام عليك حين تقعد، السّلام عليك حين تقرأ وتبيّن، السّلام عليك حين تصلّي وتقنت، السّلام عليك حين تركع وتسجد، السّلام عليك حين تحمد وتستغفر، السّلام عليك حين تهلّل وتكبّر، السّلام عليك حين تصبح وتمسي، السّلام عليك في الليل إذا يغشىٰ، والنهار إذا تجلّىٰ.

السّلام عليك أيّها الإمام المأمون، السّلام عليك أيّها المقدّم المأمول، السّلام عليك بجوامع السّلام....»[(٣)]

---

(١) سورة النجم (٥٣): الآية ٨-٩.

(٢) راجع البرهان في تفسير القرآن: ١٩٥/٥ و١٩٧.

(٣) الإحتجاج: ٣١٦/٢؛ بحار الأنوار ١٧١/٥٣، الحديث ٥.

فكان ممكناً أن يقال في الزيارة:

السّلام عليك في جميع الأحوال.

ولكنَّ هذا البيان حسن جميل، كما جاء في القرآن الكريم في قصَّة موسىٰ عليه السّلام:

﴿وَ مٰا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰا مُوسىٰ * قٰالَ هِيَ عَصٰايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهٰا وَأَهُشُّ بِهٰا عَلىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهٰا مَآرِبُ أُخْرىٰ﴾[1]

نعم، فالإنسان إذا أراد أن يمدح ويُطري علىٰ عزيز عنده، فإنَّه سيطيل في الخطاب ويفصل في محاسن المحبوب، و قد تكون هناك نكات وظرائف أُخرىٰ يحملها مثل هذا التفصيل، واللّه العالم.

---

(١) سورة طه (٢٠): الآية ١٧-١٨.

القسم الخامس

بيان وعرض الإعتقادات

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي، أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ.

مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ، مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ، وَمُعَادٍ لَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ، مُطِيعٌ لَكُمْ. عَارِفٌ بِحَقِّكُم،

مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ، مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ.

آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ، مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ لاَئِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ.

مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي إِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي.

مُـــؤْمِنٌ بِســـرِّكُـمْ وَعَـلَانِيَتِكُمْ وَشَـاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَمُـفَوِّضٌ فِـي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ، وَ مُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ.

وَ قَـلْبِي لَكُمْ مُسَـلِّمٌ وَرَأْيِـي لَكُـمْ تَـبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ،يَرُدَّكُمْ فِـي أَيَّـامِهِ، وَيُـظْهِرَكُـمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ فَمَعَكُمْ مَـعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ.

مقدمة

في هذا الفصل سنتعرض للفقرات التي نَعرِضُ فيها معتقداتنا على الأئمَّة عليهم السّلام ونُشهد اللّه تعالىٰ عليها في البدء وفي الختام.

ففي هذا المقطع، تصريحٌ أو إشارة إلىٰ:

ولاية الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، والبراءة من أعدائهم؛

رجعة الأئمَّة عليهم السّلام إلىٰ الدنيا في زمن حكومة الإمام المهدي أرواحنا فداه؛

شفاعة الأئمَّة الكرام في الدنيا وفي الآخرة؛

الولاية التكوينيَّة؛

وبعض العقائد الحقَّة الأُخرىٰ فيما يتعلق بالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

إنَّ عَرض العقائد علىٰ الأئمَّة عليهم السَّلام كان من الأُمور المتعارفة عند كبار أصحاب الأئمَّة عليهم السّلام.

فإنَّ عبد العظيم الحسني، المدفون في مدينة الريّ، قد عرض دينه علىٰ

الإمام الهادي عليه السَّلام، ولا يخفىٰ النكتة في ذلك، فقد كان من أولاد الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السَّلام، والحسنيّون ما كانت علاقتهم مع الأئمَّة جيّدة في ذلك الزمان، وخاصَّةً وأنَّه كان أكبر سنّاً من الإمام عليه السَّلام.[(١)]

فقد روىٰ الشيخ الصدوق رحمه اللّه، أنَّ السيد عبد العظيم الحسني دَخَل علىٰ الإمام عليّ بن محمد الهادي عليه السّلام، فلمّا رآه الإمام عليه السّلام قال له: «مرحباً بك يا أبا القاسم! أنْت وليّنا حقّاً.

قال: فقلت: يابن رسول اللّه! إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّاً ثَبَتُّ عليه حتّىٰ ألقىٰ اللّه.

فقال: هات يا أبا القاسم.

فقلت: إنّي أقول: إنَّ اللّه تعالىٰ واحدٌ ليس كمثله شيء...»[(٢)]

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي

منتهىٰ درجات الودّ

هذا، وكلُّ فقرة من فقرات هذا الفصل تبدأ بعبارة: بأبي أنتم وأُمّي...

ولهذه العبارة إستعمالان:

١- الإستعمال في المعنىٰ الحقيقي، وهو "التفدية".

أيْ إنَّني مستعد للتضحية والفداء بكلِّ ما عندي من أجلكم في ساعة الخطر

(١) هو أبو القاسم عبد العظيم بن عبد اللّه بن علي بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام. وجاء في رواية عن أبي تراب الروياني قال: سمعت من أبي حمّاد، قال: تشرّفت بزيارة الإمام الهادي في سامراء وسألته بعض المسائل في الحلال والحرام فأجابني، ولما أردت أن أنصرف قال لي: «يا حمّاد، إذا أشكل عليك شيءٌ من أمر دينك بناحيتك، فسل عنه عبد العظيم بن عبد اللّه الحسنيّ، وإقرأهُ منّي السّلام». (مستدرك الوسائل: ٣٢١/١٧، الحديث ٣٢).

(٢) الآمالي، الشيخ الصدوق: ٤١٩، الحديث ٢٤.

إذا ما واجهكم، وأن أتحمّل كلّ المصائب والمحن في نفسي وفي أبي وأُمّي وأبنائي وأُسرتي ومالي، من أجل الحفاظ عليكم وعلىٰ سلامتكم.

وهذا منتهىٰ درجات الإخلاص والمحبَّة والإيمان.

٢- الإستعمال في المعنىٰ المجازي، وهو إظهار شدَّة الحبِّ والإخلاص والإرتباط.فإنَّه إذا ما امتنع تحقُّق المعنىٰ الحقيقي -كما سيأتي توضيحه- فسيكون المقصود من هذه العبارات هو الإعراب عن شدَّة المودَّة.

إذن، فالمراد من اللفظ ليس المعنىٰ الحقيقي الموضوع له، ولا هو صرف المجاملة المتعارفة بين الناس في المجتمعات.

فالمعنىٰ الحقيقي لهذه العبارة إنّما يتحقَّق في زمن الحضور، وأمّا في زماننا وهو زمن الغيبة، فما نقوله هو من باب إرادة المعنىٰ المجازي، وذلك:

أوّلاً: لأنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام ليسوا في عالم الدنيا الآن، فلا يُتصوَّر تعرُّضهم للخطر لكي يُراد المعنىٰ الحقيقي لهذه العبارة، ويستثنىٰ من ذلك زيارة الإمام المهدي أرواحنا فداه.

ثانياً: إذا كان المراد من العبارة المعنىٰ الحقيقي، فلابدَّ أن يكون المفدّىٰ به موجوداً، وهذا لا يتحصَّل دائماً، إذ قد يكون المتكلّم فاقداً للأبوين، أو الأموال أو...فلا يكون لقوله: بأبي أنت وأُمّي ...مصداقيَّة، والحال إنَّ الدعاء مطلق لكلِّ الأفراد لا خصوص من يكون والداه علىٰ قيد الحياة ويمتلك الأموال....

ثالثاً: هل يجوز للإنسان أن يضحي بوالديه -في حال حياتهما- ويفتدي أحداً بهما؟ أفهل للإنسان ولاية علىٰ والديه؟ أم إنَّ له وكالة من قبلهما ليصحّ له أن يقول: بأبي أنت وأُمّي؟

رابعاً: في بعض الأحيان يقرأ الإنسان مثل هذه العبارات في الوقت الّذي يكون فيه القاريء أفضل من المفدّىٰ، فمثلاً جاء في زيارة أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام في كربلاء، الواردة عن الإمام الباقر عليه السّلام: «بأبي أنتم وأُمّي»، ولا شكَّ في أنَّ الإمام زين العابدين عليه السّلام أفضل من أصحاب الحسين عليه السّلام، فكيف يكون المراد من قوله بأبي أنتم وأُمّي، المعنىٰ الحقيقي ؟!

وأمّا ما جاء بتفسير الآية في قصّة إسماعيل عليه السّلام:

﴿وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1]

من أنَّ "الذبح العظيم" هو سيد الشّهداء الإمام الحسين عليه السّلام[2] وهو بلا شك أفضل من إسماعيل عليه السّلام، فالمراد من الفداء هو الإستبدال، ومن هذا الباب يقال "الفدية" في أحكام الحجِّ.

ومن هنا، فإنَّ القرائن المذكورة، تُعيِّن أنَّ المراد هو المعنىٰ المجازي، ويكون "بأبي أنتم وأُمّي"، كناية عن شدّة المحبَّة تجاه المحبوب.

ولهذا الإستعمال نظائر كثيرة في لغة العرب، فمثلاً إذا سمع أحدٌ كلاماً أعجبه، قال: «للّه درُّك». حيث يُظهر الشخص إرتياحه وسروره من ذلك الكلام المسموع.

كما إنَّ لعكس هذه الحالة نظائر أيضاً، فإذا ما سمع الإنسان كلاماً غير سليم، فإنَّه يقول للمتكلم: «فَضّ اللّه فاك»، وهو كناية عن إمتعاضه من ذلك الكلام وعدم رضاه به.

---

(١) سورة الصافّات (٣٧): الآية ١٠٧.

(٢) راجع كتاب عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١٨٦/٢؛ بحار الأنوار: ١٢٥/١٢.

وعليه، فجملة «بأبي أنتم وأُمّي» غير مستعملة في المعنىٰ الموضوعة له، بل المقصود منها هو المعنىٰ المجازي.

ومن جهة أُخرىٰ، فقد يكون هناك محذور شرعيٌّ في ذلك، كما في الخبر:

«سُئل أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السّلام: الرّجل يقول لإبنه أو لإبنته: بأبي أنت وأُمّي، أو أبويَّ، أترىٰ بذلك بأساً؟

فقال: إنْ كان أبواه مؤمنين حيَّين فأرىٰ ذلك عقوقاً، وإنْ كانا قد ماتا فلابأس»(١)

وعلىٰ الجملة، فإنَّ الظاهر حمل «بأبي أنتم وأُمّي» في الزّيارة علىٰ المجاز، بأنْ يراد التحامي عن دينهم، أو يراد إظهار شدَّة المحبَّة لهم.

أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ

الولاء والبراءة

إنَّ عرض المعتقدات علىٰ الأئمَّة عليهم السّلام يعني الإيمان بها والإلتزام بها والثبات عليها، ومن هنا تكررت مادّة الإيمان في هذا المقطع الذي يعرض الزائر فيه مجموعة من معتقداته علىٰ الإمام عليه السَّلام.

وفي البدء، يُشهد الزائرُ اللّهَ تعالىٰ علىٰ تلك الإعتقادات، ثمَّ يُشهد الإمامَ أو الأئمَّة جميعاً عليها.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ١٧٨/١، الحديث ٥٦٤؛ وسائل الشيعة: ٤٤٥/٢، الحديث ٢٥٨٨؛ نقل هذا الحديث بتفاوت بسيط في: الخصال: ٢٦، الحديث ٩٤؛ وبحار الأنوار: ٦٩/٧١، الحديث ٤٤.

وأوَّل ما يعرضه هو الإيمان بولايتهم، والبراءة من أعدائهم ومخالفيهم، إنَّه يريد التأكيد عن انفصاله وابتعاده عن أُولئك الذين يسلكون غير طريق أهل البيت عليهم السّلام، والإعلان عن إستنكاره لمسلكهم، فكيف بأُولئك الذين يعادون أهل البيت وينصبون العداء لهم؟

عرض الإيمان

ولا يخفىٰ، إنَّ بعض هؤلاء قد أعلنوا عداوتهم لأهل البيت عليهم السّلام وآذوهم وظلموهم، وستأتي الإشارة في شرح الفقرات اللاحقة إلىٰ بعض هذه الموارد والحالات.

هذا، وقد وقع البحث في الكتب الحديثيَّة والكلاميَّة وبنحوٍ تفصيليّ عن حقيقة الإيمان، وخاصَّة الإيمان بالأئمَّة عليهم السّلام، والبراءة من أعدائهم ومخالفيهم، ونكتفي هنا بذكر بعض المطالب الضروريَّة:

الأوَّل: إنَّ الإيمان بأهل البيت عليهم السّلام، من الواجبات الشرعيَّة والعقليَّة التي كُلِّف بها كلُّ الناس، سواءٌ علىٰ القول بأن الإمامة والولاية من أُصول الدين، كما هو الصحيح المشهور بين الأصحاب، أو علىٰ قول عدَّة من الأعاظم بأنَّ الإمامة ليست من أُصول الدين وإنَّما هي من أُصول المذهب، فعلىٰ كلِّ حالٍ يجب علينا الإيمان بأهل البيت عليهم السّلام.

الثاني: من الواضح إنَّ الإيمانَ غيرُ المحبَّة، لأنَّ الإيمان في اللغة عبارة عن: «إذعانُ النفس للحقِّ علىٰ سبيل التصديق»[١]

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦؛ تاج العروس: ٢٥/١٨.

فعندما نقول: "إنّي مؤمنٌ بكُمْ" يعني: أُذعنُ بكلّ منازلكم ومقاماتكم عند اللّه من الإمامة وغيرها، وأُصدِّق بذلك تصديقاً كاملاً.

إنَّه قد يحبُّ الإنسانُ شخصاً، أو يدَّعي محبَّته ولكنَّهُ لا يؤمن بمقامه ومنزلته. ولكنَّ تحقُّق هذا المعنىٰ، أي الحبّ المجرّد عن الإيمان، بخصوص أهل البيت عليهم السّلام، محلُّ بحثٍ وإشكال.

فهل من يدَّعي محبَّة أهل البيت عليهم السّلام، ولا يؤمن بإمامتهم ووجوب إطاعتهم محبٌّ لهم حقيقةً؟

وبعبارة أُخرىٰ، هل إنَّ محبَّة أهل البيت عليهم السّلام قابلةٌ للإنفكاك عن القول بولايتهم وإمامتهم؟

وهل إنَّ هذه المحبَّة -علىٰ فرض تحقّقها واقعاً- تنفع هؤلاء الأشخاص؟!

وعلىٰ أيّ حالٍ، فإنَّ الإيمان بإمامة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام لهو من أهمّ الواجبات، بل إنَّ كلَّ العبادات منوطةٌ بولاية أهل البيت عليهم السّلام.

الثالث: إنَّ الإيمان فرع المعرفة، ولما كانت المعرفة متفاوتة الدرجات عند الأشخاص، فلا محالة سيكون الإيمانُ بهم متفاوت الدرجات أيضاً.

إنَّ الإيمان بإمامة أهل البيت، هو بالضبط كالإيمان باللّه سبحانه وتعالىٰ، وكالإيمان برسالة رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، حيث أنَّ معرفة الأشخاص باللّه تعالىٰ وبرسوله ليست علىٰ حدٍّ سواء.

فإذا كان الإيمان فرع المعرفة وكان واجباً، كانت المعرفة واجبة كذلك، فإنَّه إذا لم تكن المعرفة، لم يكن الإيمان.

ومن ثمَّ قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«مَنْ ماتَ وَلَم يَعرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتَةً جاهليَّة»[١]

ولابدَّ من الإلتفات إلىٰ أنَّ الإنسان مهما حصل علىٰ درجة من المعرفة، فإنَّ عليه أن لا يقنع بتلك الدرجة، لأنّ القناعة وإنْ كانت من الامور الراجحة الممدوحة، ولكن لا في طلب المعارف والعلوم، فيجب علىٰ الإنسان أن لا يقف عند حدٍّ معيَّن من المعارف، بل عليه أن يسعىٰ جاهداً لطيِّ الخطوات الواسعة في طريق المعرفة وتحصيلها أكثر فأكثر.

الرابع: إنَّه كلَّما إزداد إيمان الإنسان، كلما إزدادت طاعتُه، لأنَّ الطاعة فرعُ الإيمان والإعتقاد، كما إنَّ الإيمان فرع المعرفة.

وعليه، فإنْ كان المراد من الإيمان مجرَّد الإعتقاد القلبي، كانَ الإيمانُ والإعتقاد القلبيُّ لازماً ليكون الإنسان مطيعاً.

وأمّا إن كان المراد من الإيمان، الإعتقاد القلبي مضافاً إلىٰ العمل، فذا بحثٌ آخر، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«الإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان»[٢]

وجاء في كتاب دعائم الإسلام:

«الإيمان قولٌ باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان وهذا الَّذي لا يصحُّ غيره»[٣]

---

(١) الثاقب في المناقب: ٤٩٥، الحديث ١؛ الصّراط المستقيم: ١١١/١؛ المسند، أحمد بن حنبل: ٩٦/٤؛ مجمع الزوائد: ٢٢٥/٥؛ المعجم الكبير: ٣٨٨/١٩؛ وهو في الكافي: ٣٧٧/١ و٣٧٨ و٢٠/٢ مع تفاوت بسيط.

(٢) الكافي: ٢٧/٢، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٥٦/٦٥، الحديث ١٥.

(٣) دعائم الإسلام: ٣/١.

وإذا كان المراد من الإيمان هو الإعتقاد والعمل، فإنَّه كلّما إزداد الإيمان إزداد وحَسُنَ العمل والطاعة.

وبعد معرفة هذه المطالب فهنا بحوث:

١- هل كان أهلُ البيت عليهم السّلام علىٰ حقٍّ؟

ذكرنا سابقاً، بأنَّ أحداً من الناس -علىٰ الأقل بحسب تتبّعنا- لم يدَّع أنَّ أهل البيت عليهم السّلام لم يكونوا علىٰ حقّ، فحتّىٰ أعداؤهم لم يقولوا بذلك، بل بالعكس يحاولون إلصاق أنفسهم بأهل البيت عليهم السّلام، ويدَّعون الإنتساب والتبعيَّة لهم.

وقد ذكرنا كلام إبن حجر الهيتمي المكّي في كتابه "الصواعق المحرقة" حيث قال في الردِّ علىٰ الشيعة ما معناه: نحن أتباع أهل البيت وليس الشيعة، وإنَّ دعوىٰ الشيعة متابعة أهل البيت لا صحّة لها.(١)

ولمّا كان الحقُّ مع أهل البيت وأنّهم على حقّ، فلابدَّ أن يكون الذين وقفوا بوجههم وحاربوهم في حياتهم وبعد حياتهم على الباطل.

٢- من الَّذي وقف بوجه أهل البيت وحاربهم؟

نحنُ نعتقد بأنَّ كلَّ الفرق والمذاهب -ماعدا مذهب أهل البيت عليهم السّلام- هي علىٰ باطل، ولكنَّ علىٰ رأس كلِّ أهل الباطل في كلّ زمانٍ، هم الحكّام الذين تسلّطوا علىٰ رقاب المسلمين بإسم الإسلام، فصبّوا ألوان الظُلم علىٰ أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم. ثمَّ وعّاظ السّلاطين الذين إستماتوا في

---

(١) الصّواعق المحرقة: ١٥٣.

الدفاع عن الظَلَمَة وظُلمهم، محاولين تبرئة ساحتهم فقالوا عنهم:

«إجتهدوا فأخطأوا»

ولا يخفىٰ أن هذا الكلام يتضمّن أمرين:

١- الإقرار بالظلم.

٢- إدّعاء الإجتهاد للظالمين، وإنَّهم أخطأوا ولم يتعمَّدوا.

ومن الواضح أنَّ الإقرار حجَّة، وأمّا مجرّد الإدّعاء فلا قيمة له ما لم يقم الدليل القطعي عليه.

وكمثال علىٰ ذلك، يعترفون بأنَّ طلحة والزبير وعائشة وغيرهم ممّن خرج علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام وأشعلوا نار الحرب ضدَّه، كانوا علىٰ خطأ، ولكنَّهم يقولون بأنَّهم تابوا من فعلتهم تلك.

وقد أجاب الشيخ المفيد رحمه اللّه بأنَّ خروجهم علىٰ إمام زمانهم الموجب للخروج من الدين دراية، وأمّا القول بأنّهم تابوا فمجرَّد إدِّعاء لابدَّ من إثباته.[١]

فشاهد كلامنا هو: إنَّه حتّىٰ أُولئك الذين يدافعون عن حكّام الجور، يُقرّون بقبح أفعالهم، ولكنَّهم يحاولون توجيهها والدفاع عنهم بأنَّهم قد تابوا.

ولكن لما ثبت أنَّ هناك حقّاً وإنَّ ماعداه باطلٌ، وثبت أنَّ أهل البيت عليهم السّلام وبإجماع المسلمين، هم علىٰ الحقِّ، فلا محالة يكون ماعداهم علىٰ باطل والله عزّوجلّ يقول:

﴿ وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[٢]

---

(١) الفوائد الرجاليّة: ٣١٤/٣؛ أعيان الشيعة: ٤٢٥/٩؛ معجم رجال الحديث: ٢١٨/١٨.

(٢) سورة الشعراء (٢٦): الآية ٢٢٧.

٣- هل يمكن موالاة أهل البيت وظالميهم معاً؟

هل يمكن قبول رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأبي جهل معاً؟

وبتعبير أوسع، هل يمكن قبول اللّه تعالىٰ وقبول الشيطان؟

إن قبول الظالم و حمل أفعاله علىٰ الصحَّة يستلزم عدم التبرّي منه، ولذا لم يتبرء أحمد الغزالي من إبليس بل قال بأنَّه كان من الموحّدين إذ لم يسجد لآدم!

كما أصرَّ أخوه محمد الغزّالي علىٰ عدم جواز لعن يزيد بن معاوية فقال في كتاب إحياء العلوم، في قسم "آفات اللّسان":

«الآفة الثامنة: اللعن....

وعلىٰ الجملة ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً، فضلاً عن غيره.

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنَّه قاتل الحسين أو أمر به؟

قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال: إنَّه قتله، أو أمر به، ما لم يثبت، فضلاً عن لعنه، لأنَّه لا تجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة من غير تحقيق»

ثمَّ ذكر بعض أحاديث النهي عن لعن الأموات، ثمَّ قال:

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه اللّه، أو الآمر بقتله لعنه اللّه؟

قلنا: الصّواب أن يقال: قاتل الحسين إنْ مات قبل التوبة لعنه اللّه، لأنَّه يحتمل أن يموت بعد التوبة، فإنَّ وحشياً قاتل حمزة عمّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قتله وهو كافر، ثمَّ تاب عن الكفر والقتل جميعاً، ولا يجوز أن يلعن. والقتل كبيرة ولا تنتهي إلىٰ رتبة الكفر، فإذا لم يقيّد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر، وليس في السكوت خطر، فهو أولىٰ.»[١]

(١) إحياء العلوم: ١٢٥/٣.

إنَّ مثل هذا الإستدلال جميلٌ في ظاهره، ماكرٌ في محتواه، فهو يقول: بدلاً من أن تلعن يزيد بن معاوية قل: "اللهمَّ إغفر للمؤمنين والمؤمنات"، أليس هذا أفضل ؟!

الحقّ، إنَّ كلام الأخوين مخالفٌ لصريح القرآن الكريم، فإنَّ اللّه تعالىٰ لعن إبليس، وأمرنا بلعنه. كما إنَّ الثابت في كتب الفريقين إنَّ يزيد بن معاوية كافرٌ، ظالم ومفسدٌ في الأرض، وإنَّه مستحقّ للّعن، بصريح القرآن الكريم.

والحاصل، إنَّ الإعتقاد بالحقّ، لا يتحقّق إلاّ بالبراءة من الباطل، ومن ثمَّ فإنَّنا نقول في زيارتنا للأئمَّة عليهم السّلام:

أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ

وجعل الباري عزّوجل شاهداً علىٰ أمرٍ مّا، دليلٌ علىٰ عظمة ذلك الأمر، فإنَّ المؤمن لا يُشهد اللّه علىٰ أمرٍ جزئي تافهٍ، وإنَّما يُشهده علىٰ أمر عظيم خطير، ومطلب مهمٍّ كبير.

والإيمانُ باللّه وبالرسول وبالإمام لا يتحقَّق إلاّ بالبراءة من إبليس ولعنه، وبالبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السّلام، لأنَّ الحقَّ واحدٌ، وغير الحقِّ هو الباطل، بل لا يمكن السكوت والحياد تجاه الباطل، لأنَّ السكوت والحياديَّة حينئذٍ مساوقة للشكِّ في حقّانيّة الحقّ.

إذن، فالبرهان الواضح يقتضي عدم جواز السّكوت علىٰ الباطل، فيما إذا كان الإنسان مؤمناً وتابعاً للحقّ.

وبعبارة أُخرىٰ، فإنَّ الإعتقاد القلبي شرطٌ في الإيـمان، بأيٍّ مـعنىٰ فسَّـرنا الإيمان، والإعتقاد مأخوذ من "عقد يعقد"، فهو يعني "عقد القلب".

قال الراغب الإصفهاني:

«العقد: الجمعُ بين أطراف الشيء»(١)

إنَّ القلب وعاءٌ، وهذا الوعاء الواحد لا يجتمع فيه اللّه والشيطان، فلو قال أحدٌ: أنا أجمع في وعاء قلبي "اللّه" مع الصنم أو مع الشيطان، لم يكن موحِّداً، والمسلم هو من يعتقد برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فلا يمكن أن يضمَّ هذا القلب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مع أبي جهل، والمؤمن هو من يوالي أهل البيت عليهم السّلام ويتبرّأ من أعدائهم، فلا يجتمع ولاء أهل البـيت مـع عـدم البراءة من أعدائهم فضلاً عن الولاء لهم كذلك.

ولذا، فإنَّنا حينما نقف بين يدي الإمام عليه السّلام ونعلن إيـماننا ونـظهر إعتقادنا بهم عليهم السّلام، ونلعن ونكفر بأعدائهم ونطردهم من قلوبنا ونقول:

«مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ».

فإنَّنا نؤمن:

١- بالأئمة الأطهار أنفسهم، أي، بحقّانيَّتهم وبمنازلهم عند اللّه.

٢- بكلِّ ما آمن به الأئمَّة عليهم السّلام "، سواءٌ عـلمنا بـذلك تـفصيلاً أو إجمالاً، أو لم نعلم به، فنحن نؤمن بما يؤمنون به لكونه مورد إيمانهم، وهم علىٰ حقٍّ في إيمانهم، وإنَّ إيمانهم مطابق للواقع.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٤١.

وإنّا نكفر:

١- بكلّ من عادىٰ أهل البيت عليهم السّلام، وبأيّ درجة كان ذلك العداء، وفي أيّ صورة كان، ومن أيٍّ شخص صدر، البعيد والقريب، ومهما كان مقامه، وسواءٌ عرفناه أو لم نعرفه، أظهر عداوته لهم أو لم يظهرها. فإنَّ صرف العداء لأهل البيت عليهم السّلام سيكون سبباً لكفرنا به وعدائنا له.

٢- بكلّ من عاداه أهلُ البيت عليهم السّلام، رفضوه، ردّوه وأبطلوه، من الأشخاص، الأفكار، الأقوال، الأفعال، الصفات وكلّ شيءٍ آخر، سواء كان معلوماً لنا أو غير معلوم، لأنّنا علىٰ يقين من أنَّ أهل البيت علىٰ حقٍّ، ونحن تابعون لهم.

ثمَّ إنَّنا لا نكتفي بالسكوت والحياديَّة علىٰ تلك الموارد، بل إنّنا كافرون بها، لأنَّ القرآن الكريم يقول:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّٰاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فقد استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى﴾[1]

ومن الواضح، إنَّ العروة الوثقىٰ واحدةٌ لاغير، وإنَّ التمسُّك بالعروة الوثقىٰ واجبٌ عقلاً وشرعاً، وهذا التمسُّك لا يتحقّق بعد الإيمان بالله إلاّ بالكفر بالطاغوت والبراءة منه والعداء له.

والظريف، هو إنَّ الآية الشريفة قدّمت الكفر على الإيمان، كما هو الحال في كلمة التوحيد حيث نقول أوّلاً "لا إله" ثم نقول "إلاّ اللّه".

وعلىٰ هذا، فإنّه لابدَّ أوّلاً من تخلية وعاء القلب من الأغيار، لأنَّ هذا الظرف لا يليق إلاّ للّه الحقّ، النور والهداية، لا للطاغوت والضلالة والظلمة.

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

ولقد كان للطاغوت على مرِّ التأريخ مصاديق، واليوم أيضاً له مصاديق، وغداً سيكون له مصاديق أيضاً، لكن رواياتنا قد جعلت الطّاغوت علماً لشخصٍ معيّن.

كما أنَّ المؤمن في "يؤمن باللّه" هو الَّذي يؤمن باللّه وبما أمر بالإيمان به، فالمؤمن الحقيقي هو المؤمن باللّه وبرسوله وبالأئمّة الأطهار واليوم الآخر.

وعليه، فالمتمسِّك بـ"العروة الوثقىٰ" هو الَّذي يتبرّأ من كلِّ مصاديق الطاغوت، ويتولّىٰ اللّه ورسوله وأوليائه، قال تعالىٰ:

﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ﴾[1]

إذن، لابدَّ أن يكون الإيمان مستقرّاً في القلب بمعناه الحقيقي والواقعي، فلا يكون ممّن "يصبح مؤمناً ويُمسي كافراً" كما ورد في الروايات، لأنَّ الإيمان علىٰ قسمين:

١- الإيمان المستقرّ.

٢- الإيمان المستودع.

وعن محمد بن مسلم إنَّه سمع من الباقر والصادق عليهما السّلام:

«إنَّ اللّه عزّوجل خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك واستودع بعضهم الإيمان، فإن يشأ أن يتمّه لهم أتمّه، وإنْ يشأ أن يسلبهم إيّاه سلبهم»[2]

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

(٢) تفسير العيّاشي: ٣٧٣/١١، الحديث ٧٦؛ بحار الأنوار: ٢٢٤/٦٦، الحديث ١٥؛ وجاء في الكافي في آخر هذا الحديث: "وكان فلانٌ منهم معاراً".

وفي رواية أُخرىٰ:

«إنَّ اللّه خلق النبيّين علىٰ النبوّة فلا يكونون إلاّ أنبياء، وخلق المؤمنين علىٰ الإيمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً، فإن شاء تمّمه لهم وإنْ شاء سلبهم إيّاه، قال: وفيهم جرت: ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[1] وقال لي: إنَّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه، فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك»[2]

وعن الفضل بن يونس إنَّ الإمام عليه السّلام قال له:

«أكثر من أن تقول "اللهمَّ لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير" قال: قلت: أمّا المعارون، فقد عرفت أنَّ الرجل يعار الدين، ثمَّ يخرج منه، فما معنىٰ "لا تخرجني من التقصير"؟

فقال: كلّ عمل تريد به اللّه عزّوجل فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنَّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين اللّه مقصّرون إلاّ من عصمه اللّه عزّوجلّ»[3]

ثمَّ قال تعالىٰ:

﴿ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4]

فقوله "لا تجد" يعني إنّه لا يمكن ذلك، أي لا يتحقَّق الإيمان باللّه وباليوم

---

(١) سورة الأنعام (٦): الآية ٩٨.

(٢) الكافي: ٤١٨/٢، الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٢٦/٦٦-٢٢٧، الحديث ١٨.

(٣) الكافي: ٧٣/٢، الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٣٣/٦٨، الحديث ١٤.

(٤) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

الآخر مع مودّة أعداء اللّه ورسوله. و "حادّ اللّه ورسوله" يعني أُولئك الذين حاربوا اللّه ورسوله.

قال الراغب الإصفهاني:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَه﴾[١] أي يمانعون، فذلك إمّا إعتباراً بالممانعة وإمّا بإستعمال الحديد»[٢]

وعلىٰ هذا، فلايمكن الجمع بين الذين "يوادّون" والذين "يحادّون"، حتّىٰ لو كان المحادّون المقابلون للّه ولرسوله هم الآباء والإخوة والعشيرة، لأنَّ الإيمان والإعتقاد فوق هذه الإعتبارات.

وهذه الآية الكريمة، كناية عن إنَّ الإيمان لا يراعىٰ فيه غير اللّه تعالىٰ؛ بل لا يُعتدُّ بغيره عزَّوجلّ، لأنَّ اللّه تعالىٰ هو الحقّ فقط، وما عدا اللّه هو الطاغوت.

فلا يصحُّ أن نقول: إنَّ المصلحة تقتضي أن نوادَّ "زيداً" أيضاً، فهذالا يمكن. نعم، قد تقتضي المصلحة السكوت تقيَّةً، وأمّا ما في القلب، فيجب أن يكون خالصاً للّه، ولا يحقُّ لنا في موارد التقيَّة من زيد أن نوادَّه ونفتح قلوبنا له!

ومن هنا، فإنَّ أُولئك الذين كُتب الإيمان في قلوبهم وإستقرَّ، لا يوجد موضع في قلوبهم لأعداء اللّه، وليس في قلوبهم ذرّة مودَّة لهم، فهؤلاء لا يخافون من أعداء اللّه أبداً، لأنَّ هؤلاء المؤمنين قد "أيَّدهم بروح منه".

ولأنَّ هؤلاء المؤمنين لما تبرّأوا من إخوانهم وآبائهم وعشيرتهم الكافرين

---

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٠٩ و١١٠.

ولم يوادّوهم، أثابهم اللّه تعالىٰ ﴿وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[١]

وهؤلاء، هم الَّذين: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٢]

ورضوان اللّه تعالىٰ أمرٌ قيّمٌ جدّاً. يقول القرآن الكريم:

﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]

فالآية الشريفة المذكورة من جملة أدلّتنا علىٰ وجود طائفتين، طريقين، خطّين وحزبين في كلّ زمان، فإمّا "حزب اللّه"، وإمّا الحزب المقابل لحزب اللّه، وغيرُ "حزب اللّه" هو الباطل.

وعن الحسين بن خالد إنّه سمع من الإمام الرضا عليه السّلام، عن أبيه، عن أجداده الكرام عليهم السّلام، أنّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«مَن أحبَّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقىٰ، ويعتصم بحبل اللّه المتين، فليوال عليّاً بعدي، وليعاد عدوّه، وليأتم بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي وحجج اللّه علىٰ الخلق بعدي، وسادة أُمّتي، وقادة الأتقياء إلىٰ الجنّة، حزبهم حزبي وحزبي حزب اللّه، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»[٤]

وفي حديث آخر عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

(٢) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

(٣) سورة التوبة (٩): الآية ٧٢.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٧٠، الحديث ٣٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٢/٢٦٢، الحديث ٤٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/١١٤، الحديث ١٠.

«حزبُ عليٍّ حزب اللّه، وحزبُ أعدائه حزبُ الشيطان»[١]

وعلىٰ هذا، فإنَّ حزب اللّه هم الذين لا يخلطون حبَّ اللّه وأوليائه بحبٍّ زيد وعمروٍ وبكر، وهذا هو المعنىٰ الواقعي والحقيقي للإيمان، وإنَّ نتيجة الإيمان الواقعي هي إيصال المؤمن إلىٰ المحلِّ الَّذي يقول عنه تعالىٰ:

﴿رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[٢]

إذن، هؤلاء فقط هم الفائزون المفلحون النّاجون، وأمّا الذين وقفوا في مقابل هؤلاء، فإنَّ مصيرهم يوم القيامة الذلُّ والهوان.

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي الْأَذَلِّين﴾[٣]

وعليه، فلا يمكن للإنسان المؤمن باللّه أن يودَّ الذين يحاربون اللّه ورسوله، وقد كتب اللّه لهم الذلّ والهوان وللمؤمنين الغلبة والقوّة و العزَّة، كما قال:

﴿كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٤]

وبالإستناد إلىٰ هاتين الآيتين، نقول: إذا ثبت المؤمنون علىٰ عقيدتهم وعملوا حقّاً بالقرآن الكريم وبأقوال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بشكل كامل وصحيح، والتزموا بها إلتزاماً بدون نقص وزيادة من أجل مصالحهم الخاصَّة والشخصيَّة، وإذا لم يجاملوا الآخرين في عقائدهم، فإنَّهم سيكونون أعزَّة أقوياء.

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٥٠، ذيل الحديث ١٤٦؛ بحار الأنوار: ٩٥/٣٨، الحديث ١١.
(٢) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.
(٣) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٠.
(٤) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢١.

تحقّق الإيمان بالبراءة

وأمّا الروايات الواردة في هذا الباب فهي فوق حدّ التواتر، وتدلُّ علىٰ إنَّ الإيمان لا يتحقَّق إلاّ بالبراءة، وهي إمّا جزء له أو شرط، ونحن لحدّ الآن لم نتعرّض بشكل معمَّق لوجوب بغض أعداء أهل البيت، والبراءة من المخالفين لهم.

حبُّ وبغضُ أهل البيت في الروايات

وهنا نرىٰ أن نذكر بعض الروايات، لا من كتاب أُصول الكافي، بصائر الدرجات، بحار الأنوار و...وإنَّما من كتب العامَّة، وبأسانيدهم عن النبي الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وقد قمنا بتحقيق هذه الأحاديث في مواطن مختلفة من تأليفاتنا، وبحثناها بالتفصيل من حيث السند والدلالة، ولكنْ لمّا كانت تفوق حدَّ التواتر، فإنَّها ليست بحاجة إلىٰ التحقيق في أسانيدها.

وقبل الورد في ذلك نذكّر بأمرين:

الأوّل: إنَّ النّفاق بحسب الكتاب و السنَّة مساوٍ للكفر، وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في عدَّة مواضع، منها قوله تعالىٰ:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١)

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ٧٣.

الثاني: إنَّ العداء للنّبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مساوٍ للعداء للّه وهو كفر، وكذلك البغض لأمير المؤمنين، والمقصود هو الكفر المقابل للإسلام.

١- ثواب المحبَّة

وهذه جملة من الأحاديث الواردة في خصوص المحبَّة وثوابها:

الحديث الأوَّل:

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«من مات وهو يحبّك بعد موتك ختم اللّه له بالأمن والإيمان ما طلعت الشمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهليَّة وحُوسب بما عمل في الإسلام»[١]

ومن الواضح أنَّ ميتة الجاهليَّة تعبير آخر عن الكفر.

وقد روىٰ هذا الحديث كبارُ علماء أهل السنَّة، كالطبراني، أبي يعلىٰ الموصلي و أبي بكر الهيثمي، إبن الأثير وجمع آخر منهم.

ولا ريب أن من كانت ميتتهُ ميتةً جاهليَّة، لابدَّ من البراءة منه.

٢- أمير البررة

الحديث الثاني:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بذيل الحديث «أنا مدينَة العِلْم وعليٌّ بابُها»:

---

(١) مجمع الزوائد: ١٢٢/٩؛ مسند أبي يعلى: ٤٥٣/١، الحديث ٥٢٨؛ كنز العمّال: ١٥٩/١٣، الحديث ٦٣٤٩١؛ تأريخ مدينة دمشق: ٥٥/٤٢.

«هذا أميرُ البَرَرَة، قايِلُ الفَجَرة، مَنصور من نصرَه، مُخذولٌ مَن خَذَلَه»[١]

وكلمة "بررة" جمع "بارّ"، فمن إعتبره اللّه ورسولُه بارّاً، لاشكَّ في كونه في رتبة عاليةٍ من البرّ.

وروىٰ هذا الحديث جمع من علماء أهل السُنَّة، كالحاكم النيشابوري، وأبيإسحاق الثعلبي والخطيب البغدادي.

وبمقتضىٰ هذا الحديث، يجب علىٰ المؤمن أن يتبرّأ من كلّ من خذله اللّه تعالىٰ، ويكون بذلك من جملة البررة.

٣- المزاعم الكاذبة

الحديث الثالث:

وعن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنَّه قال لعليّ عليه السّلام:

«كَذِبَ مَنْ زَعم أنَّهُ يحبُّني ويُبغِضُكَ»[٢]

وجاء هذا الحديث في رواية جمع من كبار علماء أهل السنّة، وقد ناقش شمس الدين الذهبي في وثاقة راويه[٣]، فتعقّبه ابن حجر العسقلاني بأن ابن حبان قد وثّقه.[٤]

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٢٩/٣؛ تأريخ بغداد: ١٨١/٣، الحديث ١٢٠٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٢٦/٤٢ و٣٨٣؛ فتح الملك العلى بصحّة حديث باب مدينة العلم علي: ٥٧؛ الكامل: ١٩٢/١، رقم ٣٣؛ ميزان الإعتدال: ١١٠/١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٦٨/٤٢؛ نظم درر السمطين: ١٠٣؛ كنز العمّال: ١٢٢/١٣، الحديث ٣٦٣٩٢؛ كتاب المجروحين: ٣١٥/٢؛ الكامل: ٣٦٣/٢، رقم ١٢٢؛ البداية والنهاية: ٣٩١/٧.

(٣) ميزان الإعتدال: ٥٨٦/٣، رقم ٧٧٥٧.

(٤) لسان الميزان: ٢٠٦/٥.

٤- طُوبىٰ للمحبّين

الحديث الرابع:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لعليٍّ عليه السّلام:

«يا علي، طوبىٰ لمن أحبَّك وصَدَقَ فيك، وويلٌ لمَن أبغضك وكذب فيك»[1]

و"طوبىٰ" و"ويلٌ" كلمتان متقابلتان، وبأيِّ معنىٰ كانتا فحاصلهما هو السعادة والشقاء، أي الثواب والعقاب.

إذن، فكلُّ واحدة من هاتين الكلمتين تدلُّ علىٰ عاقبة فعلٍ معيَّن.

فطوبىٰ لمن "أحبَّك وصَدَق فيك".

وكلمة "صدَّق" إنْ كانت بالدال المشدَّدَة، فالمعنىٰ التصديق بكلّ منازل أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه الواردة في الأخبار، وإنْ كانت محفّفةً فمعناها إنَّه صادقٌ في إدّعائه، أي إنَّ أفعاله مطابقة لدعواه الولاية.

وقد ذكرنا مراراً بأنَّ المحبّة الواقعيَّة والحقيقيَّة تستتبع الطاعة والمتابعة العمليَّة.

و«وَيْلٌ لِمَنْ أبغَضَكَ وكذَّب فيك»، تعني كذَّبك أو كذَّب ما قاله اللّه ورسولُه فيك من مناقب ومنازل.

وروىٰ هذا الحديث: أحمد بن حنبل، الحاكم النيشابوري، الطبراني، الخطيب البغدادي، أبوبكر الهيثمي، وجمعٌ آخر من علمائهم.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٣٥/٣؛ مجمع الزوائد ١٣٢/٩؛ مسند أبي يعلى: ١٧٩/٣، الحديث ١٦٥٢؛ المعجم الأوسط: ٣٣٧/٢؛ تأريخ بغداد ٧٤/٩؛ كنز العمّال: ٦٢٢/١١، الحديث ٣٣٥٣٠؛ الكامل: ١٨٧/٥، رقم ٣٧٧؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٨١/٤٢؛ ميزان الإعتدال: ١١٨/٣، البداية والنهاية: ٣٩١/٧؛ المناقب: ٧٠، الحديث ٤٥.

٥- المؤمن والمنافق

الحديث الخامس:

عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في كلام له لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«لا يُبغضك مؤمنٌ ولا يحبُّك مُنافق»(١)

والمؤمن يقابل المنافق، والحبُّ يقابلُ البغض، فحبُّ عليٍّ عليه السّلام صفة المؤمن، وبغض عليٍّ عليه السّلام صفة المنافق.

وجاء هذا المعنىٰ بلفظ:

«لا يُحبُّ عليّاً منافقٌ، ولا يُبغض عليّاً مؤمن»(٢)

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«واللّه إنَّه ممّا عَهِدَ إليَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنَّـه لا يـبغضني إلاّ منافق ولا يُحبّني إلاّ مؤمن»(٣)

وهذا الحديث ممّا يقطع بصدوره عن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.

وقد رواه البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، إبن ماجة، أبونعيم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٢/٦؛ مسند أبي يعلى: ٣٣١/١٢، الحديث ٦٩٠٤؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٧٩/٤٢؛ كنز العمال: ٦٢٢/١١، الحديث ٣٣٠٢٦؛ تهذيب الكمال: ١٥ و٢٣٢؛ البداية والنهاية: ٣٩١/٧.

(٢) سنن الترمذي: ٢٩٩/٥، الحديث ٣٨٠١؛ مسند أبي يعلى: ٣٦٢/١٢، الحديث ٦٩٣١؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٨٠/٤٢؛ كنز العمّال: ٥٩٩/١١، الحديث ٣٢٨٨٤؛ ينابيع المودّة: ٨٥/٢، الحديث ١٤٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٨٤/١؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٧٢/٤٢؛ صحيح مسلم: ٦٠/١؛ سنن إبن ماجة: ٤٢/١، الحديث ١٤؛ السنن الكبرىٰ، النسائي: ١١٧/٨؛ فضائل الصحابة، النسائي: ١٧؛ شرح مسلم، النووي: ٦٤/٢؛ الديباج علىٰ مسلم، السيوطي: ٩٣/١، الحديث ١٣١؛ تحفة الأحوذي: ١٥١/١٠؛ المصنف: ٤٩٤/٧، الحديث ١.

الإصفهاني، الطبراني، الحاكم النيشابوري، الخطيب البغداديّ، إبن حجر العسقلاني وآخرون.

وقال إبن عبد البرّ في كتاب "الإستيعاب":

«روىٰ طائفة من الصحابة أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لعليّ: لا يُحبُّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»(١)

٦- ملاك معرفة المنافقين

الحديث السادس:

وعن أبي سعيد الخدريّ:

«إنّا كُنّا لنعرف المنافقين نحنُ معاشرَ الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب»(٢)

رواه أحمد بن حنبل، الترمذي، إبن الأثير، الخطيب البغدادي، أبو نعيم الإصفهاني، إبن عبد البر، الحاكم النيشابوري، شمس الدين الذهبي، إبن حجر العسقلاني، أبوبكر الهيثمي وآخرون.

وحاصله: إنَّ التبرّي من المنافق واجب، ومبغض علي منافق، فيجب التبري منه.

---

(١) الإستيعاب: ١١٠٠/٣.

(٢) سنن الترمذي: ٢٩٨/٥، الحديث ٣٨٠٠؛ مناقب علي بن أبي طالب عليه السّلام، إبن مردويه: ٥٣٣/٣٢١؛ الكامل: ٧٩/٥؛ تأريخ بغداد: ١٥٥/١٢؛ اسد الغابة: ٣٠/٤؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٨٥/٤٢؛ شواهد التنزيل: ٢.٢٤٨/٢؛ تأريخ الإسلام: ٦٣٤/٣؛ الإكمال: ١٠٢؛ ينابيع المودّة: ١٥٠/١، الحديث ٥؛ أنساب الأشراف: ٩٦، رقم ١٩.

وبعبارة ثانية، إنَّ مبغض أمير المؤمنين عليه السّلام، يعني المنافق، والمنافق يعني الكافر، فهل يصحُّ حينئذٍ أن يدّعي الشخص بأنَّه من أتباع أمير المؤمنين عليٍّ المرتضىٰ عليه السّلام وأنَّه مطيع لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ومع ذلك يحبُّ الكفّار؟!

وقد رُوي هذا المعنىٰ عن بعض الصحابة بعبارة أُخرى، قال:

«ما كُنّا نعرفُ المنافقين إلاّ بتكذيبهم للّه ورسوله، والتخلُّف عن الصلوات والبغض لعليٍّ بن أبي طالب»[1]

٧- المبغضون في يوم القيامة

الحديث السابع:

وجاء في حديث طويل:

«من مات علىٰ بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة اللّه. أَلا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد مات كافراً. ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنَّة»[2]

ورُوي هذا الحديث في تفسير الثعلبي، تفسير الكشّاف للزّمخشري، وتفسير الفخر الرازي.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٢٩/٣.

(٢) تخريج الأحاديث والآثار، للزيلعي: ٢٣٨/٣؛ ينابيع المودّة: ٣٣٣/٢، الحديث ٩٧٢؛ تفسير الثعلبي: ٣١٤/٨؛ تفسير الكشّاف: ٤٦٧/٣؛ تفسير الرازي: ١٦٦/٢٧، تفسير القرطبي: ٢٣/١٦؛ تفسير إبن عربي: ٢١٩/٢.

٨- المبغضون ودخولهم النار

الحديث الثامن:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حديث:

«فلو أنَّ رجلاً صفَّ قدميه بين الركن والمقام فصلّىٰ وصام، ثم لقىٰ اللّه وهو مبغض لأهل بيت محمّد، دخل النار»(١)

وقد روىٰ هذا الحديث جمع من علماء أهل السُنَّة منهم الحاكم النيشابوري، وقال:

«صحيح علىٰ شرط مسلم».

ووافقه شمس الدين الذهبي، علىٰ رغم تعصُّبه.

٩- بغضُ عليٍّ بغضٌ لرسول اللّه

الحديث التاسع:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«من أبغض عليّاً فقد أبغَضَني، وَمَن أبغضني فقد أبغض اللّه، ومن أبغض اللّه أدخله النار»(٢)

رواه الحاكم النيشابوري، الطبراني، الخطيب البغدادي، شمس الدين

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٤٩/٣؛ المعجم الكبير: ١٤٢/١١؛ امتاع الأسماع: ١٧٧/١١؛ ينابيع المودَّة: ٣٧٦/٢، الحديث ٦٧.

(٢) المستدرك ١٣٠/٣؛ المعجم الكبير: ٣١٩/١، الحديث ٩٤٧ و٢٣ و٣٨٠؛ تاريخ بغداد: ٣٤/١٣، الحديث ٦٩٨٨، لسان الميزان: ٢٠٦/٥؛ مجمع الزوائد: ١٣١/٩؛ الإكمال: ١٣/٦٨؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٨٣/٤٢؛ ميزان الإعتدال: ٥٨٦/٣، الحديث ٧٧٠٥، مع تفاوت في بعض المصادر.

الذهبي، إبن حجر العسقلاني، أبوبكر الهيثمي وجمع كثير من علمائهم، وصرَّح بصحّته عدَّةٌ منهم.

١٠- محاربة رسول اللّه

الحديث العاشر:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«أنا حربٌ لمَنْ حاربَكُم وسلمٌ لِمَن سالمَكُم»(١)

وفي لفظ:

«أنا سلمٌ لمن سالمكُم وحربٌ لمن حاربكم»

ورویٰ هذا الحديث الترمذي، الطبراني، الحاكم النيشابوري، إبن عساكر وجمعٌ من كبار أهل السنَّة.

وهو حديث واضح في معناه.

١١- عدو عليٍّ عدوٌ لرَّسول اللّه

الحديث الحادي عشر:

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في عليٍّ عليه السّلام:

«عدوُّهُ عدوِّي وعدوّي عدوّ اللّه»

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤٤٢/٢؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٤٩/٢؛ المعجم الأوسط: ١٧٩/٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ١٥٧/١٤؛ مجمع الزوائد: ١٦٩/٩؛ كنز العمّال: ٩٧/١٢، الحديث ٣٤١٦٤؛ المصنف: ٥١٢/٧، الحديث ٧؛ صحيح إبن حبّان: ٤٣٤/١٥؛ تأريخ بغداد: ١٤٤/٧؛ اسد الغابة: ١١/٣؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٢/٢ و٢٥٨/٣؛ تأريخ الإسلام: ٤٥/٣.

وورد بلفظ:

«عدوُّكَ عدوّي وعدوّي عدوّ اللّه»(١)

وبلفظ:

«مَن عاداهُ فَقَدْ عادىٰ اللّه»

وبلفظ:

«عادىٰ اللّه مَن عادىٰ عليّاً»(٢)

وسواء كان المراد: إنَّ اللّه يعادي من عادىٰ عليّاً، أو: من عادىٰ عليّاً فقد عادىٰ اللّه، فإنَّ الإستدلال تام.

وجاء في حديث الغدير:

«اللّهمَّ وال من والاه وعادِ مَن عاداهُ وإنصُر مَنْ نَصَرَه واخذُل مَن خَذَلَه وابغض من أبغضه...»(٣)

وكلُّ هذه الأحاديث متواترة، ويمكن إدّعاء تواترها اللفظي أيضاً.

١٢- حديث مشهور

الحديث الثاني عشر:

حديثٌ مشهورٌ لفظه مجملٌ معناه، وهو قوله صلّىٰ اللّه عليه و آله:

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٢٨/٣؛ تاريخ بغداد: ٢٦١/٤؛ تهذيب الكمال: ٢٥٩/١؛ سير أعلام النبلاء: ٥٧٥/٩.

(٢) الجامع الصغير: ١٤٥/٢، الحديث ٥٣٦٢؛ كنز العمّال: ٦٠١/١١، الحديث ٣٢٨٩٩؛ اسد الغابة: ١٥٤/٢؛ ينابيع المودَّة: ٧٧/٢؛ الإصابة: ٣٧٣/٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١١٩/١؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ١٠٩/٣؛ مجمع الزوائد: ١٠٤/٩؛ السنن الكبرىٰ، النسائي: ١٣٦/٥؛ المعجم الكبير: ٣٥٧/٢؛ كنز العمّال: ٦٠٩/١١، الحديث ٣٢٩٤٦.

«حُبُّ عليٍّ حَسَنَةٌ لا تضُرُّ مَعَها سَيِّئَةٌ، وبُغضُهُ سيّئةٌ لا تَنفَعُ مَعَها حَسَنَةٌ»[1]

ولكنّنا وبفضل من اللّه تعالىٰ، سنستخرج حقيقة معنىٰ هذا الحديث من القرآن الكريم، وذلك: إنّ اللّه تعالىٰ يقول:

﴿قُلْ لاَ أسئَلُكُم عَلَيهِ أَجْرَاً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُربىٰ﴾[2]

ثمَّ يقول بعد ذلك مباشرةً:

﴿وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فيِهَا حُسْناً﴾[3]

و"يقترف" يعني: يكتسب.[4]

فإذا ما إكتسب أحدٌ "حَسَنَة" فإنَّ اللّه تعالىٰ يقول: "نَزِد لَهِ فيها" في تلك الحسنة "حُسناً"، أي يزيد اللّه في حسنة ذلك الشخص حسناً، فما المراد من "الحَسَنَة"؟

جاء في تفاسير الشيعة والسُنَّة للآية المذكورة:

«الحَسَنَةُ حبُّ عليٍّ وأهل بيته»[5]

وعليه، يكون حاصل معنىٰ الآية:

إنَّ اللّه تعالىٰ يزيد في حُسنِ هذه الحَسَنَة ـ وهي حبّ أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السّلام ـ من غير تعيين حدٍّ لتلك الزيادة.

وإذا كان كذلك، فأيُّ سيّئةٍ تضرُّ مع مثل هذه الحسنة؟

---

(١) الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمّي: ٩٦؛ كشف الغمّة: ٩٢/١؛ بحار الأنوار: ٢٤٨/٣٩، الحديث ١٠.

(٢) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٠١.

(٥) تفسير القرطبي: ٢١/١٦-٢٢؛ شواهد التنزيل: ١٩٣/٢.

١٣- موت المبغض علىٰ غير ملّة الإسلام

الحديث الثالث عشر:

قوله صلّى الله عليه وآله:

«مَنْ ماتَ وَفي قَلْبِهِ بغض لعليٍّ فَلْيَمُتْ يَهودياً أوْ نَصرانياً»[1]

ففي الحديث السابق عبَّر بميتة الجاهليَّة، وهنا يُعبّر عن ذلك بموت اليهوديَّة والنصرانيَّة. وعليه، فكما لا يفلح من مات يهودياً أو نصرانياً، كذلك من مات وفي قلبه بغض لعليّ، وكما يجب التبرّي من اليهود والنصارىٰ، كذلك يجب التبرّي ممّن في قلبه بغض لعلي عليه السَّلام.

وهذا الحديث رواه جمع من كبار علماء السنَّة منهم الذهبي، إبن حجر العسقلاني وإبن المغازلي الشافعي.

وقد ناقش بعضهم في صحَّته لضعف أحد رواته في رأيه، ولو صحَّت هذه المناقشة، فإنَّ الأحاديث الأُخرىٰ تقوِّي هذا الحديث، ويتمُّ إعتباره، وكم له من نظير في كتب أهل السنَّة في مختلف المسائل، أخذاً بالقاعدة المشار إليها.

١٤- عليٌّ بابُ حطَّة

الحديث الرابع عشر:

قال صلّىٰ اللّه عليه و آله:

«عليٌّ بابُ حطَّة من دَخَل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً»[2]

---

(١) كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي: ٢٥٥/٣، رقم ١٢٤٨؛ ميزان الإعتدال: ١٥١/٣، رقم ٥٩١٣؛ لسان الميزان: ٢٥١/٤.

(٢) الجامع الصغير: ١٧٧/٢، الحديث ٥٥٩٢؛ كنز العمّال: ٦٠٣/١١، الحديث ٣٢٩١٠؛ الصواعق المحرقة.

وقد بحثنا مضمون هذا الحديث تحت عنوان "الكفر والإيمان"(١)

فوائد قيِّمَة

ومن الأحاديث المذكورة وأشباهها نستنتج عدَّة فوائد مهمَّة:

١- إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أوْلىٰ أمر ولاية أميرالمؤمنين وحبّه عناية خاصَّة في حياته الشريفة، وقد أبلغ ذلك إلىٰ الناس، وظهرت آثار تلك الحقيقة علىٰ حياة الناس منذ ذلك الوقت، فلقد كان الملاك في تمييز الناس للمنافقين عن غيرهم، وتشخيص أولاد الحلال من غيرهم، حبُّ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السّلام.

٢- إنَّ الصحابة والتابعين وكبار محدِّثي أهل السُنَّة قد إهتمّوا بهذا الموضوع أيضاً، ونقلوا الأحاديث فيه بأسانيدهم، وإنْ حاول بعض المتعصِّبين المتأخّرين المناقشة في أسانيد بعض تلك الروايات، وقد أُجيب عن مناقشاتهم وتشكيكاتهم في محلِّه.

٣- ذكرنا سابقاً بأنَّ هذه الأحاديث بلغت فوق حدِّ التواتر المعنوي، بل يمكن القول بالتواتر اللفظي لبعض تلك النصوص، ولذا فلا حاجة أساساً لمراجعة أسانيدها.

٤- كما قلنا سابقاً، بأنَّ نقل هذه الأحاديث من كتب العامَّة وبأسانيدهم عن رسول اللّه، إنّما هو لطمئنة أُولئك الذين ربما يقولون: «إنَّ الروايات الواردة في ولاية الأئمَّة والبراءة من إعدائهم قد وردت علىٰ لسان الأئمَّة أنفسهم فقط».

---

(١) راجع: الجزء الأول، الصفحة: ٢٠٨.

لا للحياد

ومن خلال الأحاديث المذكورة، يتبيَّن لنا عدم كفاية السّكوت والحياديَّة تجاه أعداء أهل البيت عليهم السّلام، فمن أحبَّ أمير المؤمنين عليه السّلام وأهل البيت، وسكت علىٰ أعدائهم ولم يتّخذ موقفاً سلبيّاً منهم، لم يكن علىٰ الولاية في شيء، بل يكون رادّاً علىٰ اللّه و رسوله والعياذ باللّه، بخلاف ما إذا كان من أهل الولاية لأهل البيت عليهم السّلام ومن أهل البراءة من أعدائهم، ثمَّ إرتكب معصيَةً، فإنَّه فاسق في الأحكام العمليَّة ولسان حاله كما نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي:

«إلهي لم أَعْصِكَ حين عصيتك وأنا بربوبيَّتك جاحد، ولا بأمرك مُستخفّ ولا لعقوبتك متعرّض... لكنْ خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي، وأعانني علىٰ ذلك شقوتي، وغرّني سترك المرخىٰ عليّ»[1]

فكم هو الفرق بين هذا الَّذي يرتكب ذنباً علىٰ أثر غلبة هواه، ولا يصطدم ذلك بأصل إيمانه باللّه تعالىٰ والإسلام، بل إنَّ إيمانه يدعوه ويسوقه نحو التوبة، وبين ذاك الَّذي يرتكب معصيةً كاشفة عن عدم إيمانه، وموجبة لكفره إذا مات علىٰ تلك الحال، وكانت ميتتهُ ميتةً جاهليَّة؟

إنَّ الأحاديث المذكورة تدلُّ علىٰ إنَّ الإيمان مركبٌ من الولاية والبراءة، أو أنه الولاية المشروطة بالبراءة. فالولاية تستتبع الطاعة المطلقة، والبراءة تستتبع عدم طاعة الأغيار في شيء.

وبناءاً علىٰ هذا، فلا يصحُّ أن يقول الإنسان بأنَّه يوالي رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ

---

(١) مصباح المتهجِّد: ٥٨٩؛ إقبال الأعمال: ١٦٦/١؛ بحار الأنوار: ٨٨/٩٥.

عليه وآله ويوالي أهل البيت عليهم السّلام ويعتبر إنَّ الولاية هي الحبُّ، وفي نفس الوقت يسكت علىٰ أفعال أعداء أهل البيت عليهم السّلام ويتّخذ الحياديَّة مسلكاً، وقد يدافع أحياناً عن أُولئك الأعداء أو يتبعهم.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ الإيمان برسول اللّه وأهل البيت عليهم الصلاة والسّلام في الأساس، هو كالإيمان باللّه تعالىٰ، وكلمة التوحيد "أشهد أن لا إله إلاّ اللّه"، المشتملة علىٰ نفي وإثبات ـ وهي كما ذكرنا سابقاً إستمساكٌ بالعروة الوثقىٰ الموجب للنجاة في يوم القيامة ـ لا تتحقَّق إلاّ بالإيمان باللّه والكفر بالطاغوت.

وبعد، فإنَّ المعنىٰ الإجمالي لهذا المقطع من الزيارة الشريفة، هو إنّنا نريد أن نقول للإمام عليه السّلام: إنّنا مسلِّمون لشخصك وشئونك وأوامرك كلّها.

وصحيح إنَّ لفظ "التسليم" لم يرد في هذا المقطع، ولكنَّ المعنىٰ المقصود منه هو هذا، وسنرىٰ لاحقاً وجود هذا اللفظ في الزيارة.

فالزائر يُعلن أنَّه مسلِّمٌ أمره بالكامل للإمام، في كلِّ شيء، فهو مؤمنٌ بكلّ ما يؤمن به وتابع له فيه.

فمثلاً، في باب التوحيد، يؤمن الأئمَّة عليهم السّلام بأنَّ اللّه تعالىٰ منزَّه عن الجسميَّة، ويؤمن بأنَّ صفات اللّه تعالىٰ عينُ ذاته وليست زائدة عليها، كما أنَّهم عليهم السّلام يؤمنون بعدل اللّه تعالىٰ، ويؤمنون بالمعاد الجسماني، وقد ذكرت الكتب الحديثيَّة والكلاميَّة أدلَّة الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ هذه المعتقدات.

ويقول الإمام الصادق عليه السّلام:

«لاجبرَ ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين»[(١)]

---

(١) الكافي: ١/١٦٥، الحديث ١٣؛ كتاب التوحيد للصدوق: ٣٦٢؛ بحار الأنوار: ١٧/٥.

فهذه هي إعتقادات الأئمَّة عليهم السّلام، التي دَعَوا الناس إليها.

وهم عليهم السّلام يؤمنون بكلِّ شئونات النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من القرآن والعصمة وسائر الجهات الأُخرىٰ المتعلِّقة بالنبوَّة.

ونحن أيضاً نؤمن بكلِّ هذه الأُمور، وعلينا بذل الجهد بقدر الإمكان لإقامة الأدلَّة عليها، فإن لم نقدر علىٰ إقامة الأدلَّة حتى علىٰ بعض هذه الأمور من أجل الإعتقاد بها بالتفصيل، فإنَّه يجب حينئذٍ الإعتقاد بها إجمالاً، ولذا نخاطب الإمام عليه السّلام ونقول: مؤمن بكم وبما آمنتم به، وبما دعوتم الناس إلىٰ الإيمان والإعتقاد به. وهذا هو معنىٰ الطاعة والمتابعة التامَّة في كلِّ المسائل الإعتقاديَّة، العمليَّة، الأوامر والنواهي التكليفيَّة والإرشاديَّة وفي سيرة وسلوك الأئمَّة عليهم السّلام.

ثم نقول: كافرٌ بعدوّكم وبما كفرتم به، فلا نسير في طريق مخالفيكم ولا نطيعهم ونتابعهم، ونطردُ من طردتموه.

وهذه هي الولاية بالمعنىٰ الحقيقي، أي إنَّنا نحيد عن الأشخاص، والأنظار والأقوال والأفعال التي حِدتُّم عنها ونفيتموها، سواءاً علمنا بسبب هذا النفي والطرد أو لم نعلم، فإنْ علمنا كان أفضل، وإنْ لم نعلم، بالسبب فيكفي أنَّنا نعلم أنَّكم طردتموها ونفيتموها، لأنَّنا مطيعون لكم طاعة مطلقة.

وهذا هو معنىٰ التسليم وواقع التشيُّع، وسيأتي مزيد توضيح له إنْ شاء اللّه بحسب ما جاء في الروايات، في شرح: «فثبّتني اللّه أبداً ما حييت علىٰ موالاتكم ومحبَّتكم ودينكُم ووفّقني لطاعتكم»

مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ

المستبصرون بشأن الأئمَّة عليهم السلام

أي إنَّنا معتقدون بكلّ منازلكم عن بصيرة وتشخيص وبعد التدبُّر والتّأمُّل التامِّين، لا عن تقليدٍ مجرَّد، فإنَّنا كلّما فكَّرنا وتأمّلنا إزدادت بصيرتنا بشأنكم وما أنتم عليه، فانتخبنا طريقكم عن بصيرة لا عن تقليد.

وإنَّنا نعتقد بأنَّ كلَّ من أطاع أئمَّة آخرين غيركم وسار في غير طريقكم ومنهجكم، لن يُفلح أبداً وهو من الخاسرين، وإعتقادنا هذا أيضاً نابع عن البصيرة لا عن التقليد.

إذن، فإعتقادنا بمقامات الأئمَّة وبضلالة مخالفيهم، هو إعتقاد راسخ ناتجٌ عن تأملٍ وبصيرة وتحقيق، لا عن تقليد ساذج.

مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ

موالاة أولياء الأئمَّة

وإنَّ إطار الإرادة والإخلاص والمحبَّة الخالصة للأئمَّة عليهم السّلام، يتّسع ليشمل شيعة أهل البيت عليهم السّلام.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ مودَّة أهل البيت عليهم السّلام هي مودَّة شيعتهم، فنودَّهم ونتعاطف معهم ونساعدهم ونخدمهم ونُكرمُهم ونعاشرهم وذلك:

أوّلاً: لأنَّ الأئمَّة عليهم السّلام أكَّدوا كثيراً علىٰ هذا المعنىٰ، وقد وردت روايات لا تحصىٰ تتناول بيان كيفيَّة تعامل الشيعة مع بعضهم البعض، وتوصياتهم في هذا المجال.

إذن، فحسنُ التعامل مع الشيعة ومودَّتهم ومحبَّتهم والتعاون معهم، هو إطاعة لأمر أهل البيت عليهم السّلام وإرشاداتهم.

ثانياً: لأنَّ المحبَّة لشيعة أهل البيت هو مكمِّل لمحبَّة أهل البيت عليهم السّلام، فكيف يحبُّ الإنسانُ أهل البيت عليهم السّلام ولا يحبُّ شيعتهم ؟! بل إنَّ هذا المعنىٰ هو أمرٌ كُلّي عام، ولذا فقد ورد في الرواية:

«أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة. فأصدقاؤك: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوّك. وأعداؤك عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك.»[١]

ثالثاً: لأنَّ محبَّة شيعة أهل البيت عليهم السّلام موافق لمقتضىٰ خلقتهم، حيث إنَّهم خلقوا من فاضل طينة أهل البيت عليهم السّلام، ولما ورد عنهم أنهم قالوا: «شيعتنا منّا»[٢]

مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ

في هذه العبارة مصطلحان:

مصطلح "البغض"، وهو حالة نفسانيَّة في داخل الإنسان.

قال الراغب الإصفهاني:

«البغض: نفار النفس عن الشيء الَّذي ترغب عنه، وهو ضدُّ الحبّ.»[٣]

ومصطلح "العداء"، وهو العداوة المعروفة.

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٤/٧١.

(٢) بحارالأنوار: ٢١/٢٥، ضمن الحديث ٣٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٥٥.

ومنه يظهر أنَّ وظيفتنا في التعامل مع أعداء أهل البيت عليهم السّلام لا تقتصر علىٰ الشعور القلبي والبغض الباطني والنفرة والإعراض الخفيّ، بل لابدَّ من إظهار هذا البغض عن طريق العداء الخارجي، فما يقوله البعض بأنَّ "البراءة أمرٌ قلبيّ لا يجب إظهاره"، غير صحيح، بل لابدَّ من عدم إدّخار الجهد مهما أمكن في إظهار العداوة وإعلان البراءة منهم قولاً وفعلاً، كالحبِّ الَّذي هو ضدُّ البغض، بل مثل هذه الأمور لا تُعرَف حتّىٰ تظهر علناً.

وبطبيعة الحال، لابدَّ من مراعاة الموازين الشرعيَّة والعقليَّة.

سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ

وعلىٰ الجملة، فإنَّ أهل البيت عليهم السَّلام هم الحقّ و الحقّ معهم، يدور معهم حيثما داروا، ومن هنا، فإنَّنا نتعامل مع اُولئك الذين لم يحاربوهم وكانوا من المسالمين معهم، وتظاهروا بحسن معاملتهم، أو علىٰ الأقل لم يظلموهم، فنحن سلمٌ لهم أيضاً، وأمّا من حارب الأئمَّة عليهم السّلام، فنحن مكلَّفون بمحاربته.

وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ

وواضحٌ أنَّ المحاربة لا تقتصر علىٰ إشهار السلاح والمقاتلة، فإنَّ ذلك له أحكامه الخاصَّة به، بل إنَّنا مكلَّفون بكلّ أنحاء المحاربة الممكنة، فهي بمعناها الواسع، تساوق المقابلة، البحث والمناظرة والمجادلة مع المنكرين لإمامة أئمَّة أهل البيت أو المستشكلين علىٰ مدرستهم عليهم السّلام، والذين يكتبون

المقالات والكتب، ويخطبون في المحافل، ويلقون الدروس ويقيمون المجالس في هذا المجال.

والحاصل، يجب إغتنام كلَّ الفرص المتاحة وبأيٍّ وسيلة كانت للوقوف أمام أعداء أهل البيت وإبطال الباطل.

نحن لم نبدأ المحاربة والهجمة علىٰ الآخرين أبداً، بل إنَّ الأعمّ الأغلب من كلِّ ما كتبه علماؤنا العظام، كان في مقام الدِّفاع، والمخالفون هم الذين تهجّموا -ومازالوا- بأقوالهم وكتاباتهم، فوقف أكابرنا العلماء في وجوههم للذَّود عن مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، وقلَّما إتَّفق أن بدأ أحد العلماء منّا الهجوم علىٰ الأعداء بكتاباته أو أقواله، ولكنَّ بعض الموارد تستدعي المبادرة ببيان الحقائق، بشرط أن تكون مستندة ومتينة.

إذن، لابدَّ أن يكون المؤمن علىٰ إستعداد تام للوقوف بوجه المخالفين بحسب الزمان، المكان، الوظائف والتشخيص الصحيح.

وأمّا أُولئك الذين كانوا مسالمين تجاه الأئمَّة عليهم السّلام، فلسنا مكلَّفين بمحاربتهم، لأنّنا قد أُمرنا بحسن المعاشرة مع الذين أحسنوا معاشرة أهل البيت عليهم السّلام.

مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ

أي، إنّي أعتبر ما اعتبرتموه حقّاً، حقّاً، وما اعتبرتموه باطلاً، باطلاً.

فإذا ما أبطل الأئمَّة عليهم السّلام شيئاً، فإنَّ معنىٰ الطاعة لهم هو القول

ببطلان كلِّ ما قالوا ببطلانه. فمثلاً: قالوا ببطلان القياس وعلىٰ حدِّ قول أحد الأساتذة الكبار، إنَّ عندنا ما يقارب ٥٠٠ رواية في بطلان القياس، فهل يمكننا حينئذٍ العمل به في الفقه؟

إذا أردنا أن نكون من التابعين لمدرسة أهل البيت عليهم السّلام، علينا أن نعتبر كلَّ ما قالوه حقّاً ونقبله، فإن عثرنا علىٰ دليل حقّانيّته فهو وإلاّ وجبت علينا متابعتهم أيضاً، وما أبطلوه نقول ببطلانه سواء علمنا بالدليل علىٰ ذلك أوْ لا.

ألم يقل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حقِّ أمير المؤمنين عليٍّ المرتضىٰ عليه السّلام:

«عَليٌّ مع الحقّ والحقَ مَعَ عليٍّ يدورُ مَعَهُ حَيثُ دار»[١]

ومن هنا، فإنّنا نقول في زيارة حضرة وليِّ العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء:

«فالحقُّ ما رضيتُموه والباطلُ ما أسخَطتُموه»[٢]

ففي الحقيقة إنَّ الأئمَّة عليهمالسّلام هم "الميزان" وبهم يعرف الحقُّ من الباطل.

هذه جهة من جهات "محقّقٌ لما حقَّقتُم".

والجهة الثانية هي السعيْ في فهم ونشر وتبليغ ما إعتبرهُ الأئمَّة حقّاً، والأخبار الواردة في ذلك كثيرة.

---

(١) راجع: الجزء الثاني، الصفحة: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٢) الإحتجاج: ٣١٧/٢؛ بحار الأنوار: ١٧٢/٥٣.

مُطِيعٌ لَكُمْ

إنَّ هذه الجملة مركّبة من كلمتين: "مطيع" بنحوِ الإطلاق، و"لَكُمْ" أي لا لغيركم.

فلمّا كان الأئمَّة عليهم السّلام معصومين، وجبت إطاعتهم بلا قيد وشرط، بل المطلوب مطلق الإطاعة، والبرهان قائم عليه، واللّه تعالىٰ هو الَّذي قرَّر ذلك، حيث قال في كتابه المجيد:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾[1]

فالمعنىٰ: إنّي مطيع لكم في كلِّ الشؤون، وفي كلِّ ما تريدون، وفي كلّ ما تنهون، لأنَّ العصمة المتحقّقة فيهم تقتضي ذلك، إلاّ أن ينكر أحدٌ عصمتهم. ومن الواضح أنَّ الإعتقاد بالعصمة، ليس من الغلوّ، لذا، فإنَّ الإلتزام والتمسُّك بأقوال أهل البيت عليهم السّلام، واجبٌ، وكلُّ من قبل عصمتهم وَجب عليه الإطاعة المطلقة، وإنَّ التمرُّد علىٰ أوامر المعصوم، خلفٌ أو تناقض.

فالإطاعة المطلقة تعني المتابعة المطلقة في كلِّ الأبعاد، وبلا قيدٍ وشرط، وهذا هو "التشيُّع" في الأساس، لذا فقد جاء في كتب اللغة:

«شيعةُ عليٍّ: أتباعه»[2]

فمن لم يتَّبع أهل البيت عليهم السّلام في معتقداته وعمله وأخلاقه، ليس شيعيّاً بالمعنىٰ الحقيقي للتشيُّع.

وسيأتي لاحقاً مزيدٌ من التوضيح لهذا الأمر، إنْ شاء اللّه.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٥٩.

(٢) راجع القاموس المحيط: ٤٧/٣؛ تاج العروس: ٢٥٧/١١.

عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ

العارفون بحقوق أهل البيت

والتعبير هنا بـ"عارف" لا بـ"مؤمن" لنكتة، فإنَّ الإيمانَ فرعُ المعرفة، والطاعةُ فرعُ الإيمان، وكلّما إزدادت المعرفة، إزداد الإيمان، ولذا فإنَّهم عليهم السّلام أرادوا منّا المعرفة أوَّلاً.

ولكلٍّ واحدٍ منّا مقدارٌ من المعرفة بالأئمَّة عليهم السّلام، بقدر وسعه وإستعداده، وإنَّنا نطيعهم بما يتناسب مع ذلك المقدار من المعرفة، وإنْ كنّا أحياناً نخالفهم في العمل، لأنَّ الشيطان يتغلَّب فنرتكب الذنب، ولكنَّ كلَّ مؤمن، إنْ كان مؤمناً حقّاً، يتوب مباشرةً من ذنبه الَّذي إرتكبه لغلبة الشيطان، ويستغفر منه، لأنَّه مرتبطٌ بأهل البيت عليهم السّلام وليس طليقاً.

فنحن عارفون بالأئمَّة عليهم السّلام، وبحقّانيَّتهم، ومقامهم الشامخ، كلٌّ بقدر وسعه، وبكلّ ما يهديه تدبُّره وتأمُّلُهُ وتفكُّرهُ. نعم، علىٰ كلِّ مؤمن أن يسعىٰ وراء رفع مستوىٰ معرفته، لا أن يقنع ويكتفي بما عنده، مع قدرته علىٰ الزيادة، لأنَّ نتيجة هذه المعرفة تعود لنفس الإنسان، فكلَّما إزدادت معرفته بهم، إزداد قرباً منهم، وكلّما إزداد قربه منهم كبر حظُّه ونصيبه من نيل الرضوان الإلهي، والقرآن الكريم يقول:

﴿وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَر﴾ (١)

ولذا فإنَّ الإمام الباقر عليه السّلام يقول:

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ٧٢.

«ذَروَة الأمرِ وسِنامُهُ ومفتاحُهُ وبابُ الأشياءِ ورِضىٰ الرحمان تبارك وتعالىٰ الطاعة للإمام بعد معرفته»[(١)]

إنَّ إطاعة الإمام عن معرفةٍ، هي التي تأخذ بيد الإنسان إلىٰ المراتب العليا، وتربطُه بالأنبياء وتوصله إلىٰ رضا اللّه تعالىٰ.

فالمعرفة ثم الطاعة، والعاقبة مجالسة الأنبياء والأولياء وعباد الله الأبرار الصالحين، والوصول إلىٰ رضوان اللّه تعالىٰ.

وبرهانُ هذا المطلب كلمةٌ واحدة. وهي: إنَّ الإمام لا يُريد إلاّ رضا اللّه ولا يدعو إلاّ إلىٰ ذلك، وهو في الأساس منصوبٌ من أجل هذا الغرض وهو وصل الناس باللّه تعالىٰ، وهو ما أشرنا إليه مراراً فيما سبق.

مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ

الإقرار بالفضائل

وفي هذه العبارة كلمتان:

١- "مُقِرّ"

ونحن نعلم بأنَّ "الإقرار" من "القرار"، بمعنىٰ الثبوت، ولذا، فإنَّ الإنسان لا يقرُّ بشيء مالم يكن ثابتاً عنده، و"الإنكار" ضدّ "الإقرار".

٢- "بفضلكم"

و"الفضل" يعني المزيَّة وإمتلاك ما لا يملكه الآخرون.

---

(١) الكافي: ١٨٥/١، الحديث ١؛ وسائل الشيعة ١١٩/١.

فنحن نقرُّ ونعلن بأنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، لهم مزيَّة علىٰ من سواهم علىٰ الإطلاق ومتقدّمون عليهم، نعتقد بثبوت هذا المعنىٰ ونحن راسخون فيه وثابتون عليه.

فإنْ عرفنا جهات مزيَّتهم وكلّما كان ما نعرفه أكثر فهو خير، وإنْ لم نقدر علىٰ فهم الإمتيازات والفضائل، فلابدَّ أن نقرّ بها، وهذا الإقرار لابدَّ أنْ يكون بكلّ الأنحاء، بالقلب، وباللّسان أيضاً.

ولمّا كان هذا الأمر حَسَناً، فلابدَّ ـ إذن ـ من السعي والجدِّ في نشره وإذاعته وتبليغه وإيصاله إلىٰ الآخرين.

مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ

قبول علوم أهل البيت

هناك عدَّة إحتمالات في كلمة "مُحتَمل"، وقد أُضيفَ العِلم في هذه الجملة إلىٰ الأئمَّة عليهم السّلام، ومنه يظهر أنّ عند الأئمة عليهم السّلام علوماً خاصَّة بهم.

فقد يكون المراد من "محتمل"، هو إنّي جادٌّ ومجتهد في طلب وحمل علمكم، وإنّي أسعىٰ لأزداد أهليَّةً في ذلك. ولا يخفىٰ أنَّ في رواياتنا ما يدلُّ علىٰ إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام يعلّمون أصحابَهم العلوم، كلٌّ بقدر إستعداده. ومن هنا كانت مراتب أصحاب الأئمَّة عليهم السّلام الملازمين لهم، متفاوتة، كما هو الحال في كلِّ عالِمٍ وتلامذته.

فالأئمَّة الكرام عليهم السّلام عندما يُلقون علومهم إلى أحدٍ، يلاحظون مستوىٰ السامع وإستعداده لتلقّي العلوم، فيرفدونه بقدر وسعه، وكلٌّ يأخذ منهم بمقدار فهمه وقابليّته، فإنَّ حال الأئمَّة عليهم السّلام حال النور، كلّ يستضيء به علىٰ قدر وسعه.

وعليه، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام إذا ما أعطوا من علومهم لأحدٍ بمقدار معين، وأعطوا الآخر أكثر من ذلك أو أقل، أو لم يعطوا شيئاً، فإنَّما ذلك من أجل إختلاف الإستعدادات والقابليّات عند الأشخاص.

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١)

أجل، لابدَّ من البحث عن هذا الأمر بالتفصيل في باب الولاية التكوينيَّة.

إذن، فـ"محتملٌ"، يعني بذل الوسع لحمل علومهم ومعارفهم، وهو شرفٌ عظيم ومقام رفيع.

ويمكن أن يكون المراد من "محتمل" هو "التعهُّد"، يعني إنّي مؤمنٌ ومعتقد بسعة علومكم وحقّانيَّتها، حتّىٰ لو لم أطّلع علىٰ مقدار تلك العلوم وكيفيَّتها، لذا فالإنسان المؤمن معتقدٌ بكلِّ ما أخذه عن الأئمَّة عليهم السّلام، وبكلِّ ما لم يأخذه ولم يعرفه أيضاً.

وهذا أيضاً من جملة موارد التسليم تجاه الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، وهو من علامات الإيمان الكامل.

فقد رُوي عن الإمام الباقر عليه السّلام إنَّه قال:

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

«منْ سَرَّهُ أنْ يَستَكمِلَ الإيمانَ كلَّه فَليَقُل: القولُ منّي في جميع الأشياء قولُ آل محمّد عليهم السّلام فيما أسرّوا وما أعلنوا وفي ما بلغني عنهم وفي ما لم يَبلغني»[1]

ومن ثمَّ، نجد الكليني في الكافي، والصفّار في بصائر الدرجات، والمجلسي في البحار، قد فتحوا باباً بعنوان "كيفيّة علوم الأئمّة عليهم السّلام" وذكروا فيه روايات كثيرة في هذا المجال.

فعلىٰ المؤمن أن يسعىٰ دائماً لكسب المعارف و العلوم. فإن حصل علىٰ البعض منها ولم يحصل علىٰ البعض الآخر، لم يجز له إنكار ما لم يتوصَّل إليه، وهذه مسألة مهمّة جدّاً لابدَّ من الإلتفات إليها دائماً، وهي أن لا ننكر ما لا نعلمه ونعرفه، أو ما لا تدركه أفهامنا من علومهم عليهم السّلام.

وهذا أحد معاني تلك الرواية المعروفة، عن الإمام السجّاد عليه السّلام إذ قال: «واللّه لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بينهما. فما ظنّكم بساير الخلق؟

إنَّ علم العالم صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل، أو ملك مقرّب، أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان.

فقال: وإنَّما صار سلمان من العلماء، لأنَّه امرؤ منّا أهل البيت عليهم السّلام فلذلك نسبته إلىٰ العلماء.»[2]

ومن هنا نجد البحث والاختلاف بين بعض أصحاب الأئمّة عليهم السّلام،

---

(١) الكافي: ٣٩١/١، الحديث ٨.

(٢) الكافي: ٤٠١/١، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٢، الحديث ٥٣.

في بعض المطالب، إذ قد يكون بعضهم سمع شيئاً من الإمام عليه السّلام ولم يسمعه الآخرون، لإختلاف إستعداداتهم وقابلياتهم لدرك وفهم تلك المطالب، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهم قد تعلّم ما يتناسب مع مقتضىٰ قابليَّته وإستعداده.

ولهذا السّبب وصّونا بأنَّهم إذا أعطوا أحداً شيئاً من المعارف، فعليه أن لا يذكر ذلك لمن ليست له أهليَّة إستماعها وفهمها، وقد يكون هذا هو المراد من "محتملٌ لعلمكم".

وعليه، فإن إستطاع المؤمن أن يرتقي بفهمه إلىٰ تلك الأهليَّة واللّياقة التي تمكّنه من تلقّي المعارف، فهو خير، وإنْ لم يستطع أن يوصل نفسه إلىٰ تلك المرتبة التي تؤهّله لدرك ما يقوله الأئمَّة عليهم السّلام، فعليه حينئذٍ أن لا يُنكر ما لم يسمعه عنهم وسَمِعَه الآخرون وفهموه، بل إنَّ عليه أن يعتقد بكلٍّ ذلك ولو بنحو الإجمال.

عن أبي بصير قال: قال أبوجعفر عليه السَّلام:

«حديثنا صعبٌ مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد[١] امتحن اللّه قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت فردّوه إلينا.»[٢]

وعن أبي حمزة الثمالي أنَّه سمع الإمام السجّاد عليه السّلام يقول:

«إنَّ حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرَّب، ومن الملائكة غير مقرَّب»[٣]

(١) وفي بحار الأنوار: "أو عبد مؤمن".
(٢) بصائر الدرجات: ٤١، الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٩١/٢، الحديث ٢٨.
(٣) بصائر الدرجات: ٤١، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ١٩٥/٢، الحديث ٢٦.

هذا، و إنَّ إلقاء العلوم إلىٰ الطلاّب بحسب قابليّاتهم وإستعداداتهم وجعل الملاك في ذلك الأهليَّة واللّياقة، لا يختصّ بالأئمّة عليهم السّلام، فإنَّ كلَّ العلماء الكبار يراعون هذا الملاك في إلقاء العلوم إلىٰ تلامذتهم، وكم من عالم مات وحبس علمه بصدره، لأنَّه لم يجد المؤهلين لتلقّيه. فإنَّ إلقاء العلم إلىٰ غير أهله، ظلمٌ، كما إنَّ منع العلم عن أهله ظلمٌ.

مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ

ستار العهد والميثاق

إنَّ مصطلح "محتجبٌ" ماخوذ من "الحجاب" بمعنىٰ الإستتار، وكلمة "ذمَّة" يعني العهد، وخلاصة المعنىٰ هو إنَّني لاجيء إليكم. وتوضيحه:

إنَّ "الذمَّة"، أمرٌ معنويٌّ، ويعبَّر عنه بـ"العهد"، "الأمان"، "الضمان"[1]، وما لم يكن للشخص "إعتبار" لم يكن قادراً علىٰ التعهُّد بشيء، ولا يكون سبباً للأمان، ولا أن يكون ضامناً، فالإستفادة من الإعتبار والمقام، سواءاً في الجهات الماديَّة أو المعنويَّة، أمرٌ رائج ومتعارف.

والأئمَّة عليهم السّلام لهم عند اللّه وجاهةٌ و"إعتبار"، ولذا، فهم أهلٌ للضمان والتأمين والإغاثة.

والزائر بهذه العبارة، يعتبر نفسه لاجئاً عند حضرات الأئمَّة عليهم السّلام ويُعلن معتقده هذا ويطلب الحماية والضمان منهم.ولكن في مقابل من يطلب ذلك منهم؟ ولأيٍّ شيء يطلبه؟

(١) المصباح المنير: ٢١٥.

إنَّه يطلب الدخول في ذمَّة أهل البيت لخوفه من اللّه، بلحاظ كثرة ذنوبه من جهة، ولعظمة الباري عزَّوجلّ وشدَّة عذابه من جهة أُخرىٰ، فليس له حيلة إلاّ الإلتجاء إلىٰ أعزّ خلق اللّه وأكثرهم قرباً منه.

وهذا لا ينافي توسل المؤمن بالأئمَّة عليهم السّلام في حياتهم وبعد مماتهم، في أُموره الشخصيَّة، وفي مابينه وسائر الناس، ولحلّ مشكلاته وقضاء حوائجه الماديّة والمعنويّة، ولكنّ عمدة الإلتجاء إليهم إنَّما هو من أجل يوم القيامة وحساب الآخرة.

وهل قول الزائر: "محتجبٌ بذمَّتكُمْ"، طلب الإلتجاء إليهم، أم إنَّه إخبارٌ، يعني إنَّه لاجيءٌ بهم فعلاً؟

الجواب: كلا المعنيين صحيح، فإن كان إخباراً، فهو يخبر عن إنَّه ملتزم بذلك العهد والميثاق الَّذي عقده مع اللّه تعالىٰ ومع الأئمَّة في عالم الذر، في جهة إمامتهم وولايتهم عليهم السّلام، فهو يريد القول بأنَّه وإنْ كان مذنباً وخاطئاً ولكنّه لم ينكث العهد والميثاق الَّذي عقده في ذلك اليوم، وحيث إنَّ ذلك الميثاق كان بين الطرفين، فهو يطلب من الأئمَّة عليهم السّلام أن يضمنوه ويخلِّصوه من عذاب الآخرة بمقتضىٰ مقامهم عند اللّه.

هذا، وقد تحدثنا في الكتاب عن الميثاق في عالم الذر.[١]

وأمّا إن كان إنشاءً، فمن الواضح إنَّه ليس للمؤمن ملجأ في الآخرة غير أهل البيت عليهم السّلام، ولذا فنحن نطلب من حضراتهم عليهم السّلام أن يقبلونا ويعينوننا في خلاصنا من العذاب.

---

(١) راجع الصفحة: ١٤٨ من هذا الكتاب.

وعلىٰ أيٍّ حال، فإنَّ هذه الجملة تدلُّ بالإلتزام علىٰ وجاهة لحضرات المعصومين عليهم السّلام عند اللّه تعالىٰ، ومقام لم ينله أحدٌ من الأوَّلين والآخرين غيرهم.

مُعْتَرِفٌ بِكُمْ

«الاعتراف»: فتعالٌ من «المعرفة».

قال الراغب الإصفهاني:

المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار»

ثم قال:

«والإعتراف: الإقرار، وأصله إظهار معرفة الذنب، وذلك ضدّ الجحود، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾[1]

ويستفاد من هذه العبارة امور:

الأول: إن «الاعتراف» من المعرفة والعرفان، وهذا أخصّ من العلم.

والثاني: إنّ هذه المادّة إنما تستعمل حيث يدرك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره.

والثالث: إنّ «الاعتراف» ضدّ الإنكار أو الجحود الذي هو أخصّ من الإنكار.

ثمّ إنّ الزائر يقول «معترفٌ بكم»، ولاريب أنّ المراد من ذلك الاعتراف بحقّهم، كما جاء في غير واحدةٍ من الزيّارات، وقد ظهر ممّا تقدّم أنّ الاعتراف من

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٣١.

المعرفة والعرفان، ومن هنا فقد جاء في بعض الزيارات «عارفاً بحقكم».

ثم إنّ المراد من «الحق» هنا: إمامتهم ووجوب إطاعتهم المطلقة ومتابعتهم في كلّ الأُمور، وأنّ الحق معهم وفيهم وإليهم، وأنّ من خالفهم هو الباطل.

فعلينا، التفكّر والتأمّل في حق الأئمة الطّاهرين والتدبّر لآثار ذلك، لأنّ ذلك سيزيد في معرفتنابهم، وكلّما ازدادت المعرفة إزدادت الطّاعة، وقد ثبت أنّ طاعتهم طاعة الله، وكلّما ازدادت الطّاعة لله تقرّبنا إلى الله ورضوانه، وفي ذلك سعادة الدنيا والآخرة، وذلك هو الفوز العظيم.

ولا يخفى أنّ الإهتمام بمثل هذه المطالب التي تتضمّن معرفة الأئمَّة عليهم السّلام من جهة، ومعرفة سلسلة من الأُمور الإعتقاديَّة من جهة أُخرىٰ، واجبٌ،لأنَّ معارف الإنسان إذا كانت ناقصةً، فإنَّ ذلك سيؤدّي إلىٰ نقصان عمله،وإذا كان عمله ناقصاً فإنَّ ذلك يستتبع مفاسد كثيرة، وأحد تلك المفاسد تأثّر هذا الإنسان بالشبهات بسرعة، وعندما ينتبه من غفلته يكون الأوان قد فات علىٰ إمكان التصحيح، كما نلاحظ ذلك في زماننا هذا وكيف إنحرف بعض الناس عقائدياً وبقوا علىٰ إنحرافهم فماتوا علىٰ تلك الحال والعاقبة السيّئة.

و"الإعتراف" إفتعالٌ، من "المعرفة"، يقول الراغب الإصفهاني:

«المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكّر وتدبُّر لأثره، وهو أخصّ من العلم. ويضادُّه الإنكار».[1]

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٣١.

فعلينا إذن، أن ندرك منازل حضرات المعصومين عليهم السّلام، بالتدبّر والتفكُّر بقدر وسعنا، فإنَّ في ذلك آثاراً كثيرة وعظيمة، فكلما إزدادت المعرفة بهم، إزدادت الطاعة للّه تعالىٰ والقرب من ساحته جلَّ وعلا كما ذكرنا مراراً.

وعليه، فمعرفتنا ستظهر -مضافاً إلىٰ القلب- علىٰ اللسان والأعمال.

وبذلك تكون سبباً ووسيلةً لدعوة الآخرين إلىٰ الحقِّ.

مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ

دولة الإمام المهدي عليه السّلام والرّجعة

قد تقدَّم أنَّ هذا المقطع من الزيارة الجامعة عرضٌ للإيمان ولسلسلة من المعتقدات الحقَّة التي يؤمن بها الزائر بمحضر الإمام عليه السّلام، لذا، فقد بدأ الكلام بكلمة "الإيمان"، وستتكرر هذه الكلمة فيما بعد تأكيداً لهذا الإيمان.

وأوَّل ما جاء الإقرار بـ«الإيمان» كان في قوله: «مؤمن بكُم وبما آمَنتُم به».

وهو مرتبطٌ بالولاية وبالبراءة.

والمورد الثاني في قوله: «مؤمن بإيابكم...»، وهو مرتبطٌ بالرَّجعة، وقد يُستظهر من هذا الترتيب وجود الإرتباط بين البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السّلام وبين الرجعة.

وذلك، إنَّنا إذا تعمَّقنا قليلاً في الأذىٰ الَّذي لاقاه أهل البيت من أعدائهم، فإنَّ براءتنا من أعدائهم ستزداد وتتأكَّد أكثر، وحينئذٍ ستتمنّىٰ مجازاتهم ومعاقبتهم في دار الدنيا أيضاً.

فنحن نوالي أهل البيت عليهم السّلام، ونتبرّأ من أعدائهم، ولكن لماذا نتبرّأ؟

نتبرأ منهم لأنَّهم عادوا أهل البيت وظلموهم، ومعاداة أهل البيت معاداة للّه ورسوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ومعاداة للإسلام وللقرآن، لذا، فنحن نتبرأ منهم ومن أفعالهم، وكلّما إزداد علمنا بظلمهم ومعاداتهم، كلّما إزدادت تمنياتنا لمعاقبتهم ورغبتنا في مجازاتهم وإنتقام اللّه منهم، ولكي يظهر بطلان طريقهم ومنهجهم في هذا العالم للملأ كلِّهم، ولكي تظهر أيضاً في هذا العالم حقّانيَّة أهل البيت عليهم السّلام ومظلوميَّتهم.

ومن هنا، فإنَّ من يؤمن بأهل البيت ويتبرّأ من أعدائهم، ويعرف عظم المصائب الواردة عليهم من قبل أعدائهم، فإنَّه سيتمنىٰ رجعة أعدائهم إلىٰ الدنيا لمعاقبتهم، كما يتمنىٰ رجعة أهل البيت عليهم السّلام وتشكيل دولتهم. فالزائر إذن، ينتظر هذه الدولة والسلطنة وعظمة أهل البيت عليهم السّلام، وينتظر ظهور الحقّ وإنتقام اللّه من ظلمتهم وأعدائهم.

ومن ثمَّ، كان أوّل إعتقاد يصرِّح به الزائر بعد الإيمان بالأئمَّة عليهم السّلام وولايتهم والبراءة من أعدائهم، هو الإعتقاد بالرجعة وإنتظار أمرهم، وهذا يُظهر وجود الإرتباط بين الرجعة وبين الولاية والبراءة.

بحثُ حول الرَّجعة

ولا يخفىٰ أنَّ دولة الأئمَّة عليهم السّلام -التي ننتظرها- هي قضيَّة مسلَّمة ومن الضروريّات حتّىٰ في روايات أهل السُنَّة، وإنَّ المستفاد من الروايات بنحو القطع واليقين هو إنَّه سيأتي زمان يظهر فيه المهديّ من آل البيت عليهم السّلام ويملاء الأرض قسطاً وعدلاً.(١)

كما إنَّ هناك آيات في كتاب اللّه المجيد، ونصوصاً كثيرة في خصوص قضيَّة الرجعة. والحق، إنَّ الرجعة عقيدة إسلاميَّة كما إنَّ قضيَّة المهدي عليه السّلام كذلك، وليست مختصَّة بالإماميَّة، وسنوضّح فيما بعد السّبب بصيرورة العقيدة بالرجعة من مختصّات الشيعة الإماميَّة.

هذا، وإنَّ الكلام في الرجعة ودولة أهل البيت عليهم السّلام الحقَّة في زمان حضرة وليِّ العصر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف، يتطلّب بحثاً مستقلّاً ومفصَّلاً، ولكنّنا الآن في مقام شرح الزيارة الجامعة، ولكي لا يبقىٰ بحثنا ناقصاً، فإنَّنا سنشير بقدر ما تقتضيه الضرورة إلىٰ جوانب من قضيَّة الرجعة، لكي تتّضح لنا هذه العقيدة، وفي نفس الوقت نكون قد أدَّينا حقّ شرح هذه الفقرة من الزيارة. فنقول:

---

(١) الكافي: ٣٣٨/١، الحديث ٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٧١/١، الحديث ٢٩٣؛ كمال الدين: ٢٧٩، الحديث ٢٧؛ كفاية الأثر: ٦٧؛ كتاب الغيبة: ٨٨، الحديث ١٧؛ بحار الأنوار: ١٤٣/٥٢، الحديث ٦٠؛ مسند أحمد بن حنبل: ٩٩/١ و١٧/٣؛ سنن أبي داوود: ٣٠٩/٢، الحديث ٤٢٨٣؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٤٤٢/٤؛ مجمع الزوائد: ٣١٣/٧؛ المصنف للصنعاني: ٣٧١/١١، الحديث ٢٠٧٧٥؛ مسند أبي يعلى: ٢٧٤/٢، الحديث ١٤؛ صحيح إبن حبّان: ٢٣٦/١٥؛ كنز العمّال: ٢٦١/١٤، الحديث ٣٨٦٥٣.

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تعدّ بالعشرات إنْ لم تكن بالمئات مفسّرة بقضيَّة دولة الإمام المهدي عليه السّلام ورجعة الأئمَّة الأطهار والمؤمنين، وسنذكر طرفاً منها،

كما أنَّ الأخبار في ذلك فوق حدِّ التواتر،

و إنَّه لا شكَّ في إنَّ أصل قيام دولة إمام العصر والزمان عليه السّلام من ضروريات الدين، إنَّه سيظهر ويشكِّل دولةً عالميَّة يحكمها المؤمنون في ظلِّه، ويحكم دينُ اللّه تعالىٰ كلَّ العالم.

ولكن، كيف ستكون هذه الدولة؟

وبأيٍّ وسيلةٍ ستتحقَّق؟

وما هي منجزاتها؟

ومن الَّذي سيؤيّدها؟

ومن الَّذي سيخالفها؟

وكم مدَّة بقائها؟

وما هي عاقبة أمرها؟

وماذا سيكون بعدها؟

وأمثال هذه الأسئلة التي تخفىٰ علينا أجوبتها التفصيليَّة، والتي لا يكون الإعتقاد بها من الضروريّات، ولا العلم بها من جملة العقائد الضروريَّة.

وبعبارة أُخرىٰ، فإنَّ أصل المطلب من الضروريّات، ولكن جزئيّاته ليست من الضروريّات الدينيَّة.

كما إنَّ الرجعة كذلك، فقد وقع فيها الخلاف من قديم الزمان بين العلماء وطرحت حولها الأسئلة الكثيرة، من قبيل:

من الَّذي سيرجع؟

وفي أيِّ زمان ستكون الرجعة؟

هل سيرتفع التكليف في زمن الرجعة أم لا؟

فنحن نعتقد بهذه الأمور بنحو الإجمال، لوجود الآيات والروايات الكثيرة الدالَّة علىٰ ذلك، مضافاً إلىٰ إجماعات الأعاظم الموجودة في هذا المطلب.

وبطبيعة الحال، فإنَّ عقولنا قاصرة عن البحث في مثل هذه المواضيع، كما هي كذلك في البحث في مسألة المعاد والقيامة، ونشر الأجساد بعد سنين طويلة وإحيائها ثانية، وكالحشر والحساب والكتاب، فكلُّ هذه الأمور تقصر العقول عن دركها والبتِّ فيها، ولكنَّ المخبر الصادق قد أخبرنا بها، ونحن نؤمن ونعتقد بها لذلك، ولو بنحو الإجمال، وهو كافٍ في المقام.

قاعدة كليَّة

وعلىٰ هذا، ينبغي علينا أن لا نعتمد علىٰ عقولنا القاصرة لمعرفة تفاصيل هذه الأُمور، ومن أراد البحث في الأمور الدينيَّة -وخاصَّة مثل هذه المطالب،التي تتَّصف بالغيبيَّة- يجب أن يتوفّر فيه وصفان، وهما: العلم و التقوىٰ.

فمن كان من أهل العلم والتحقيق عن العقيدة الصحيحة، وكان متّقياً يخشىٰ اللّه و الدار الآخرة، ونظر في الأدلَّة ثمَّ لم تثبت عنده قضيَّة الرجعة كان معذوراً، لأنَّه من أهل العلم والتقوىٰ حقّاً، وقد بذل كلَّ سعيه وجهده للّه وفي اللّه ونظر في

الأدلَّة بكلِّ صدق وأمانة ولم يصل إلىٰ نتيجة، فله أنْ يقول لم يثبت عندي، وأمّا إذا أنكر، لم يكن معذوراً، إذ ليس من حقِّه إنكار ما لم يتوصَّل هو إلىٰ معرفته والإعتقاد به.

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّ من ينكر الرجعة ليس بخارج عن أحد ثلاث أحوال:

إمّا إنَّه ليس من أهل العلم، وإنْ كان رجلاً صالحاً.

وإمّا أن لا يكون من أهل التقوىٰ، وقد أنكر ذلك بسبب هوىٰ النفس.

أو أن يكون فاقداً للعلم والتقوىٰ معاً.

ومن نظر في أدلَّة الرجعة وهو من أهل العلم والتقوىٰ، فلا يخرج عن أحد حالين:

إمّا أن يعتقد، أوْ لا يعتقد.

وليس له الحقَّ في إنكار ما لم يعتقد به.

ومع هذه الضابطة يتّضح حكمُ اُولئك الذين يشكّكون في الرجعة أو ينكرونها.

وقد يكون الشخص من أهل العلم، ومن أهل التقوىٰ، ولكنَّه ولشبهة مّا، لم يعتقد بالرجعة، فمثل هذا الشخص عليه -بمقتضىٰ تقواه- أن يسعىٰ لرفع تلك الشبهة، فإنْ حاول ولم يصل إلىٰ حلّها، لم يكن له حقُّ الإنكار أيضاً.

وبالإلتفات إلىٰ هذه المقدَّمة نقول:

ليست المسائل الإعتقاديَّة خاضعة لآراء الأشخاص، فلا يصحُّ القول: إنَّ فلاناً قال كذا فنحن نعتقد بما قال، بل لابدَّ من النظر في أدلَّة المسائل الإعتقاديَّة لغرض الوصول إلىٰ نتيجة صحيحة.

ومن هذا المنطلق، يقول أمير المؤمنين عليٌّ عليه السّلام:

«لا يُعرف الحقُّ بالرجال، إعرف الحقَّ تعرفُ أهلَهُ»[١]

ويقول عليه السّلام في كلام آخر له:

«إنَّ الحقَّ والباطلَ لا يُعرفان بالناس، ولكن إعرف الحقَّ بإتّباع من إتَّبعه والباطل بإجتناب من إجتنبه»[٢]

الرجعة لغةً و إصطلاحاً

قال الجوهري والفيروز آبادي في المعنىٰ اللغوي للرجعة:

«يؤمن بالرجعة: أي بالرجوع إلىٰ الدنيا بعد الموت»[٣]

قال الطريحي في "مجمع البحرين":

«الرَّجعة بالفتح: هي المرَّة من الرجوع بعد الموت بعد ظهور المهديّ عليه السّلام».[٤]

فنحن نعتقد بأنَّ جمعاً من الأمَّة الإسلاميَّة يرجعون بعد الموت إلىٰ الدنيا، وذلك في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السّلام.

---

(١) الطرائف: ١٣٦؛ روضة الواعظين: ٣١؛ بحار الأنوار: ١٢٦/٤٠، الحديث ١٨؛ فيض القدير: ٢٨/١؛ تفسير الكشّاف: ٥/٤؛ تفسير السمعاني: ٧٢/١؛ تفسير القرطبي: ٣٤٠/١؛ أنساب الأشراف: ٢٢٩؛ تأريخ اليعقوبي: ٢١٠/٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ١٣٤؛ بحار الأنوار: ٢٢٧/٣٢، الحديث ١٧٨.

(٣) الجوهري في "صحاح اللغة": ١٢١٦/٣؛ الفيروز آبادي في القاموس المحيط: ٢٨/٣؛ وراجع لسان العرب: ١١٩/٨؛ وتاج العروس: ١٥٢/١١.

(٤) مجمع البحرين: ١٥٥/٢.

وهم طائفتان:

١- الخُلَّص من المؤمنين ومَن محَّض الإيمان.

٢- الخُلَّص من المنافقين ومَن محّضَ النّفاق.(١)

وهذا سيكون في زمن صاحب الزمان عليه السّلام ودولته الحقَّة، لأنَّ المؤمنين الذين ظُلموا في هذه الدنيا، سيتولّون القدرة والقوَّة وسيتمكّنون من الإنتقام من ظالميهم من المنافقين.

كلمات العلماء في الرجعة

ولقد صرَّح عموم عُلماء الشيعة بهذا الإعتقاد، وسننقل هنا أنظار عدَّة منهم.

قال الشيخ الصدوق رحمه اللّه في كتابه "الإعتقادات" في باب "الإعتقاد بالرجعة":

إعتقادنا في الرجعة أنّها حقٌّ.(٢)

والشيخ الصدوق رحمه اللّه، محدِّثٌ، ولُقِّبَ برئيس المحدِّثين، ولكنَّ آراء الشيخ المفيد، السيد المرتضىٰ وهذه الطبقة من الأعاظم، لم تبتن علىٰ أساس الحديث فقط، ولذا، فإنَّ مسلك الشيخ المفيد والسيد المرتضىٰ رحمهما اللّه، يختلف عن سلك الشيخ الصدوق رحمه اللّه في كثير من المسائل.

ومع ذلك، فإنَّ كلا المسلكين يعتقدان بالرجعة، فلا إختلاف بين علماء الإماميَّة في هذا المورد.

(١) تفسير مجمع البيان: ٧/٤٥٥-٤٠٦.

(٢) عقائد الإماميَّة: ٦٥، باب ١٨.

قال السيد المرتضىٰ:

«قد اجتمعت الإماميَّة علىٰ أنَّ اللّه تعالىٰ عند ظهور القائم صاحب الزمان عليه السّلام، يعيد قوماً من أوليائه لنصرته والإبتهاج بدولته، وقوماً من أعدائه ليفعل بهم ما يستحقّون من العذاب. وإجماع هذه الطائفة قد بيّنا في غير موضع من كتبنا أنّه حجّة، لأنَّ المعصوم فيهم، فيجب القطع علىٰ ثبوت الرجعة، مضافاً إلىٰ جوازها في القدرة»[١]

وقد صرّح بذلك الشيخ الطبرسي رحمه اللّه في تفسير "مجمع البيان" في ذيل عدَّة آيات من القرآن المجيد، ونصَّ على إجماع الإماميّة على الرجعة، ومن ذلك قوله في تفسير الآية المباركة:

«﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٢]

أي يدفعون، عن إبن عبّاس، وقيل: يحبس أوّلهم علىٰ آخرهم.

واستدلّ بهذه الآية علىٰ صحّة الرجعة من ذهب إلىٰ ذلك من الإماميَّة، بأن قال: إنّ دخول "من" في الكلام، يوجب التبعيض، فدلّ ذلك علىٰ أنّ اليوم المشار إليه في الآية، يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الّذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[٣].

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمَّة الهدىٰ من آل محمّد عليهم السّلام في أنَّ اللّه تعالىٰ سيعيد عند قيام المهدي عليه السّلام قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته.

---

(١) رسائل المرتضىٰ: ٣/١٣٦.

(٢) سورة النمل (٢٧): الآية ٨٣.

(٣) سورة الكهف (١٨): الآية ٤٧.

ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من العذاب، في القتل علىٰ أيدي شيعته والذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته.

ولا يشكّ عاقل أنَّ هذا مقدور للّه تعالىٰ غير مستحيل في نفسه، وقد فعل اللّه ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدَّة مواضع مثل قصَّة عزير وغيره، علىٰ ما فسّرناه في موضعه.

وصحّ عن النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قوله: "سيكون في اُمّتي كلّ ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذَّة، حتّىٰ لو أنَّ أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه[1]. [2]

وقال المجلسي رحمه اللّه في هذا المجال:

«أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتّىٰ نظموها في أشعارهم، واحتجّوا بها علىٰ المخالفين في جميع أمصارهم، وشنّع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم؛»[3]

ولقد نسب كبار علماء المخالفين كالفخر الرازي، هذه العقيدة إلىٰ الشيعة ولكنَّ البعض منهم حرّفوها عن عمدٍ:

فقال الحافظ النَّوَوي في معنىٰ الرجعة:

«هو ما تقوله الرافضة وتعتقده بزعمها الباطل: أنَّ عليّاً كرّم اللّه وجهه في

---

(١) بحار الأنوار: ١٢٧/٥٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٤٠٥/٧-٤٠٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٢٢/٥٣.

السّحاب، فلا نخرج يعني مع من يخرج من ولده حتّىٰ ينادي من السماء أن أُخرجوا معه. وهذا نوع من أباطيلهم وعظيم جهالتهم اللائقة بأذهانهم السخيفة وعقولهم الواهية؛[١]

في معنىٰ الرَّجعة

والسبب الحقيقي لتفسيرهم الرجعة بهذا المعنىٰ توطئةً للتهجّم علىٰ الشيعة وتجاسرهم، هو -كما أشرنا سابقاً- وجود الإرتباط الوثيق بين الرجعة والولاية والبراءة، فهذا الإرتباط يمنع من قبولهم لهذه العقيدة الحقَّة، لذا، فإنَّهم ينكرونها ويشنّعون ويسخّفون من يعتقد بها، فإنَّهم إذا إعتقدوا بالرجعة لزمهم الإعتقاد بلوازمها ومنها الولاية والبراءة، وهذا ما لا يروق لهم.

إنَّ الإعتقاد بالرجعة بنحو كلّي، إعتقاد قرآنيٌّ وحديثيٌّ، وقد ادّعىٰ علماؤنا عليه الإجماع، وصنّفوا كتباً كثيرة لإثبات هذا الإعتقاد، منها:

١- إثبات الرجعة، للشيخ الفضل بن شاذان النيشابوري (٢٦٠).

٢- إثبات الرجعة، العلّامة حسن بن يوسف الحلّي (٧٢٦).

٣- إثبات الرجعة، للشيخ عبد الرزاق اللاهيجي القمّي.

٤- إثبات الرجعة، للشيخ حسن بن سليمان بن خالد الحلّي صاحب مختصر البصائر؛ (القرن الثامن).

٥- إثبات الرجعة، للمحقق الكركي (٩٤٠).

---

(١) شرح مسلم للنووي: ١٥١/١.

٦- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، للشيخ محمد بن حسن الحرّ العاملي (١١٠٤).

٧- إثبات الرجعة وظهور الحجَّة، للشيخ محمّد مؤمن الحسيني الاستر آبادي (١٠٨٨).

٨- إثبات الرجعة (باللغة الفارسيَّة)، للعلّامة المجلسي (١١١٠).

٩- إثبات الرجعة، للسيّد جمال الدين الخوانساري (١١٢٥).

١٠- حيات الأموات بعد الموت، للشيخ أحمد الدرازي البحراني (١١٣١).

١١- النجعة في إثبات الرجعة، للسيد علي نقي النقوي اللكنهوي.

١٢- كتاب الرجعة، للشيخ محمدرضا الطبسي.

والآن نتابع هذا البحث من عدَّة جهات:

الرجعة في القرآن

ولعلَّ أوضح آية في القرآن الكريم في قضيَّة الرجعة قوله تعالىٰ:

﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُون﴾[1]

وقد وردت أحاديث كثيرة علىٰ أنَّ المراد من هذه الآية هو الرجعة.

قال الشيخ الحرُّ العاملي في هذا السياق:

«قد وردت الأحاديث الكثيرة في تفسيرها بالرجعة، علىٰ أنّها نصٌّ واضح الدلالة ظاهرٌ بل صريحٌ في الرجعة، لأنَّه ليس في القيامة قطعاً. وليس بعد القيامة

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ٨٣.

رجعةٌ إجماعاً. فَتَعَيَّنَ كون هذه الرجعة قبلها وإنّما آية القيامة: ﴿وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (١).» (٢)

فهذه الآية لا ترتبط بالقيامة قطعاً، لأنَّ الحشر في يوم القيامة عامٌّ وشاملٌ لكلِّ الأمم وليس مختصّاً بفوج من كلِّ أُمّة.

إذن، فمن المعلوم أنَّ المراد من ذلك اليوم، يومٌ قبل يوم القيامة.

وعلىٰ الجملة، هناك آيتان في القرآن الكريم تتحدَّثان عن الحشر (إحياء الأموات)، ففي آية منهما إشارة إلىٰ الحشر يوم القيامة، وهي قوله تعالىٰ:

﴿وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٣)

والآية الأُخرىٰ تشير إلىٰ يومٍ قبل يوم القيامة، وهي قوله تعالىٰ:

﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ (٤)

وقد روىٰ الشيخ عليٌّ إبن إبراهيم القمّي في تفسيره في ذيل هذه الآية بسندٍ صحيح عن حماد، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«ما يقول الناس في هذه الآية:

قال الراوي:

يقولون إنّها في القيامة.

قال عليه السّلام:

ليست كما يقولون، إنَّ ذلك في الرجعة، أيحشر اللّه في القيامة من كلّ

(١) سورة الكهف (١٨): الآية ٤٧.
(٢) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان علىٰ الرجعة: ٩٢.
(٣) سورة الكهف (١٨): الآية ٤٧.
(٤) سورة النمل (٢٧): الآية ٨٣.

أُمَّة فوجاً ويدع الباقين؟ إنّما آية القيامة قوله: ﴿وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾؛»(١)

وعن المفضّل: عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال في قوله تعالىٰ:

﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾(٢)

«ليس أحدٌ من المؤمنين قُتِلَ إلاّ ويرجع حتّىٰ يموت، ولا يرجع إلاّ من محَّض الإيمان محضاً ومن محَّض الكفر محضاً»(٣)

فهذه الآية الكريمة تدلُّ علىٰ رجوع من محَّض الإيمان ومن محَّض الكفر إلىٰ هذا العالم، فينتقم المؤمنون من الكافرين.

ومنه يُعلم، بأنَّ الآية الأولىٰ مختصَّة بيوم القيامة، وهذه الآية مختصَّة بيوم آخر غير يوم القيامة، وهو ما يعبَّر عنه بيوم الرجعة.

ونقرأ في آية أُخرىٰ:

﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(٤)

وفي آية أُخرىٰ:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

---

(١) تفسير القمي: ٢٤/١؛ بحار الأنوار: ٥١/٥٣، الحديث ٢٧، بإختلاف بسيط.

(٢) سورة النمل (٢٧): الآية ٨٣.

(٣) تفسير القمي: ١٣١/٢؛ مختصر البصائر: ١٦٩، الحديث ١٩؛ بحار الأنوار: ٥٣/٥٣، ذيل الحديث ٣٠.

(٤) سورة القصص (٢٨): الآية ٥.

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾[١]

قال الشيخ الحرّ العاملي في ذيل هذه الآية:

«قد وردت أحاديث كثيرة بتفسيرها في الرجعة علىٰ أنّها نصّ في ذلك لا تحتمل سواه، إلاّ أن تصرف عن ظاهرها وتخرج عن حقيقتها، ولا ريب في وجوب الحمل علىٰ الحقيقة عند عدم القرينة، وليس هنا قرينة كما ترىٰ»[٢]

فهاتان الآيتان تدلّان أيضاً علىٰ الرجعة، والمستفاد من الروايات الكثيرة هو إنّ الآية الأُولىٰ أوضح دلالة من الثانية.

وفي "أُصول الكافي" عن عبد اللّه بن سنان، قال: سألت أبا عبد اللّه عن قوله تعالىٰ:

﴿ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم ﴾[٣]

قال عليه السّلام:

«هم الأئمّة يرجعون إلىٰ هذا العالم»[٤]

وفي رواية ذكرها العيّاشي في تفسيره، عن الإمام السجّاد عليه السّلام في ذيل هذه الآية المباركة، قال:

«هم واللّه شيعتنا أهل البيت، يفعل اللّه ذلك بهم علىٰ يدي رجل منّا، وهو

---

(١) سورة النور (٢٤): الآية ٥٥.
(٢) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان علىٰ الرجعة: ٩٢.
(٣) سورة النور (٢٤): الآية ٥٥.
(٤) الكافي: ١٩٤/١، الحديث ٣.

مهدي هذه الأُمَّة وهو الّذي قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: "لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّىٰ يلي رجل من عترتي، اسمه إسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً"»[١]

فاتّضح أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام قد إستدلّوا علىٰ الرجعة بقسمٍ من الآيات القرآنيَّة، كما إنَّ هناك آيات أُوِّلت أو فسِّرت بالرجعة.

الرجعة في الروايات

وأمّا الروايات في الرجعة، فكثيرة جدّاً، ولأصحابنا كتب عديدة في جمعها و منها ما كتب في زمن الأئمَّة مثل كتاب الفضل بن شاذان رحمه الله، وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السّلام، وكتابه موجود الآن بين أيدينا.

ويمكن تقسيم روايات الرجعة إلىٰ عدَّة أقسام:

١- الروايات التي وردت فيها كلمة "الرجعة" أو "الكرَّة" والتي تعني الرجعة، وقد جاء التصريح فيها بوجوب الإعتقاد بالرجعة.

٢- الروايات التي صرَّح الأئمَّة عليهم السّلام فيها برجوعهم إلىٰ هذا العالم، أو التي أخبروا فيها بعض أصحابهم برجوعه في جملة من يرجع إلىٰ الدنيا.

٣- الروايات الواردة في ذيل بعض الآيات القرآنيَّة، وقد صرَّح الشيخ الحرُّ العاملي بأنَّ هذه الروايات كثيرة.[٢]

٤- الروايات الدالَّة علىٰ معجزات الأئمَّة عليهم السّلام، وإحيائهم بعض الأموات.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٢٦٧/٧.

(٢) الايقاظ من الهجعة بالبرهان علىٰ الرجعة: ٩٢.

هذا، وقد روىٰ الشيخ الصدوق رحمه اللّه في كتابه "من لا يحضره الفقيه" عن الإمام الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«ليس منّا مَن لَم يؤمن بكرَّتنا ويستحلُّ متعتنا»(١)

وفي رواية أُخرىٰ له عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال:

«مَنْ أقرَّ بسبعة أشياء فهو مؤمن: البراءة من الجبت والطاغوت، والإقراربالولاية، والإيمان بالرجعة، والإستحلال للمتعة، وتحريم الجرّي والمسح علىٰ الخفَّين»(٢)

وعن الفضل بن شاذان، أنَّ الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«مَن أقرَّ بتوحيد اللّه ونفىٰ التشبيه ونزّهه عمّا لا يليق به، وأقرّ بأنّ له الحول والقوّة والإرادة والمشيئة والخلق والأمر والقضاء والقدر، وأنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، وشهد أنّ محمّداً رسول اللّه وأنَّ عليّاً والأئمَّة بعده حجج اللّه، ووالىٰ أولياءهم، واجتنب الكبائر، وأقرّ بالرجعة والمتعتين وآمن بالمعراج والمسألة في القبر والحوض والشفاعة وخلق الجنَّة والنار والصّراط والميزان والبعث والنشور والجزاء والحساب، فهو مؤمن حقّاً، وهو من شيعتنا أهل البيت»(٣)

وفي "الكافي" و"تهذيب الأحكام" بسندٍ صحيح عن بُريد بن معاوية قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

«بعث أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه مصدِّقاً من الكوفة إلىٰ باديتها....

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤٥٨/٣، الحديث ٤٥٨٣؛ بحار الأنوار: ٩٢/٥٣، الحديث ١٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٣٢/٢٤-١٣٣، الحديث ٢٠١٦٤؛ بحار الأنوار: ١٩٣/٦٢-١٩٤، الحديث ١٢.

(٣) صفات الشيعة: ٥٥؛ بحار الأنوار: ٩/٦٦-١٠، الحديث ١١.

ثمّ قال: أما واللّه لا تذهب الأيّام واللّيالي حتّىٰ يحيي اللّه الموتىٰ ويميت الأحياء ويردّ اللّه الحقّ إلىٰ أهله ويقيم دينه الّذي إرتضاه لنفسه ونبيّه، فأبشروا ثمّ أبشروا ثمّ أبشروا، فواللّه، ما الحقّ إلاّ في أيديكم؛»[١]

الرجعة في الأدعية والزيارات

وورد التصريح بالرجعة في الأدعية وزيارات النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، كما ورد في الزيارة الجامعة بصراحة وأُقرّ بها.

ففي زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام، نقرأ:

«إنّي بكم مؤمن وبإيابكم، موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي»[٢]

ونقرأ في زيارة وليّ العصر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه:

«فإنْ توفيتني اللهمّ قبل ذلك، فاجعلني يا ربّ فيمن يكرّ في رجعته ويملّك في دولته ويتمكن في أيّامه»[٣]

ونقرأ في زيارة النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السّلام من بعيد:

«إنّي من القائلين بفضلكم، مقرٌّ برجعتكم، لا أنكر للّه قدرة ولا أزعم إلاّ ما شاء اللّه»[٤]

فهذه الأدعية تصرّح بأمر الرجعة وضرورة الإقرار والإعتقاد بها.

---

(١) الكافي: ٥٣٦/٣، الحديث ١؛ تهذيب الأحكام: ٩٧/٤، الحديث ٢٧٤.

(٢) المصباح: ٥٠٢؛ بحار الأنوار: ٣٦٥/٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٩٥/٥٣، الحديث ١٠٨.

(٤) جمال الأسبوع: ١٥٤؛ بحار الأنوار: ١٨٩/٩٧، الحديث ١٢.

الرجعة في الأُمَم السابقة

وإنَّ ممّا لا شكَّ فيه، أنَّ المنكرَ أو المستبعد لأيٍّ قضيَّة من القضايا، سيرفع اليد عن إنكاره أو إستبعاده فيما لو حصل علىٰ نظير لتلك القضيَّة قد تحقّق في مقطع سابق من الزمن، بل إذا ازدادت النظائر تصير تلك القضيَّة المنكَرَة أمراً طبيعيّاً مقبولاً عنده. فذكر النظائر والقضايا المشابهة مفيد لا في رفع الإنكار والإستبعاد فقط، بل في القبول والإعتقاد.

ومن ثمَّ يستشهد العلماء علىٰ طول عمر حضرة وليِّ العصر والزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف ـ والَّذي قد تستبعده بعض الأذهان، أو يستغربه البعض من الذين قد يؤول أمرهم -والعياذ باللّه- إلىٰ إنكار وجود الإمام ـ ببعض النظائر، فيستشهدون مثلاً بطول عمر الخضر عليه السّلام، وطول عمر النبيّ عيسىٰ بن مريم عليهما السّلام وبقائهما حيَّين إلىٰ الآن باتّفاق المسلمين علىٰ ذلك.

كما يستشهدون بالمعمَّرين الذين عاشوا أعماراً طويلة، ذكر أخبار بعضهم أبو هلال العسكريّ، في كتابه "المعمّرون والوصايا".[١]

وكذلك الحال في الرجعة، فعندما يذكر القرآن الكريم -فيما يذكر من أخبار الأمم السّابقة- وقوع إحياء الأموات بقدرة اللّه تعالىٰ وبإذنه، وتحقّق هذا الأمر ليس مرَّة واحدة أو مرَّتين بل لعدَّة مرّات، فهذا يؤكد إمكان تحقّقه سابقاً ولاحقاً بقدرة اللّه تعالىٰ.

---

(١) راجع كتاب المعمّرون والوصايا لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠)، تحقيق عبد المنعم عامر -مصر- المطبعة الميمنيَّة ١٢٥٦.

وعليه، فلا وجه لإنكار الرجعة إلىٰ هذا العالم في زمان حضرة وليّ العصر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه، بعد إخبار القرآن المجيد والروايات بذلك.

فقد أخبرنا اللّه عزّوجل في كتابه الكريم برجوع عزير إلىٰ الحياة بعد موته، وذلك في قوله تعالىٰ:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]

وفي آية أُخرىٰ يقول تعالىٰ:

﴿وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾[٢]

إذن، فالإحياء ممكنٌ، وقد وقع فعلاً فيما سبق.

هذا، وقد إستدلَّ علماؤنا، ولتتميم الإستدلال علىٰ وقوع الرجعة في الأُمم السابقة، بحديث متّفق عليه بين الشيعة والسنّة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

قال الشيخ الطبرسيُّ في مجمع البيان في تفسير القرآن:

«و قد تظاهرت الأخبار عن أئمّة الهدىٰ من آل محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٥٥ و٥٦.

أن اللّه سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممّن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته.

ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقّونه من العذاب، في القتل علىٰ أيدي شيعته وليبتلوا بالذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته. ولا يمتري عاقل أنّ هذا مقدور للّه تعالىٰ غير مستحيل في نفسه، وقد فعل اللّه ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدَّة مواضع، مثل قصَّة عزير وغيره، علىٰ ما فسّرناه في موضعه، وصحّ عن النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قوله: "سيكون في اُمّتي كلّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، حتى لو أن أحدهم دخل جُحر ضبّ لدخلتموه.»[١]

وقد روىٰ الشيخ الصدوق رحمه اللّه استدلال الإمام الرضا عليه السّلام في جواب سؤال المأمون عن الرجعة، فقال عليه السّلام:

«إنّها لحقّ، قد كانت في الأمم السّالفة ونطق به القرآن، وقد قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: "يكون في هذه الأُمَّة كلّ ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذَّة»[٢]

ويبدو إنَّ الشيخ الطبرسي رحمه اللّه قد أخذ هذا الإستدلال من الإمام الرضا عليه السّلام مع التنصيص علىٰ صحَّة الحديث.

وورد في المصادر السنيَّة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنه قال:

«و الّذي نفسي بيده، لتتبعنّ سنن الّذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع

(١) تفسير مجمع البيان: ٧/٤٠٥-٦-٤٠، مع تفاوت بسيط؛ بحار الأنوار: ٥٣/١٢٦.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١/٢١٨-٢١٩؛ بحار الأنوار: ٢٥/١٣٥، الحديث ٦.

وباعاً فباعاً، حتّىٰ لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه؛

قالوا: ومن هم يا رسول اللّه! أهل الكتاب ؟

قال: فمن»

رواه أحمد بن حنبل وابن ماجة، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، والحاكم النيشابوري عن أبي هريرة [١].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم قال:

«لتركبنَّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتّىٰ لو أنَّ أحدكم دخل جحر ضبّ لدخلتم، وحتّىٰ لو أنّ أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه» [٢]

وعن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«لا تترك هذه الأُمَّة شيئاً من سُنن الأوَّلين حتّىٰ تأتيه».

رواه الطبراني. [٣]

وأخرج الترمذي:

«إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لما خرج إلىٰ حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول اللّه، لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: سبحان اللّه، هذا كما قال قوم موسى: ﴿**اِجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾.

---

(١) في مسند أحمد بن حنبل: ٣٢٧/٢ عن أبي هريرة، وفي ٨٤/٣ عن أبي سعيد الخدري. تفسير جامع البيان: ٢٢٥/١٠؛ تفسير إبن كثير: ٣٨٢/٢؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣٧/١، بتفاوت بسيط.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٤٥٥/٤؛ الجامع الصغير: ٤٠١/٢، الحديث ٧٢٢٤؛ كنز العمّال: ١٣٤/١١، الحديث ٣٠٩٢٤.

(٣) المعجم الأوسط: ١٠١/١؛ مجمع الزوائد: ٢٦١/٧؛ فتح الباري: ٢٥٥/١٣؛ الجامع الصغير: ٧٢٩/٢، الحديث ٩٧٣٤؛ كنز العمّال: ١٣٣/١١، الحديث ٣٠٩١٩.

والّذي نفسي بيده، لتركبن سنّة من كان قبلكم»[١]

والحاصل، إنَّه ورد في القرآن الكريم أكثر من سبعين آية كريمة في الرجعة، كما سيأتي عن بعض العامَّة.

شبهة في الإستدلال بالأحاديث

وقد يصير الحديث المذكور والمتَّفق عليه بين الفريقين ـ وهو وقوع كلّ ما كان في الأُمم السابقة، في هذه الأُمَّة حذو النعل بالنعل ـ سبباً لشبهة، مفادها أنَّ قبول هذا الحديث يستلزم القول بتحريف القرآن لوقوعه في كتب الأُمم السّابقة.

وقد أجاب السيد الخوئي عن هذه الشبهة بوجوه:

«أوّلاً: إنَّ الروايات المشار إليها أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، ودعوىٰ التواتر فيها جزافيّة لا دليل عليها، ولم يذكر من هذه الروايات شيء في الكتب الأربعة، ولذلك، فلا ملازمة بين وقوع التحريف في التوراة ووقوعه في القرآن.

ثانياً: إنَّ هذا الدليل لو تمّ، لكان دالّاً علىٰ وقوع الزيادة في القرآن أيضاً، كما وقعت في التوراة والإنجيل، ومن الواضح بطلان ذلك.

ثالثاً: إنَّ كثيراً من الوقائع التي حدثت في الأُمم السابقة لم يصدر مثلها في هذه الأُمَّة، كعبادة العجل، وتيه بني إسرائيل أربعين سنة، وغرق فرعون وأصحابه، وملك لسيمان للإنس والجنّ، ورفع عيسى إلىٰ السماء، وموت هارون وهو وصيّ موسىٰ قبل موت موسىٰ نفسه، وإتيان موسىٰ بتسع آيات بينات،

---

(١) سنن الترمذي: ٣٢١/٣، الحديث ٢٢١٧.

وولادة عيسىٰ من غير أب، ومسخ كثير من السابقين قردة وخنازير، وغير ذلك مما لا يسعنا إحصاؤه.»[١]

وقد قلنا في محلّه:

إنّ الجواب الأوّل غير تام، فلا فائدة من إنكار تواتر هذه الروايات، بل الظاهر عدم الدقّة في المقام، ويشهد بذلك قوله:

«ولم يذكر من هذه الروايات شيءٌ في الكتب الأربعة»، والحال إنّها مذكورة في كتاب "من لا يحضره الفقيه"للشيخ الصدوق رحمه اللّه –وهو أحد الكتب الأربعة–.[٢]

والجواب الثاني ضعيف، لأنّ إحتمال وقوع التحريف في القرآن المجيد بالزيادة في المستقبل يتنافىٰ مع إطلاقات أدلّة نفي التحريف، والتي إستدلّ بها هو أيضاً، ومنها قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]

الظاهر في سلامة القرآن من التحريف إلىٰ آخر عمر هذه الدنيا، وأنّ اللّه تعالىٰ حافظ له.

نعم، الجواب الثالث هو الصحيح، أي لابدّ أن نرفع اليد عن العموم والإطلاق في تلك الأحاديث، كما فعل ذلك صاحب "تفسير الميزان" بعد أن طرح هذه الشبهة وأجاب بهذا الوجه فقط.[٤]

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢٠٣/١.

(٣) سورة الحجر (١٥): الآية ٩.

(٤) تفسير الميزان: ١١٥/١٢.

وذلك، لوقوع كثير من الأمور في الأمم السابقة، وعدم وقوعها في هذه الأمَّة، وقد طلب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في المعراج من ربِّه أن لا تقع في هذه الأمَّة إذ قال:

﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾(١)

إذن، فالمقصود من هذه الأحاديث هو المماثلة والمشابهة من بعض الوجوه، لا كلّها.

فلا تنتقض أدلَّة نفي تحريف القرآن المجيد بهذه الشبهة.(٢)

وقوع الرجعة في زمن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله

ثمَّ إنَّ مما يجدر ذكره في بحث الرجعة: رجوع بعض الأشخاص من هذه الأمَّة علىٰ يد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وبواسطته إلىٰ عالم الدنيا بعد موتهم، كما في كتب الفريقين.

وهذا المعنىٰ مذكور في روايات الفريقين، وخاصَّة في الكتب التي تناولت سيرة وأحوال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وحياته.

ومن ذلك، ما ذكره الحافظ القاضي عياض المالكي، المتوفىٰ سنة ٥٤٤ -وهو من كبار علماء العامَّة- في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ" في باب "معجزات رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله".(٣)

وما ذكره أيضاً أبو نعيم الإصفهاني في كتاب "دلائل النبوَّة"

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٨٦.

(٢) ولمزيد من الإطّلاع راجع: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٩٤-٩٦.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ٣١٨/١.

وجلال الدين السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ".

ولعلَّ من ألطفها ما رواه محبّ الدين الطبري الشافعي المكّي، وأبو حفص إبن شاهين، والخطيب البغدادي، وأبو الحسن الدار قطني، وإبن عساكر الدمشقي، وأبو القاسم السهيلي، وجلال الدين السيوطي، والقرطبي، والقسطلاني وآخرون، رووه عن عائشة قالت: إنّه لما كانت حجّة الوداع ودخلنا مكّة مع النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ذهبنا إلىٰ الحجون[1]، فترجّل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن راحلته، وكان باكياً حزيناً مغموماً، فبكينا لبكائه، فأمرني رسول اللّه أن أبقىٰ في مكاني وذهب، ثمَّ عاد مسروراً فقال:

«ذَهَبْتُ لقبر أُمّي، فسألتُ ربِّي أن يُحييها، فأحياها، فآمنت بي، وردَّها اللّه».

قال الحافظ القسطلاني:

«ولقد جزم بعض العلماء، بأنَّ أبويه ناجيان وليسا في النار، تمسّكاً بهذا الحديث وغيره».

وقال الحافظ القرطبي:

«ليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً.

فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسىٰ يحيي الموتىٰ، وكذلك نبيّنا صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أحيىٰ اللّه تعالىٰ علىٰ يديه جماعة من الموتىٰ، وإذا ثبت هذا، فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته.»[2]

---

(١) وهي مقبرة مكّة المكرّمة الكبيرة.

(٢) كشف الخفاء: ٦١-٦٢، نقلاً عن القرطبي، وكذا في سبل الهُدىٰ والرشاد: ١٢٣/٢.

وحاصل كلامهم: عدم وجود دليل عقليٍّ أو شرعي علىٰ الإمتناع، بل القضيَّة واقعة، والمقصود ردُّ المناقشة في سندها.[١]

أسماء بعض القائلين بالرجعة

وبناءاً علىٰ ذلك، هل يمتنع عقلاً وقوع الرجعة في حقِّ الأئمَّة عليهم السّلام بإرادة اللّه القادر، أو إذا أراد الأئمَّة القيام بذلك؟

ثمَّ إنَّ الرجعة عقيدة إسلاميَّة وليست شيعيَّة فقط كما ذكرنا من قبل، فلقد كان جميع المسلمين يعتقدون بها، ولم تكن من أسباب الطّعن و الجرح، فقد ذكروا القول بذلك بترجمة جابر بن يزيد الجعفي -وهو من أصحاب الأئمَّة، وأخرجوا عنه في بعض الصّحاح، ووثَّقهُ الكثيرون من كبار علماء أهل السُنَّة، إلىٰ درجة إنَّ بعضهم أكَّد علىٰ وثاقته وردَّ بقوَّة كلَّ جرح وطعن فيه.[٢]

كما ذكروا ذلك بترجمة جماعةٍ ونسبوهم إلىٰ التشيُّع، ولم يثبت عندنا كونهم من الشيعة الإثني عشريَّة،

وذكروا ذلك في أحوال آخرين من غير نسبتهم إلىٰ التشيّع، بل الثابت كونهم من أهل السنَّة، من أمثال:

---

(١) راجع كتاب "الموضوعات": ٢٨٤/١.

(٢) راجع مسند أحمد بن حنبل: ١١٩/٦؛ صحيح مسلم: ١٥/١؛ معرفة السنن والآثار، البيهقي: ٣٨١/٧؛ تأريخ إبن معين، الدوري: ٢٠٧/١، رقم ١٣٤٦ و٢١٦/١، رقم ١٣٩٩؛ ضعفاء العقيلي: ١٩٣/١ و٧٧/٤؛ كتاب المجروحين: ٢٠٩/١؛ الكامل: ١١٤/٢؛ تأريخ بغداد: ١٧٥/٢؛ تأريخ مدينة دمشق: ١٣٣/٤١؛ تهذيب الكمال: ٤٦٧/٤.

١- مسلم بن نذير السعدي وهو من التابعين، قالوا:

«كان يروي عن عليٍّ وعن حذيفة، وكان قليل الحديث، ويذكرون إنّه كان يؤمن بالرجعة»(١)

٢- عبد اللّه بن الحسين الأزدي قاضي مدينة سجستان، قال الراوي:

«قال لي عبد اللّه بن الحسين الأزدي: هل تؤمن بالرجعة؟

قلت: لا.

قال: في الرجعة إثنتان وسبعون آية في كتاب اللّه المجيد»

وهذا الرجل من رجال الصحاح الستّة، كما في كتاب "تهذيب الكمال" وهو من أكثر كتب أهل السنّة إعتباراً في علم الرجال.(٢)

٣- المحاربيّ. قال شمس الدين الذهبي في كتاب "سير أعلام النبلاء":

«المحاربيّ، الشيخ المحدّث المعمّر، أبو عبد اللّه محمّد بن القاسم ابن زكريا...

حدّث عنه: الدارقطني ومحمّد بن عبد اللّه الجعفي وجماعة.

قال ابن حماد الحافظ، توفي في صفر سنة ستّ وعشرين وثلاث مائة....

قال: وكان يؤمن بالرجعة»(٣)

وممّا مرَّ يتبيَّن بأنَّ الإعتقاد بالرجعة لا يختصُّ بالشّيعة والتشيُّع.

هذا، وذكر الشيخ المفيد في أخبار السيّد الحميري الشاعر المعروف:

---

(١) الطبقات الكبرىٰ: ٢٢٨/٦، تهذيب التهذيب: ١٢٦/١٠، رقم ٢٥٨.

(٢) تهذيب الكمال: ٤٢٢/١٤، رقم ٣٢٢٧؛ ميزان الإعتدال: ٤٠٨/٢، رقم ٤٢٦٧؛ تهذيب التهذيب: ١٦٥/٥.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٧٣/١٥، رقم ٤٠.

«و كان أيضاً ممّا جرى له مع سوّارٍ: ما حدّث بـه الحـرث بـن عـبيد اللّـه الرّبعيّ قال:

كنت جالساً في مجلس المـنصور و هـو بـالجسر الأكـبر، و سـوّار عـنده والسّيّد ينشده:

إنّ الإله الّذي لا شيء يشبهه آتاكم الملك للدّنيا وللـدّين

حتّىٰ أتىٰ علىٰ القصيدة و المنصور مسرورٌ، فقال سوّارٌ: هذا و اللّه يا أمـير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، و اللّه إنّ القـوم الّـذين يـدين بـحبّهم لغيركم و إنّه لينطوي في عداوتكم.

فقال السّيّد: و اللّه إنّه لكاذبٌ، و إنّني في مديحك لصادقٌ، و لكـنّه حـمله الحسد إذ رآك على هذه الحالِ، و إنّ انقطاعي إليكم و مودّتي لكم أهـل البـيت لمعرقٌ فيها عن أبويّ، و إنّ هذا و قومه لأعداؤكم في الجاهليّة و الإسلام، وقد أنزل اللّه عزّ و جلّ علىٰ نبيّه صلّىٰ اللّه عليه وآله في أهل بيت هذا **﴿إِنَّ الَّذينَ يُنٰادُونَكَ مِنْ وَرٰاءِ الْحُجُرٰاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** فقال المنصور: صدقت.

فقال سوّارٌ: يا أمير المؤمنين: إنّه يقول بالرّجعة و يتناول الشّيخين بـالسّبّ والوقيعة فيهما.

فقال السّيّد: أمّا قوله بأنّي أقول بالرّجعة، فإنّ قولي في ذلك على ما قال اللّه تعالى **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾** و قد قال في موضعٍ آخر **﴿وَحَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** فعلمت أنّ هـاهنا حشـرين، أحدهما عامٌّ و الآخر خاصٌّ و قال سـبحانه **﴿رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اثْـنَتَيْنِ وَأَحْـيَيْتَنَا اثْـنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنٰا بِذُنُوبِنٰا فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبيلٍ﴾** و قال اللّه تعالىٰ **﴿فَأَمٰاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عٰامٍ**

ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ و قال اللّه تعالى ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ﴾ فهذا كتاب اللّه عزّوجلّ.

وقد قال رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله:

يحشر المتكبّرون في صور الذّرّ يوم القيامة.

و قال صلّىٰ اللّه عليه وآله: لم يجر في بني إسرائيل شيءٌ إلاّ و يكون في أمّتي مثله حتّى المسخ و الخسف و القذف.

و قال حذيفة: و اللّه ما أبعد أن يمسخ اللّه كثيراً من هذه الأمّة قردةً و خنازير.

فالرّجعة الّتي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن و جاءت به السّنّة، و إنّني لأعتقد أنّ اللّه تعالى يردّ هذا ـ يعني سوّاراً ـ إلىٰ الدّنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّةً، فإنّه واللّه متجبّرٌ متكبّرٌ كافرٌ.

قال: فضحك المنصور.

و أنشد السّيّد يقول:

جاثيت سوّاراً أبا شملةٍ   عند الإمام الحاكم العادل
فقال قولًا خطأً كلّه   عند الورى الحافي و النّاعل

قال: فقال المنصور: كفّ عنه.

فقال السّيّد: يا أمير المؤمنين، البادئ أظلم، يكفّ عنّي حتّىٰ أكفّ عنه.

فقال المنصور لسوّارٍ: تكلّم بكلامٍ فيه نصفةٌ، كفّ عنه حتّىٰ لا يهجوك.(١)

وهذه القصّة نقلها السيد المرتضىٰ رحمه اللّه في كتاب "الفصول المختارة من العيون والمحاسن" وهي مطالب الشيخ المفيد رحمه اللّه.

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢ / ٦١.

والملفت هو: إنَّ المنصور لم يردَّ إستدلال السيد الحميري علىٰ الرجعة، ولا غيره من الحاضرين في المجلس، وهذا مما يشهد بأنَّ الرجعة عقيدةٌ قرآنيَّة، حديثيَّة وإجماعيَّة.

والحاصل، إنَّه لا يمكن إنكار الإعتقاد بالرجعة.نعم، إنَّ عقول بعض الناس قاصرة، وأذهانُهم محدودة، وأفهامهم قليلة، فيستبعدون هذه العقيدة، ولكنَّ الأدلَّة من الكتاب والسُنَّة ترفع هذا الإستبعاد.

أضف إلىٰ ذلك، وقوع الرجعة في الأمم السابقة، بل وفي هذه الأُمَّة أيضاً.وكلُّ شيءٍ تحقّقت له نظائر وخاصَّة إذا كانت كثيرة، لم يكن إستبعاده إلاَّ عناداً وتعنُّتاً.

إذن، فالإعتقاد بالرجعة له جذور قرآنيَّة، وقد دلَّت عليه الروايات الكثيرة التي لا يجوز تركها ولا موجب لتأويلها.

لماذا إختصَّ الإعتقاد بالرجعة بالشيعة؟

ويبقىٰ الكلام في سبب إختصاص الإعتقاد بالرجعة بمرور الزمان، بشيعة أهل البيت عليهم السّلام، وصار من جملة علامات هذا المذهب؟

والحقيقة، إنَّ هذا لا يختصُّ بالرجعة، بل إنَّ هناك مسائل إعتقاديَّة أُخرىٰ، وأحكام شرعيَّة وفروع عمليَّة أيضاً، بل وحتّىٰ بعض الآداب والسنن الدينيَّة، آل أمرها إلىٰ الإختصاص بعد أن كانت عامَّة عند كلِّ المسلمين، وقد قامت عليها الأدلَّة من الكتاب والسنَّة، أو من السنَّة فقط، والتي ذكرت في كتب الفريقين معاً،

ولكنَّ جمهور أهل السنَّة تمرّدوا علىٰ الإعتقاد والعمل بها، وبمرور الزمان صارت من مختصَّات الشيعة، ومن علاماتهم المميَّزة لهم.

والأعجب من ذلك، هو إنَّ أهل السنَّة عندما يتعرّضون لمثل تلك الأمور، ينسبونها إلىٰ الشيعة ويشنّعون بها عليهم، وقد ذكرنا فيما سبق بعض ذلك، ونحن مضطّرون إلى تكراره هنا:

فالتختُّم باليمين مستحبٌّ بحسب ما رواه السُنَّة والشيعة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، واستقرَّت السنَّة عليه، ولكنّهم تركوه.

قال جار اللّه الزمخشري:

«أوَّل من تختَّم باليسار معاوية بن أبي سفيان»(١)

واليوم، فإنَّ غير الشيعة يتبعون سنَّة معاوية وبني أُميَّة، فيتختّمون باليسار ويتركون سنَّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ويقولون: إنَّ التختُّم باليمين شعارُ الشيعة.

وفي كيفيَّة لفِّ العمائم كذلك.(٢)

وفي كيفيَّة القبر، فالسُنَّة هي أن يكون مسطَّحاً، وحتّىٰ أنَّ كبار علماء العامَّة يُصرِّحون بأنَّه هو السنَّة:

قال الشافعي في كتابه "الأُمّ":

«...ويُسطَّح القبر وكذلك بلغنا عن النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنّه سطح قبر

---

(١) ربيع الأبرار: ٢٤/٤، باب ٧٥.

(٢) راجع: شرح منهاج الكرامة: ١١/٢.

إبراهيم إبنه... وقد بلغني عن القاسم بن محمّد قال: رأيت قبر النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأبي بكر وعمر مسطّحة...»[١]

لكنّ قبور غير الشيعة اليوم مسنَّمة كسنام البعير، واختصَّ التسطيح بقبور الشيعة.

ففي كلٍّ هذه الموارد وغيرها لم يكن قصدهم غير الإحداث في الدين عناداً مع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.[٢]

ولكنَّ في الرجعة خصوصيَّة زائدة، لأنّ الإعتقاد بها يعني الإعتقاد بحقيّة أهل البيت عليهم السّلام ومظلوميّتهم وتشكيل الحكومة الحقَّة وتحكيم الإسلام الحقيقي الأصيل للأخذ بحقوقهم المغصوبة وإزالة البدع، وإذلال مخالفي أهل البيت عليهم السّلام في هذا العالم. ومن الواضح بأنَّ المخالفين لا يروق لهم كلَّ هذا، ولذا، فإنَّهم ينكرون الرجعة أو يستهزئون بها.

وقصَّة أبي حنيفة مع مؤمن الطاق معروفة في هذا السياق، حيث طلب أبو حنيفة من مؤمن الطاق أن يقرضه قرضاً علىٰ أن يرجعه له في الرجعة!!

فقال له مؤمن الطاق: إضمن لي إنَّكَ ترجع ذلك اليوم بصورة إنسان لا بصورة قرد، حتّىٰ أُقرضك.[٣]

وعلىٰ أيِّ حال، فإنَّ أهل السنَّة علىٰ مرور الأيّام أنكروا الإعتقاد بالرجعة، وإعتبروه من مختصَّات الشيعة.

---

(١) كتاب الأمّ: ٣١١.
(٢) لمزيد من الإطّلاع راجع كتاب شرح منهاج الكرامة: ٢/٧-١٣.
(٣) الإحتجاج: ١٤٨/٣؛ بحار الأنوار: ٢٩٩/٤٧.

قال الشيخ المظفّر في كتاب عقائد الإماميَّة:

«قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلىٰ الدنيا، وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة. والإماميَّة بأجمعها عليه، إلاّ القليلون منهم تأوّلوا ما ورد في الرجعة بأنَّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلىٰ آل البيت عليهم السّلام بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتىٰ.

والقول بالرجعة يعدّ عند أهل السنَّة من المستنكرات الّتي يستقبح الإعتقاد بها، وكان المؤلّفون منهم في رجال الحديث يعدّون الإعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها.

ويبدو أنّهم يعدّونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع، فكان هذا الإعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الإماميَّة ويشنّع به عليهم.

ولا شكّ في أنَّ هذا من نوع التهويلات الّتي تتخذها الطوائف الإسلاميَّة فيما غبر ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضدّه.

ولا ترىٰ في الواقع ما يبرر هذا التهويل، لأنَّ الإعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوّة، بل يؤكّد صحَّة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة للّه تعالىٰ كالبعث والنشر، وهي من الأمور الخارقة للعادة الّتي تصلح أن تكون معجزة لنبيّنا محمّد وآل بيته صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وهي عيناً معجزة إحياء الموتىٰ التي كانت للمسيح عليه السّلام، بل أبلغ هنا، لأنّها بعد أن يصبح الأموات رميماً ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾[1].[2]

(١) سورة يس (٣٦): الآية ٧٩.

(٢) عقائد الإماميَّة: ٨١.

بحث قصير في الظهور ودولة إمام العصر

لا شكَّ ولا شبهة في قضيَّة ظهور وليِّ العصر أرواحنا فداه وتأسيس الحكومة العالميَّة، وقد أخبرنا الصادق صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله بذلك إذ قال:

«يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»

ولكن الأسئلة حول هذا الموضوع وتفاصيله كثيرة؛ ويمكننا تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل:

حوادث ما قبل الظهور. والبحث هنا في أُمور من قبيل: وقوع حوادث كُليَّة وعامَّة في العالم لتهيئة الأرضيَّة وإعداد الأذهان إلىٰ تلقي وقبول الحكومة الحقَّة، ثم البحث في علائم الظهور الحتميَّة وغير الحتميَّة، وبيان وظائف المؤمنين ودورهم في التمهيد للظهور والحكومة المهدويَّة و...

القسم الثاني:

حوادث ما بعد الظهور وإبّان الحكومة الإلهيَّة للإمام المهدي عجّل اللّٰه تعالىٰ فرجه الشريف.

وفي هذا القسم يقع الحديث عن قبيل كيفيَّة حركته من مكَّة، نزول عيسىٰ عليه السّلام إلىٰ الأرض وإئتمامه بالإمام المهدي عليه السّلام في الصلاة.

مجيء الإمام عليه السّلام إلىٰ الكوفة

كيفيَّة حكومته وأوضاع دولته الكريمة

من الَّذي سيقوم ضدَّه من الناس ؟

المعارضون له ولمبادئه، وكيفيَّة تعامل الإمام عليه السّلام معهم.

ما هو نوع الأسلحة التي سيستخدمها الإمام عليه السّلام ؟

وهل إنَّ هناك ضرورة للسلاح أم لا ؟

ما الَّذي سيحدث في الكوفة ؟

ما هي عاقبة أمر الحكومة المهدويَّة ؟

هل إنَّ الإمام سيموت أم إنَّه يُقتل ؟

وغير هذه الأمور التفصيليَّة التي تبحث في هذا القسم.

القسم الثالث:

الحوادث التي تقع بعد رحيل الإمام المهدي عليه السّلام عن الدنيا، من قبيل:

هل ستستمر حكومة الأئمَّة عليهم السّلام بعد الإمام المهدي أرواحنا فداه ؟

من الَّذي سيأتي ليحكم ؟

وما هو عددهم ؟

إلىٰ متىٰ ستستمر هذه الحكومة والدولة ؟

وإنْ كان التكليف الشرعيّ قائماً، والمكلّفون موجودون، فلابدَّ من أن يكون هناك إمامٌ، للملازمة بينهما.

الجواب الإجمالي عن الأسئلة

ولا يخفىٰ أنَّ المسائل المطروحة فيما يتعلَّق بعصر الظهور وما قبله وما بعده كلّها أو جلّها إعتقاديَّة أو علميَّة، فنحتاج -خاصَّةً فيما إذا أردنا الإعتقاد- إلىٰ الدليل، بأنْ تكون الرواية معتبرة سنداً واضحةً دلالةً، و إلاّ، فإنَّ الخبر الضعيف أو المجمل لا يفيد العلم.

نعم، في القسم الأوَّل مسألةٌ ترجع إلىٰ العمل، و هي وظيفة المؤمنين تجاه الإمام عليه السَّلام، وسنتكلَّم عن ذلك.

هذا، والقدر المسلَّم به من مسائل هذا القسم هو: أنَّ للظهور علائم حتميَّة علىٰ ما ورد في الأخبار.

كما أنَّ الثابت من مسائل القسم الثاني نزول عيسىٰ عليه السَّلام وصلاته خلف الإمام، و أن الكوفة عاصمة الحكومة.

وأمّا القسم الثالث، فالرّوايات متضاربة، فلذا، توقف العلماء كالشيخ المجلسي[١] وغيره فيما يكون بعد الإمام عليه السَّلام، و الجواب الإجمالي هو: أنَّه إن كان تكليفٌ ومكلَّفون، فلابدَّ من وجود الحجَّة. وأمّا في زمن حكومة الإمام فالظاهر وجود التكليف، نعم، لا تقبل التوبة من الظالمين لقوله تعالىٰ:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمٰانِهٰا خَيْراً﴾[٢]

(١) بحار الأنوار: ١٤٨/٥٣.
(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ١٥٨.

تكاليف الأُمّة تجاه الإمام

ومن المناسب هنا التعرّض لأهمّ تكاليف الأُمّة تجاه الأئمة وخاصّةً الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه، والتكلّم حولها بشئ من التفصيل:

١. معرفة الإمام:

ولايخفى أنّ أُولى الوظائف وأهمّها هي معرفة الإمام عليه السّلام، وأنّ سائر الوظائف والتكاليف متفرّعة على المعرفة.

والأدلّة على وجوب معرفة لإمام عقلاً ونقلاً كثيرة، وقد تعرّض العلماء لهذا الموضوع في كتب العقائد وغيرها من العلوم، وحتّى في كتب اصول الفقه طرحت هذه المسألة الشريفة وبحث عنها بالتفصيل، وقد أوردنا ذلك في كتابنا في علم الاصول[١]، ونكتفي هنا بموجز ما حرّرناه هناك، فنقول:

لقد استدلّوا لوجوب المعرفة بالكتاب والسنّة والعقل.

فمن الكتاب قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢] فسواءً صحّ تفسير العبادة في الآية بالمعرفة أو لم يصح، فإنه لاريب في تقومّها بها.

ومن السنّة بأخبار كثيرة، منها قوله صلّى الله عليه وآله: ما أعلم شيئاً بعدالمعرفة أفضل من هذه الصّلوات الخمس،[٣] ودلالته على وجوب

(١) تحقيق الاصول، الجزء السّادس، مباحث الظن المطلق.
(٢) سورة الذاريات (٥١): الآية ٥٦.
(٣) الكافي ٣ / ٢٦٤.

المعرفة واضحة جدّاً، ومنها قوله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة[١]

ومن العقل، إنه يجب تحصيل معرفة الله ورسوله والأئمة من باب وجوب شكر المنعم، فالعقل يستقلُّ بوجوب معرفتهم لذلك.

وأيضاً: يستقّل العقل بوجوب معرفتهم من باب وجوب دفع الضّرر المحتمل، لاحتمال الضّرر في تركها.

قال المحقق الإصفهاني رحمه الله: إن الشّكر له مراتب ثلاثة: علمٌ وحالٌ وعملٌ، فمعرفة المنعم، من الأوّل والتخضّع له قلباً، من الثاني وصرف النعمة فيما خلقت لأجله بأداء ماهو وظيفة السّمع والبصر واللّسان، من الثالث. (قال): فمعرفة المنعم من أفضل مراتب شكر النعمة.[٢]

أقول: وسيأتي بعض النعم الواصلة إلى الخلق بواسطة الأئمة.

قال الشيخ الأنصاري رحمه الله: ومن هنا، قد يقال: إنّ الإشتغال بالعلم المتكفّل لمعرفة الله ومعرفة أوليائه صلوات الله عليهم أهم من الإشتغال بعلم المسائل العمليّة، بل هو المتعيّن، لكنّ الإنصاف يقتضي عدم التمكّن من ذلك إلّا للأوحديّ من الناس...[٣]

أقول:

إنّ المعرفة المطلوبة من المكلّف منوطة باستعداده وقوّة فهمه للمطالب،

---

(١) الكافي ١ / ٣٧٦.

(٢) نهاية الدراية ٣ / ٤٠٨.

(٣) فرائد الاصول: ١٧٠ ـ ١٧١.

ولا يكلّف الله نفساً إلّا ما آتاها، كما نصّ في القرآن المجيد،[١] فمن الناس من يعرف النبيّ، والأئمة بأسمائهم وأنسابهم ولا يستطيع أن يعرفهم بأكثر من ذلك. ومنهم من يستطيع مع ذلك التوصّل إلى بعض مناقبهم وخصوصيّات أحوالهم. ومنهم من يستطيع معرفة منازلهم عند الله وشئونهم معه وولايتهم الممنوحة لهم منه ونحو ذلك...

ومن المعلوم، أنّه كلّما ازدادت المعرفة، إزدادت الطّاعة، وكلّما إزدادت معرفة الإنسان للإمام ازداد قربه منه ونصيبه من هدايته، فعن أبي عبدالله الحسين عليه السلام قال:

أيّها الناس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه.

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، فما معرفة الله؟

قال: معرفة أهل كلّ زمانٍ إمامهم الذي تجب عليهم طاعته[٢]

وعن أبي جعفر عليه السّلام أنه سُئل في حديثٍ:

فما معرفة الله؟

قال: تصديق الله عزّوجلّ وتصديق رسوله وموالاة علي والائتمام به وبأئمة الهدى، والبراءة إلى الله عزّوجلّ من عدوّهم. هكذا يعرف الله عزّوجلّ[٣]

دلّت هذه النصّوص على أنّ معرفة الإمام هي الطّريق الوحيد لمعرفة الله وعبادته وطاعته، وهذا دليلٌ آخر على وجوب معرفة الإمام.

---

(١) سورة الطلاق (٦٥): الآية ٧.

(٢) علل الشرائع ١ / ٩.

(٣) الكافي ١ / ١٨٠.

٢. الطّاعة المطلقة والتسليم المحض

ولا يخفى مفهوم «الطّاعة» في اللّغة، فإنه الإنقياد، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾.[١] وفي الحديث المتّفق عليه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أطاع عليّاً فقد أطاعني... وعن أبي عبدالله عليه السّلام في حديث: نحن قومٌ فرض الله طاعتنا.[٢]

ولا ريب أنّ الطّاعة خير وسيلة للقرب من الله، فعن الإمام أبي جعفر عليه السّلام: أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّوجلّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر. (قال): حبّنا إيمان وبغضنا كفر[٣]

وعنه أنه قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأشياء ورضا الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ الطّاعة للإمام بعد معرفته...[٤]

وعن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في التسليم ـ: لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشئ صنعه الله أو صنعه رسول الله: ألا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين. ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ثم قال أبو عبدالله: عليكم بالتسليم.[٥]

---

(١) سورة النساء (٤)، الآية ٨٠

(٢) الكافي ١ / ١٨٧.

(٣) الكافي ١ / ١٨٧.

(٤) الكافي ١ / ١٨٥.

(٥) الكافي ١ / ٣٩٠.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فيها حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾:[۱] الإقتراف التسليم لنا والصّدق علينا وألّا يكذب علينا.[۲]

۳. شكر النعم الواصلة بواسطة الإمام

وهذا ممّا يجب على العباد بحكم العقل والنقل...

الف. نعمة الوجود

فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله بتفسير قوله عزّوجلّ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[۳] أنه قال:

يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السّماء ولاالأرض...[٤]

وعن أميرالمؤمنين عليه السّلام:

فإنّا صنائع ربّنا والناس بعدُ صنائع لنا.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي بشرحه:

ب. نعمة الحياة

ثم إنّ لحياتنا وبقائنا في هذا العالم ارتباطاً وثيقاً بوجود الإمام، فقد ورد عن أبي‌عبدالله الصادق عليه السّلام: لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها.[٥]

(۱) سورة الشورى (٤٢)، الآية: ۲۳.
(۲) الكافي ۱ / ۳۹۱.
(۳) سورة البقرة(۲): الآية ۳۷.
(٤) كمال الدين ۱ / ۲٥٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ۱ / ۲٦۲.
(٥) الكافي ۱ / ۱۷۹.

ج. الفيوضات الإلّهيّة

والأئمة ـ بالإضافة إلى ما تقدّم ـ هم الواسطة للفيوضات الإلّهيّة المادّيّة والمعنويّة، فعن أبي عبدالله عليه السّلام أنه قال:

إنّ الله عزّوجلّ خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتىٰ منه وبابه الذي يدلّ عليه وخزائنه في سمائه وأرضه.

بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا نزل غيث السماء ونبت عشب الأرض. بعبادتنا عُبدالله، لولا نحن ما عبدالله.[1]

٤. محبّة محبّي الإمام وبغض مبغضيه

وهذا من جملة التكاليف، كما قرأنا الزيارة: موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومُعادٍ لهم.

وفي الروّيات والزيارات نخاطبهم: إني سلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم.[2]

وقد ورد في كتب الفريقين أنّ رسول الله قال لعلي:

عدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله.[3]

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ١٥١.

(٢) كامل الزيارات: ٣٢٩.

(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ٤٠ / ٢٠، المستدرك للحاكم ٣ / ١٣٨.

٥. النّصرة للإمام

وهذا ممّا أكدّت عليه الرّوايات، كما نخاطبهم في الزيارات بقولنا: ونصرتي لكم معدّة، وظاهر هذه العبارة ـ حيث جاء فيها المصدر مضافاً إلى المتكلّم ـ هو العموم. فعلى المكلّف إعداد النصرة وتقديمها إلى الإمام عليه السّلام بشتّى أنواعها، فقد تكون باللّسان واليد، وقد تكون بالمال وقد تكون بالسّلاح... فنصرة الإمام واجبة على كلّ مكلّف بقدر وسعه وما أوتي من قوةٍ وقدرةٍ ومكنة، لنفس الإمام، أو لدينه، أو لشيعته.

٦. إحياء أمر الإمام

وهذه الوظيفة ـ وإنْ صحّ كونها من مصاديق النصرة ـ قد ورد الأمر بالقيام بها في الروايات، قال الباقر عليه الصّلاة والسّلام:

أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا.[١]

وهذا دعاء جليلٌ، لأن الله يقول: ﴿**وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[٢]

ومصاديق إحياء أمرهم كثيرة جدّاً، كعقد المجلس لذكر أدلّة إمامتهم وأخبار فضائلهم ومناقبهم و شرح أحكامهم، ومآتمهم ومواليدهم، بالفرح بفرجهم والحزن لحزنهم. وكتاليف الكتب المفيدة في ذلك ونشرها بين الناس، وكزيارة قبورهم... وغيرذلك.

---

(١) هداية الأمّة إلى أحكام الأئمة ٥ / ١٣٧.

(٢) سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٢٣.

هذا، وللأمّة تكاليف ووظائف تجاه الإمام المهدي عليه السّلام خاصّة، منها:

٧. الدعاء لإمام العصر المهدي

الدعاء لسلامته، ولتعجيل فرجه، بل ورد الأمر بالإكثار في أحد توقيعاته إذ قال: وأكثروا من الدعاء لتعجيل الفرج فإنه فرجكم.(١)

ولايخفى، أن للدعاء للإمام آثاراً وبركاتٍ تعود الى الدّاعي، وذلك، لأن نفس الدعاء للإمام ذكرٌ له، وذكره ذكر الله.

وأيضاً: إذا ذكره المكلّف المؤمن ودعاله ذكره الإمام ودعا له، ودعاؤه مستجاب.

وأيضاً: الدعاء له يوجب سروده، وإدخال السرور على قلبه يوجب الأجر والثواب.

ومنها:

٨. انتظار الفرج

فإنّه ـ كما في الحديث ـ أفضل الأعمال.

وقد بيّنا حقيقة الإنتظار وهذا الحديث على ضوء الرّوايات المعتبرة، في كتابنا، فلا نعيد.

(١) كمال الدين ٢ / ٤٨٥، كتاب الغيبة، للطوسي ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ

الإئتمار للإمام

فالزائر في هذا المقطع يبيِّن موقفه من قول الأئمَّة وأمرهم ويقول بأنَّه تابع لهم، إذ يرىٰ قولهم حجَّة قاطعة، ويعتقد بوجوب إطاعتهم وامتثال أوامرهم، وكأنَّه يقول لهم: إنْ لم أكن في الطاعة والتبعيَّة كما تحبّون، فإنَّني في الأقل غير تابع لغيركم.

وبعبارة أُخرىٰ، إنْ لم أكن المصداق التامّ والحقيقي للشيعيّ، ولكنّني جزماً لست تابعاً لغيركم، وإنْ لم أكن مطيعاً لكم في أعمالي في كلِّ الأحوال، لأنَّ نفسي الأمّارة تسوِّل لي فتغلبني ويصدر منّي الذنب، ولكنّي في مقام إطاعة أوامركم، ولن أكون من أتباع غيركم.

مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ

الإستجارة بالأئمَّة عليهم السّلام

"مُستجير"، إسم فاعل، من "الإجارة" بمعنىٰ الحفظ والإلتجاء[1].

فنحن نلتجأ إلىٰ الأئمَّة عليهم السّلام في كلِّ الأحوال ونحتاج إليهم في إرتباطنا باللّه تعالىٰ علىٰ الدوام.

إذ ليس في الوجود من هو أقربَ منهم إلىٰ الله سبحانه وتعالى، وهم الوسائط للفيوضات الربّانيَّة.

---

(١) راجع مجمع البحرين: ١/٤٢٦.

فمن الطبيعي إذن، أن نلجأ إليهم في كلّ أُمورنا، وأن نلوذ بقبورهم ونطلب شفاعتهم ونجعلهم الوسيلة إلىٰ التقرّب من اللّٰه تعالىٰ وقضاء الحوائج.

فقولنا: "مستجيرٌ بكم"، -مضافاً إلىٰ كونه مقدّمة للعبارات اللاّحقة، إذ كلّ من "زيارة القبور"، "الإستشفاع"، و"التوسّل" هي من مصاديق "الاستجارة"- مطلبٌ مستقلّ وغير مقيّد بشرائط وظروف خاصّة.

فنحن علىٰ الدوام برعاية الأئمّة عليهم السّلام، سواء علمنا بذلك أو لم نعلم، وإنْ كان مقتضىٰ العقل و النقل عدم الغفلة عن وليِّ نعمتنا ولو آناً واحداً، فهم حفظتنا من الضلالة والضياع والإنحراف، وهم حفظتنا من المخاطر الدنيويّة، وهم السبب لنجاتنا في الآخرة، واللّٰه عزَّوجلّ هو الذي أعطاهم هذا الشأن وأوصلهم إلىٰ هذه المنزلة.

زَائِرٌ لَكُمْ، لاَئِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ، مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي

ثلاث عقائد أُخَر

في هذه الفقرة ثلاثة أُمور.

١- الزيارة.

٢- الشفاعة.

٣- التوسّل.

ولايخفى: أنّ "الزيارة" و"الإستشفاع" و"التوسّل"، من الأفعال، لكن من الممكن جعلها من العقائد لكونها مرتبطة بمقامات حضرات الأئمّة عليهم السّلام، فما لم يؤمن الإنسان بمقام الإمام عند اللّه تعالىٰ، فإنّه لن يذهب لزيارة مرقده، ولا يستشفع ولا يتوسّل به.

والزيارة والتوسل والشفاعة، هي من الأمور الثابتة بالأدلّة المتقنة عندنا وعند عموم المسلمين.

نعم، ظهرت الفرقة الوهّابيّة الضالّة، التابعة لإبن تيميّة، فخالفت المسلمين بل كفّرتهم من أجل ذلك.

وسنبحث عن هذه المطالب الثلاثة إنْ شاء اللّه وبمعونته عزّوجلّ بقدر الضّرورة -كما في الرجعة-، ليتّضح معنىٰ كلّ واحدٍ من الزيارة، الشفاعة والتوسل، وأدلّتنا الشّرعيّة عليها، لكي يتقوّىٰ إعتقادنا بصحّة هذه الأفعال، ولكي يتبيّن للجميع بأنّ عملنا قائم علىٰ أساسٍ محكم ومتين، ولكي يتسنّىٰ ردُّ الشبهات المثارة حول هذه المواضيع.

زَائِرٌ لَكُمْ

زيارة الأئمّة

قد شرحنا في أوّل الكتاب معنىٰ "الزيارة". والزائر الواقعي للأئمّة هو العارف بحقّهم عليهم السّلام، والّذي يطيعهم ويتابعهم علىٰ الدوام، ويتبرّأ من مخالفيهم ويُعرض عنهم.

وجملة "زائر لكم" فيها إطلاق يشمل حال الحياة والمماة. هذا أمرٌ.

والأمر الآخر هو إنّنا عندما نزور الأئمَّة عليهم السّلام في مراقدهم، فإنّنا نزورهم هم، فإنَّ من يحضر في حرم الإمام عليه السّلام يكون في محضر ذلك الإمام، ويخاطب نفس الإمام، فالإمام إمامٌ في موته وفي حياته، ولذا نقول له عندما نقف بين يديه:

«أشهَدُ أنَّكَ تَسمَعُ كَلامي وتردُّ سَلامي»[١]

وذلك، لأنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، أحياءٌ، كما يقول القرآن الكريم:

﴿أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[٢]

ومن هنا، فإنّنا في الزيارة الجامعة وعندما نقول: "زائر لكم" لم نلحظ زيارةالقبر أبداً، بل الملحوظ هو زيارة نفس الإمام، وحتّىٰ عندما يضاف لفظ "الزيارة" إلىٰ "القبر" فإنَّ المقصود هو الإمام عليه السّلام، كما جاء في عبارة: "لائذٌ عائذ بقبوركم".

إذن، فالزيارة ليست زيارة القبور، لأنّنا في الواقع نزور الأئمَّة الكرام لاقبورهم.

ولكن، ومع ذلك، نتطرّق لبحث "زيارة القبور" بنحو الإجمال.

بحثُ حول زيارة القبور

إنَّ زيارة قبور رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الهداة عليهم السّلام، وكذا قبور الشهداء والصالحين، كانت ولا زالت من أفضل الأعمال والعبادات.

(١) بحار الأنوار: ٢٩٥/٩٧.

(٢) سورة البقرة(٢): الآية ١٥٤.

وإنَّ هذا العمل يعدُّ عند المسلمين من الطاعات، وجرت سيرتهم عليه منذ صدر الإسلام، وعلىٰ هذا المعتقد كلُّ الفرق الإسلاميَّة إلىٰ يومنا هذا.

ولكن، ظهر في القرن الثامن الهجري، رجل إسمه عبدالحليم بن تيميَّة وقال بحرمة الذهاب إلىٰ زيارة قبر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

ولقد ردَّ كبار علماء أهل السنَّة المعاصرين له، ومن جاء بعدهم، رأيه هذا وأبطلوه، ولم يعتن المسلمون بفتواه، إلاّ عدَّة قليلة تابَعَتْهُ علىٰ ذلك.

وقد صدرت فتاوىٰ كثيرة لكبار علماء أهل السنَّة في الردّ علىٰ فتوىٰ إبن تيميَّة، وصُنِّفت كتب في ذلك، مثل كتاب "شفاء السقام في زيارة خير الأنام"، للحافظ تقيّ الدين السبكي، وهو من كبار علماء أهل السُنَّة، وكان معاصراً لإبن تيميَّة. وقد طبع هذا الكتاب طبعات عديدة، وهو كتاب جيِّد.

وقد إستدلَّ السبكيُّ في هذا الكتاب بروايات عديدة، وصحَّح أسانيدها، كما إستشهد بفتاوىٰ العلماء وآرائهم وبيَّن أنظارهم في شرح تلك الأحاديث.(١)

زيارة قبر الرسول في الروايات

وإليكم عدَّة أحاديث رواها أهل السنَّة بأسانيدهم عن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم في هذا الباب.

فمنها: قوله:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي».

---

(١) ذكرنا في كتاب "دراسات في منهاج السنَّة" أسماء العلماء الذين ردّوا علىٰ إبن تيميَّة، وناظروه مشافهة أو كتبوا كتباً في ردِّه، وكذا الّذين أفتوا بفتاوىٰ ضدَّه. ولمزيد من الإطّلاع راجع كتاب "دراسات في منهاج السنَّة": ٥٧٤-٥٨٥.

وهذا الحديث ـ في الحقيقة ـ أمرٌ بزيارة قبره الشّريف، ولو لا ترتّب الأثر على زيارة قبره لما أمر، مضافاً إلى أنه قد وعد الزائر لقبره بالشفاعة، ولا ريب أن كلّ الناس يرجون شفاعته.

وقد روىٰ هذا الحديث كلٌّ من: الدارقطني، والبيهقي، وجلال الدين السيوطي، والمتّقي الهندي في كنز العمّال. وآخرون.[١]

وفي حديث آخر أنّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«من جائني زائراً لا يعلم له حاجة إلاّ زيارتي، كان حقّاً عَليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»[٢]

رواه الطبراني في كتاب "المعجم الكبير"، وهو في مختصر تاريخ مدينة دمشق، والمواهب اللدنيَّة. وفي مصادر اُخرىٰ.[٣]

وفي حديث آخر عنه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«مَنْ حَجَّ فزار قبري بعد وفاتي كانَ كمَن زارَني في حياتي»[٤]

رواه الطبراني في المعجم الكبير، وهو في: سنن الدارقطني ومشكاة المصابيح، وكنز العمّال.

---

(١) شفاء السقام: ٦٠؛ سنن الدار قطني: ٢٤٤/٢، الحديث ٢٦٦٩؛ السنن الكبرىٰ، للبيهقي: ٢٤٥/٥؛ تفسير الدر المنثور: ٢٣٧/١؛ كنز العمّال: ٦٥١/١٥، الحديث ٤٢٥٨٣؛ مسند أبي داوود: ١٢؛ كشف الخفاء: ٢٥٠/٢، الحديث ٢٤٨٩؛ مجمع الزوائد: ٢/٤؛ الجامع الصغير: ٦٠٥/٢، الحديث ٨٧١٥؛ الكامل: ٣٥١/٦، الحديث ٢١٣؛ ميزان الإعتدال: ٢٢٦/٤، الحديث ٨٩٣٧؛ لسان الميزان: ١٣٥/٦.

(٢) وجاءت عبارة: "لا يعلم له" بصياغات متفاوتة في المصادر، منها "لا تعلمه"، "لم تنزعه"، "لاتعمله"، "لا تحمله"، "لا يعمده" و...

(٣) المعجم الكبير: ٢٢٥/١٢؛ مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٤٠٦/٢؛ المواهب اللدنيَّة: ٥٧١/٤.

(٤) شفاء السقام: ٨٩؛ المعجم الكبير ٣١٠/١٢، سنن الدارقطني: ٢٤٤/٢، الحديث ٢٦٦٧؛ السنن الكبرىٰ، للبيهقي: ٢٤٦/٥؛ الجامع الصغير: ٥٩٤/٢، الحديث ٨٦٢٨؛ كنز العمّال: ٦٥١/١٥، الحديث ٤٢٥٨٢؛ الكامل: ٣٨٢/٢.

الصحابة وتقبيل قبر النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم

هذا، ويتفرَّع علىٰ ذلك مسائل أُخرىٰ، من قبيل تقبيل الضريح المطهَّر، والتبرُّك و...، نشير إليها إشارة سريعة:

أخرج الحاكم النيشابوري في "المستدرك علىٰ الصحيحين" بسنده قال:

«أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وَجهَه (جبهته) علىٰ القبر، فأخذ برقبته، وقال: أتدري ما تصنع؟

قال: نعم.

فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب الأنصاري.

فقال: جئت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولم آت الحجر. سمعت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول: لا تبكوا علىٰ الدين إذا وليه أهله، ولكن إبكوا عليه إذا وليه غير أهله»

وبعد أن نقل الحاكم هذا الحديث، قال:

«حديث صحيح»

ووافقه الذهبي علىٰ ذلك.[1]

ولايخفى ما في هذا الأثر من دلالات!!

وعليه، فإنَّ هذا الأمر كان معروفاً ومرسوماً في صدر الإسلام عند الصحابة واستمرَّت سيرتهم عليه.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٥١٥/٤؛ مسند أحمد بن حنبل: ٤٢٢/٥؛ تأريخ مدينة دمشق: ٢٥/٥٧؛ مجمع الزوائد: ٢٤٥/٥؛ فيض القدير: ٥٠١/٦ و٥٠٢، الحديث ٩٧٢٨.

وقال "إبن حجر العسقلاني" في كتابه "فتح الباري":

«استنبط بعضهم من مشروعيّة تقبيل الأركان، جواز تقبيل كلّ ما يستحقّ التعظيم، من آدميّ وغيره.

فأمّا تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب، وأمّا غيره، فنقل عن الإمام أحمد أنّه سئل عن تقبيل منبر النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وتقبيل قبره، فلم ير به بأساً»(١)

ولا يخفىٰ، أنَّ إبن تيميَّة، حنبليُّ المذهب، وقد خالف إمامَه أحمد بن حنبل في مثل هذه الموارد.

ومن قضيّة مروان وأبي أيوب الأنصاري يظهر أن الأصل في المنع من زيارة قبر الرّسول هم بنو اميّة وليس غيرهم من الصّحابة، وإنما قصد ابن تيميّة تجديد ما أسّسه بنو أُميّة، فهذه القضيّة من جملة الشواهد على أن الرجل وأنّ الوهابيّة أتباع بني أُميّة.

روايات زيارة القبور

ثمَّ إنَّه قد وردت أحاديث كثيرة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في زيارة قبور المؤمنين، ومن ذلك ما رواه مسلم النيشابوري في صحيحه، عن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، إنَّه قال:

---

(١) فتح الباري: ٣٨٥/٣؛ نيل الأوطار: ١١٥/٥.

«كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها»[(١)]

وهذا الحديث في السنن الكبرىٰ للنسائي، وسنن الترمذي، وأخرجه الحاكم النيشابوري في المستدرك علىٰ الصحيحين.

وجاء في حديث عن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«ألا فزوروا القبور، فإنَّها تُزَهِّد في الدُّنيا وتُذَكِّر في الآخرة».[(٢)]

وبهذا المضمون أحاديث كثيرة، رواها: مسلم في الصحيح، وأحمد بن حنبل، وهي في صحيح إبن ماجة، والسنن الكبرىٰ للبيهقي، والمستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم النيشابوري، وغيرها من المصادر أيضاً.

زيارة القبور في أقوال العلماء

وجاء في كتاب "المرقاة في شرح المشكاة":

«الأمر فيها (يعني في زيارة القبور) للرخصة أو الإستحباب، وعليه الجمهور، بل إدّعىٰ بعضهم الإجماع، بل حَكىٰ إبن عبد البرّ عن بعضهم وجوبها»[(٣)]

---

(١) صحيح مسلم: ٦٥/٣؛ مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٥/٥؛ سنن إبن ماجة: ٥٠١/١، الحديث ١٥٧١؛ سنن الترمذي: ٢٥٩/٢؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣٧٤/١-٣٧٥؛ سنن أبي داوود: ٨٧/٢، الحديث ٣٢٣٥؛ السنن الكبرىٰ، للبيهقي: ٧٦/٤؛ مجمع الزوائد: ٥٨/٣؛ فتح الباري: ١١٨/٣؛ عمدة القاري: ٦٩/٨؛ مسند إبن جعدة: ٢٩٣؛ المصنف: ٢٣٣/٣؛ مسند إبن راهويه: ٢٤٥/١، الحديث ٢٠٥؛ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٨٤؛ السنن الكبرىٰ، النسائي: ٦٥٤/١، الحديث ٢١٥٩؛ مسند أبي يعلى: ٢٤٠/١؛ صحيح إبن حبّان: ٢٦١/٣ و....

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٥/٥؛ صحيح مسلم: ٦٥/٣؛ سنن إبن ماجة: ٥٠١/١؛ السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٧٧/٤؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣٧٥/١؛ المعجم الكبير: ٨٢/٥؛ فتح الباري: ١٣٦/٤؛ الجامع الصغير: ٢٩٧/٢، الحديث ٦٤٢٩.

(٣) المرقاة في شرح المشكاة: ٢٤٨/٤؛ تحفة الأحوذي: ١٣٥/٤.

وجاء في كتاب "التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول":

«الأمر للندب عند الجمهور والوجوب عند إبن حزم ولو مرَّة واحدة في العمر»[١]

لقد كانت قبور عظماء الدين موضع إحترام المسلمين جميعاً، فكان أهل كلِّ مذهب من المذاهب يزورون قبورعلمائهم وعظمائهم، ويبنون لهم مراقد وأضرحة، ويهتمّون بتشييدها وترميمها علىٰ مرِّ الزمان، ويتبرَّكون بها وينذرون ويقيمون المراسم تخليداً لهم.

ومن الواضح أنَّ قبور الأئمَّة عليهم السّلام تختلف عن سائر القبور، لأنَّ أئمَّتنا عليهم السّلام هم موضع إحترام كلِّ الأُمَّة الإسلاميَّة، وإنَّ آثار وبركات زيارتهم مسلَّمة ولا شكَّ فيها.

علماء أهل السنَّة وسيرة الزيارة

هذا، وكما أشرنا من قبل، فإنَّ زيارة قبور الأئمَّة عليهم السّلام والتوسّل بهم إلىٰ اللّه كان أمراً رائجاً، وهو إلىٰ الآن من السنن الجارية، وليس فقط الأئمَّة بل تزار أيضاً قبور أبناءهم وأحفادهم الصالحين.

وكمثال علىٰ ذلك، ما ذكره الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" في كلام له حول مزار الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام، فقد روى عن أحد كبار الحنابلة في زمانه وهو "أبوبكر الخلّال"، أنَّه قال:

---

(١) التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول: ٤١٨/١.

«ما همَّني أمرٌ فقصدت قبر موسىٰ بن جعفر عليهما السّلام فتوسّلت به إلاّ سهَّل اللّه لي ما أُحبُّ»(١)

وما ذكره الحافظ إبن حجر العسقلاني عن الحاكم النيشابوري.. قال:

«سمعت أبابكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسىٰ يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر إبن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعةٍ من مشايخنا -وهم إذ ذاك متوافرون- إلىٰ زيارة قبر علي بن موسىٰ الرضا عليهما السّلام بـ"طوس". قال: فرأيت من تعظيمه -يعني إبن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيَّرنا»(٢)

ويلاحظ إنَّ الحاكم النيشابوري وإبن حجر قد رويا زيارة كبار علمائهم لقبور أئمتّنا وتوسّلهم بهم، ولم ينقلا عن أحدٍ أيّ إيرادٍ على ذلك، وهو يؤكّد أنّ الكلّ على هذه العقيدة وعليه العمل عند الكلّ.

وإذا كان الآخرون يعتقدون بمثل هذا الإعتقاد بزيارة قبور الأئمَّة وبمقاماتهم عند اللّه، فنحن أولىٰ منهم بالإيمان والتمسّك بهذا المعتقد.

نظرة في بركات المشاهد المقدّسة

ثمَّ إنّا عندما نحضر مشاهد الأئمَّة عليهم السّلام ومراقدهم الطّاهرة تتغيَّر حالاتنا المعنويّة تغيُّراً إيجابيّاً ملموساً، فإنَّ الواحد منّا في المشاهد المقدَّسة، يلتزم، ولو لاإراديّاً، بالأحكام الشرعيَّة وليس بالواجبات وبترك المحرمّات فقط، وإنَّما حتّى المستحبّات والآداب، والأخلاق الإسلاميَّة.

(١) تأريخ بغداد: ١٣٣/١، يقول الذهبي عن أبيبكر الخلّال: «الإمام الفقيه المحدِّث المجوّد... وثَّقه الخطيب، وقال: توفي سنة ٣٧١: سير أعلام النبلاء: ٣٥٩/١٦.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٣٩/٧.

فنحن نجد هذا التغيُّر في أنفسنا وفي الآخرين، ونشعر به حقيقةً، ولا يمكن لأحدٍ إنكاره وهذا من جملة بركات الزيارة.

والأثر المعنوي الآخر للزيارة هو إنَّ الزائرين يكونون بصدر تعلّم مزيدٍ من المعارف الدينيّة والأحكام الشّرعيّة ويسألون من بعضهم البعض عن مزيد من الأعمال العباديَّة وما ينبغي أن يقوم به الزائر في هذا المشهد الشريف، توخّياً للثواب الأكثر، فهم في حالة التحقيق والتعلّم والسؤال عن أفضل الأعمال التي تقرّبهم إلىٰ اللّه تعالىٰ للقيام بها.

وقد اتّفق لكاتب هذه السطور مراراً وتكراراً أن سُئل من قبل الزائرين عن أفضل الأعمال وأكثرها ثواباً في هذه المشاهد.

نعم، إنَّ الشيعة، وبلطفٍ من اللّه، لا يوجد فيهم خُبث باطنيّ وشقاوة تمنعهم من التأثر بمعنويّات هذه المشاهد المقدَّسة.

إنَّ الشيعي، عندما يدخل حرم أمير المؤمنين أو حرم سيد الشهداء الحسين أو الإمام الرضا عليهم السّلام، يرىٰ نفسه في بحر من نور يغمر كلَّ جوارحه وجوانحه، فيخرج لا محالة نظيفاً طاهراً من كلِّ ما علق بروحه من أدران عالم الدنيا.

وما زال علماء الطّائفة يوصون الزائرين بحفظ هذه النورانيّة والطهارة المعنويَّة، وأنه متى ما أحسّوا بقلّتها أو ضعفها عليهم أن يبادروا إلىٰ زيارة أحد تلك المشاهد المقدَّسة للإستزادة من نورانيَّة مراقد أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام، حتّىٰ تصير مَلَكَةً فيهم مدىٰ الحياة.

فليس إعتباطاً كلُّ هذا التأكيد الَّذي ورد في كتب الشيعة والسنَّة علىٰ زيارة

رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، بل وحتّىٰ قبور المؤمنين، وقد كانت سيرة كلِّ المتشرّعة ولا زالت قائمة علىٰ ذلك.

ومن هذا المنطلق، فإنَّنا نزور الأئمَّة عليهم السّلام في حياتهم، ونزورهم في مراقدهم بعد إستشهادهم، ونلوذ بقبورهم، ونتوسّل بهم إلىٰ اللّه، فهذه الزيارات والتوسّلات في واقع الأمر هي لإيجاد حالة إرتباطٍ معنوي مع حضرات الأئمَّة عليهم السّلام، وبهذه الطريقة نتقرّب إلىٰ اللّه تعالىٰ.

لاَئِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ

اللائذون بقبور الأئمَّة

تختلف هذه العبارة عن سابقتها من جهتين:

الاولىٰ: في العبارة السابقة قلنا "زائرٌ" وهنا نقول "لائذ عائذ".

الثانية: في العبارة السابقة قلنا "زائر لكم" وهنا نقول "بقبوركم".

قال الراغب الإصفهاني في المفردات في غريب القرآن:

«عوذ: العوذ الإلتجاء إلىٰ الغير والتعلّق به، يقال: عاذ فلانٌ بفلان، ومنه قوله تعالىٰ:

﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾[١][٢]

وقال في "لوذ":

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً﴾[٣]

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٦٧.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٥٢.
(٣) سورة النور (٢٤): الآية ٦٣.

هو من قولهم: لاوذ بكذا يلاوذ لواذاً وملاوذة: إذا استتر به...»[١]

إذن، فهذان اللفظان متقاربان بالمعنىٰ والثاني أخص.

وعليه، فالإنسان يلوذ بقبر الإمام المعصوم عليه السّلام، لدفع خطرٍ أو طلب حاجةٍ أو نجاةٍ من بليّة.

ولابدَّ من التذكير هنا، بأنَّ الناس قبل الإسلام كانوا أيضاً يلوذون بقبور بعض العظماء، في الحوادث.

نماذج من التأريخ

ومن ذلك، قضيَّة الفرزدق الشاعر، فقد وقعت عداوة بين الفرزدق وأحد رجال العرب، و كان الحقّ مع الفرزدق، فخرج يطلبه، فالتجأ الرجل إلى قبر "غالب" والد الفرزدق، وكان شخصيَّة مرموقة، ولاذ به. فأرسل إليه الفرزدق يؤمِّنه وأعلن العفو عنه بلا قيد أو شرط.[٢]

وكان رجل مع الحجّاج في حربه ضدّ عبد اللّه بن الزبير، ولمّا إلتجأ إبن الزبير إلى الحرم، ورمىٰ الحجّاج الكعبة بالمنجنيق، إعترض عليه ذلك الرجل وهجاه بشعرٍ له وعاد إلىٰ الشام.

فكتب الحجّاج إلىٰ عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب عبد الملك بأنَّ الرجل قد لاذَ بقبر مروان بن الحكم، ولا سبيل لي إليه، فاتركه وشأنه.[٣]

وذكر إبن أعثم في الفتوح، في أحوال الكميت الشاعر، في قصَّة غضب

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٥٦.

(٢) راجع كتاب: طبقات فحول الشعراء، لإبن سلام الجمحي: ٣١٢/٢.

(٣) الأعلام، للزركلي: ٦/٢.

هشام ابن عبد الملك عليه وأمره بقتله: أن الكميت التجأ إلىٰ قبر معاوية بن هشام ولاذ به، ولما وصل خبره إلىٰ هشام عفىٰ عنه، فخرج من الشام.[١]

نعم، وفي الكتب المؤلَّفة في أحوال الأئمَّة عليهم السّلام، أخبار كثيرة في إلتجاء الناس بهم في حياتهم وبقبورهم بعد إستشهادهم.

هذا، وعن الإمام الصّادق عليه السّلام في حديث طويل:

«نَحنُ كَهْفٌ لِمَنْ إلتجَأَ إلَينا»[٢]

وعن الباقر أنَّه قال في أهل البيت عليهم السّلام:

«هُم أمنٌ لِمَنْ إلتجأَ إلَيهم وأمانٌ لِمَنْ تمسَّكَ بهم»[٣]

وعنه عليه السَّلام أيضاً، قال:

«أيُّها الناس إنَّ أهْلَ بيت نَبِيِّكُمْ شرَّفهم اللّه بكرامته... وعصمة لمن لجأ إليهم وأمنٌ لِمَنْ إستجارَ بهم»[٤]

وجاء في الأخبار: أنَّ رجلاً في زمن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد إرتكب خطيئةً، فالتجأ إلىٰ الحسنين عليهما السّلام ولاذ بهما، فعفىٰ عنه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

ولمّا قُتِل طلحة والزبير في حرب الجمل، أُسر إبن طلحة، فلاذ بالحسنين عليهما السّلام، فعفىٰ عنه أمير المؤمنين عليه السّلام وأطلق سراحه.

وفي الكافي، في خبر:

---

(١) كتاب الفتوح لابن الأعثم: ٢٧٤/٨.

(٢) الخرائج والجرائح: ٧٤٥/٢؛ بحار الأنوار: ٤٤/٦٩، في ذيل الحديث ٥٣؛ رجال الكشّي: ٤٤٨.

(٣) اليقين: ٣١٩؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٢٣، ذيل الحديث ١٦.

(٤) تفسير فرات: ٣٣٧-٣٣٨، الحديث ٤٦٥؛ بحار الأنوار: ٢٥٥/٢٦، الحديث ٣٥.

«لِموضع قبر الحسين عليه السّلام حرمةٌ معلومة من عرفها وإستجار بها أُجير»[١]

لواذ الحيوانات

بل لقد استجار الحيوانات بالأئمّة عليهم السّلام فأُجيرت:

ففي الخبر: أنَّ الإمام الرضا عليه السّلام كان جالساً ذات يوم وعنده أصحابه، فجاء عصفور وأكثر من الوصوصة عند الإمام عليه السّلام، فأمر أحد أصحابه بأن يأخذ شيئاً ويذهب إلىٰ عشٍّ هذا العصفور ويقتل حيَّة اقتربت من عُشّه، فإنَّه إلتجأ إليه.[٢]

وعن جابر الجعفي إنَّه كان مع الإمام الباقر عليه السّلام في طريق الحجّ، فجاء حيوانٌ وإقترب من محمل الإمام وقال شيئاً.

قال جابر: مددت يدي لأمسك الحيوان، فمنعني الإمام الباقر وقال:

«يا جابر، فإنَّه إستجار بنا أهل البيت.»[٣]

وفي رواية أُخرىٰ، أنَّ ظبياً إقترب من الإمام الصادق عليه السّلام وقال له شيئاً، فقال الإمام:

«أفعل إنْ شاء اللّه»

فلمّا إنصرف الظبي، قال عليه السّلام:

(١) الكافي: ٤/٥٨٨، الحديث ٦؛ بحار الأنوار: ٩٨/١١٠، الحديث ١٩.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٦٥، الحديث ١٩؛ مناقب آل أبي طالب: ٣/٤٤٧؛ وسائل الشيعة: ١١/٥٣٧، الحديث ١٥٤٧٧؛ بحار الأنوار: ٤٩/٨٨، الحديث ٨.

(٣) الخرائج والجرائح: ٢/٦٥٤، الحديث ١٢؛ بحار الأنوار: ٤٦/٢٤٨، الحديث ٣٨.

«إستجار بي الظبي وأخبرني أنَّ بعض من يصيد الظباء بالمدينة صاد زوجته»[١]

الإلتجاء بالحرم وحكمه الشرعي

هذا، وفي الفقه في كتاب الحدود أنَّه لو ارتكب جرماً خارج الحرم، فدخل الحرم لائذاً، وجب الصبر عليه حتّىٰ يخرج.[٢]

وفي الفقهاء من أجرىٰ هذا الحكم بالنسبة إلىٰ العائذ بقبر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقبور الأئمّة عليهم السّلام.

قال الشيخ المفيد رحمه اللّه في كتاب "المقنعة":

«ولا تقامُ الحدود في المساجد ولا في مشاهد الأئمّة عليهم السّلام. ومن فعل في المساجد أو المشاهد ما يوجب إقامة الحدِّ عليه، أُقيم عليه الحدُّ خارجاً منه ولم تقم عليه الحدود فيها»[٣]

وكذا قال الشيخ الطوسي رحمه اللّه في النهاية.[٤]

وقال القاضي ابن البرّاج، في كتابه "المهذَّب":

«وإذا إلتجأ إلىٰ حرم اللّه أو حرم رسوله أو أحد الأئمّة عليهم السّلام لم يُقم الحدُّ عليه فيه»[٥]

(١) الخرائج والجرائح: ٢٩٩/١، الحديث ٥؛ بحارالأنوار: ١١٢/٤٧، الحديث ١٤٩.
(٢) شرح اللمعة الدمشقيَّة: ٣٢٢/٢.
(٣) المقنعة: ٧٨٣.
(٤) النهاية: ٧٠٢.
(٥) المهذَّب: ٥٢٩/٢.

وقال إبن إدريس في السرائر:

وإذا إلتجأ إلىٰ حرم اللّه سبحانه أو حرم رسوله أو أحد الأئمَّة عليهم السّلام لم يُقَم عليه الحدُّ فيه»[١]

مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ

الإستشفاع بالأئمَّة

أي: فمتىٰ ما إحتجنا إلىٰ السؤال من اللّه في أمر من الأُمور، جعلناكم شفعاءَ لنا إليه في ذلك الأمر، ولمّا كان إحتياجنا إلىٰ اللّه دائمياً وفي كلِّ الأمور، فإنَّنا بحاجة إلىٰ شفاعتكم في كلِّ الأمور وعلىٰ الدوام.

ولكنَّ أهمّ الأُمور هو "القرب من اللّه"، ولابدَّ للوصول إلىٰ القرب منه تعالىٰ من سبب وهادٍ، ولابدَّ أن يكون هذا الهادي قريباً من اللّه، وليس في عالم الوجود أقرب إلىٰ اللّه من محمَّدٍ وآل محمّد عليهم السّلام.

إذن، فنحن في إحتياجاتنا الماديَّة والمعنويَّة وسائر أحوالنا محتاجون إلىٰ شفاعة أهل البيت عليهم السّلام.

بحثٌ حول الشفاعة

ثم إنَّ الإيمان بشفاعة رسول اللّه والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، ليس مختصّاً بالشيعة، بل هو حقيقة ثابتة عند كلِّ المسلمين.

وهذا الإعتقاد الثابت، له جذور قرآنيَّة وروائيَّة قطعيَّة.

---

(١) السرائر في الفقه: ٣/٤٥٧.

ما هي الشفاعة؟

قال الراغب الإصفهاني في معنىٰ الشفاعة في كتابه "المفردات في غريب القرآن":

«الشفعُ ضمُّ الشيءِ إلىٰ مِثلِه»(١)

ففي نافلة اللّيل، عندنا صلاة الوتر، وعندنا صلاة الشفع، والوتر هي الركعة الواحدة، ويقال للركعتين الأخيرتين من صلاة الليل "الشفع"، فهما ركعتان مضمومتان إلىٰ بعضهما البعض وتشكّلان صلاةً واحدة.

وفي الفقه "كتاب الشفعة" وهي حقّ الشريك في شراء حصَّة شريكه إذا ما أراد بيعها، فالشريك أولىٰ من غيره بهذا الشيء وضمّه إلىٰ حصَّته.(٢)

ومن ثمَّ قال الراغب الإصفهاني:

«الشفاعة، الإنضمام إلىٰ آخر ناصراً له وسائلاً عنْه، وأكثر ما يُستعمل في إنضمام من هو أعلىٰ حرمةً ومرتبةً إلىٰ من هو أدنىٰ»(٣)

فلكي يصل من هو أدنىٰ رتبةً إلىٰ مطلبه وغرضه، ينضمُّ إلىٰ من هو أعلىٰ رتبة منه، فيقال للأعلىٰ إنَّه شفيعٌ لفلان.

والمراد من الشفاعة في القرآن الكريم والروايات وكلمات العلماء، هو نفس هذا المعنىٰ العرفي اللغوي، وليس في البين إصطلاح خاص.

والسيرة الجارية عند العقلاء أنّهم يستشفعون في قضاء حوائجهم و تمشية

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣.

(٢) راجع كتاب شرح اللمعة الدمشقيَّة: ١٤٧، كتاب الشفعة.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣.

أمورهم بمن له وجاهة عند من بيده الأمر، وكذا حالهم مع اللّه عزّوجلّ، خاصّةً وأنّهم ينظرون إلىٰ ذنوبهم وخطاياهم وحقارتهم، ومن جهة أخرىٰ، ينظرون إلىٰ عظمة اللّه وجلاله وكبريائه، ومن جهة ثالثة، يرون شدّة العذاب المعدّ للأشقياء، فلا يرون في أنفسهم الأهليّة واللّياقة للرّجاء والسؤال وطلب العفو، إلاّ بالإستشفاع إليه بالمقرّبين منه.

وقد أجمعت الأُمَّة الإسلاميَّة بأسرها علىٰ أن لا أقرب إلىٰ اللّه من محمّد والأئمَّة الأطهار عليهم الصلاة والسّلام جميعاً.

ثمَّ إنَّ هناك مقامات ومنازل نصَّ القرآن في كلّ واحدٍ منها علىٰ أنَّها للّه جميعاً، ونحن نذكرها بإيجاز:

الولاية للّه جميعاً

فمنها: "مقام الولاية"، وهذا المقام في الأصل هو للّه تعالىٰ، لأنّه الخالق للوجود، ومالك كلِّ الموجودات، وإليه يعود تدبير كلِّ أُمورها، يقول تعالىٰ:

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾[1]

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]

إذن، فالأمر بيد اللّه تعالىٰ، ثمَّ يقع البحث عن أنّه هل إنَّ اللّه عزّوجل قد

(١) سورة الرعد (١٣): الآية ٣١.
(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٧.

أعطىٰ هذا المقام لأحد من خلقه، وإذن له بالتصرّف في الوجود أو في شؤون الأشخاص أو غير ذلك؟

وإنْ كان قد فعل ذلك:

فلمن أذن؟

وما هي حدود ذلك الإذن؟

العزَّة للّه جميعاً

ومنها: مقامُ العزَّة، بنحو الإطلاق، فإنَّه ملكٌ للّه تعالىٰ أيضاً، يقول عزَّوجل:

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾(١)

فكلُّ من له عزَّة في هذا الوجود، فعزّته من اللّه تعالىٰ. ولكنَّ السؤآل هنا هو: هل إنَّ اللّه تعالىٰ أعطىٰ من تلك العزَّة الإلهيَّة، المعنويَّة والحقيقيَّة، لأحدٍ من الخلق أم لا؟

القدرة للّه جميعاً

ومنها: مقام القدرة والقوَّة، وهو للّه تعالىٰ بنحو الإطلاق. يقول القرآن الكريم:

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾(٢)

فكلُّ من له قدرة وبأيِّ مقدارٍ وحدٍّ، فهي شعبةٌ من قدرة اللّه المطلقة في الوجود التي ليست إلّا لله عزّوجلّ.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ١٣٩.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ١٦٥.

علم الغيب للّه

ومنها: مقام العلم بالغيب، وهو خاصٌّ باللّه تعالىٰ في الأصل. يقول القرآن الكريم:

﴿قُلْ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّٰهُ﴾ (١)

فعلم الغيب للّه تعالىٰ، ثمَّ هل إنَّ اللّه تعالىٰ أطلع عليه أحداً من خلقه؟ وإذا كان قد أطلع عليه أحداً، فمن هو؟

الشفاعة للّه جميعاً

ونصّ القرآن الكريم علىٰ أنَّ الشفاعة جميعاً للّه، قال عزّوجلّ:

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ أَوَ لَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لاَ يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢)

لكنَّ في نفس الوقت، ينصّ علىٰ أنَّ اللّه عزّوجلّ قد أعطىٰ مقام الشفاعة للنبيّ الأكرم، و جعل له:

المقام المحمود للنّبي

حيث قال في كتابه المجيد:

﴿وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نٰافِلَةً لَكَ عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً﴾ (٣)

فالباري عزّوجل قد أمر نبيّه الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بنافلة الليل.

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ٦٥.

(٢) سورة الزمر (٣): الآية ٤٣-٤٤.

(٣) سورة الإسراء (١٧): الآية ٧٩.

وقد فُسِّر المقامُ المحمودُ الذي وعدْ به في الآية الكريمة بالشفاعة، كما في الروايات الواردة عند الفريقين.

ففي الحديثُ في ذيل هذه الآية المباركة، إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لعليٍّ عليه السّلام:

«يا عليّ إنَّ ربِّي عزَّوجل ملَّكني الشفاعة في أهل التوحيد من أُمَّتي، وحَظر ذلك عمَّن ناصَبَك أو ناصَبَ وُلدك من بعدك»[١]

وجاء في رواية أُخرىٰ: إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال في تفسير هذه الآية:

«المقامُ الّذي أشفع فيه لأُمَّتي»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السّلام، إنَّه سُئل عن المَقام المحمود فقال:

«هي الشفاعة»[٣]

وجاء في تفسير "كنز الدقائق" في ذيل الآية المباركة، عن الإمام الكاظم عليه السّلام قال:

---

(١) أمالي الشيخ الطوسى: ٤٥٥، الحديث ١٠١٧؛ كشف الغمّة: ٢٨/٢؛ تفسير نور الثقلين: ٢٠٧/٢، الحديث ٣٩٧.

(٢) روضة الواعظين: ٥٠٠؛ كنز الدقائق: ٥٩٣/٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ٤٤١/٢؛ عمدة القاري: ١٢٣/٥؛ تحفة الأحوذي: ٤٥٤/٨؛ تفسير جامع البيان: ١٨٢/١٥، الحديث ١٧٠٧٥؛ تفسير نور الثقلين: ٢٠٨/٣، الحديث ٣٩٩.

(٣) تفسير العياشي: ٣١٤/٢، الحديث ١٤٨؛ بحار الأنوار: ٤٨/٨، الحديث ٤٩؛ تفسير نور الثقلين: ٢١١/٣، الحديث ٤٠٢؛ تفسير كنز الدقائق: ٥٩٦/٥، تحفة الأحوذي: ٤٥٤/٨؛ تفسير القرطبي: ٣٠٩/١٠؛ تفسير إبن كثير: ٦٢/٣؛ الإتقان في علوم القرآن: ٥٢٠/٢ ق الحديث ٦٥٤٥.

«يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً، وتؤمر الشمس فتركب علىٰ رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، وتؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً، فيأتون آدم فيتشفّعون منه، فيدلّهم علىٰ نوح، ويدلّهم نوح علىٰ إبراهيم، ويدلّهم إبراهيم علىٰ موسىٰ، ويدلّهم موسىٰ علىٰ عيسىٰ، ويدلّهم عيسىٰ علىٰ محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فيقول: عليكم بمحمّد خاتم النبيّين، فيقول محمَّد: أنا لها.

فينطلق حتّىٰ يأتي باب الجنَّة فيدق، فيقال له: من هذا واللّه أعلم؟

فيقول: محمّد.

فيقال: افتحوا به.

فإذا فتح الباب استقبل ربّه فيخرّ ساجداً، فلا يرفع رأسه حتّىٰ يقال له: تكلّم وسل تعط واشفع تشفع.

فيرفع رأسه، فيستقبل ربّه فيخرّ ساجداً.

فيقال له مثلها.

فيرفع رأسه حتّىٰ أنّه ليشفع من قد أحرق بالنار.

فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأُمم أوجه من محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وهو قول اللّه تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامَاً مَحْمُوداً﴾»[١]

وأمَّا أهل السنَّة، فقد روىٰ جلال الدين السيوطي في تفسير "الدر المنثور" عن سعيد بن منصور والبخاري وإبن جرير و وإبن مردويه: إنَّ عبد اللّه بن عمر قال:

---

(١) أمالي الطوسي: ٣١٥/٢، الحديث ١٥١؛ بحار الأنوار: ٤٨/٨، الحديث ٥٢-٥٣؛ تفسير كنز الدقائق: ٢٥١/٦-٢٥٧.

«إنَّ الناسَ يصيرون يوم القيامة جثاء كلّ امّة تتبع نبيّها يقولون: يا فلان! إشفع لنا، حتّىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

فذلك يوم يبعثه اللّه المقام المحمود»(١)

ومن هذا المنطلق، فإنَّ الأنبياء السابقين والأُمم الماضية، محتاجون إلىٰ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

وروىٰ أحمد بن حنبل والترمذي وإبن جرير وإبن أبي حاتم وإبن مردويه: إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله سُئل عن هذه الآية، فأجاب:

«هو المَقامُ الَّذي أشفع فيه لأُمَّتي»(٢)

ولإبن جرير والبيهقي و جماعة: إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«المقام المحمود الشفاعة»(٣)

وعن إبن عباس، إنَّه سُئِلَ عن المقام المحمود فقال:

«مقامُ الشفاعة»(٤)

وعن سعد بن أبي وقّاص: سُئل النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن المقام المحمود فقال:

«هو الشفاعة»(٥)

---

(١) تفسير الدرّ المنثور: ١٩٧/٤؛ تفسير إبن كثير: ٥٩/٣؛ صحيح البخاري: ٢٢٨/٥؛ عمدة القاري: ٣٠/١٩، الحديث ٨١٧٤؛ السنن الكبرىٰ للنسائي: ٣٨١/٦، الحديث ١١٢٩٥.

(٢) الدرالمنثور ٤ / ١٩٧؛ جامع البيان: ١٨٢/١٥، الحديث ١٧٠٧٥.

(٣) الدرالمنثور ٤ / ١٩٧؛ مسند أحمد بن حنبل: ٤٧٨/٢؛ فتح الباري: ٣٦٨/١١؛ عمدة القاري: ١٢٣/٢٣؛ تفسير الآلوسي: ١٤١/١٥.

(٤) الدرالمنثور ٤ / ١٩٧؛ تفسير جامع البيان: ١٨٠/١٥، الحديث ١٧٠٦٢؛ تفسير إبن كثير: ٥٨/٣.

(٥) الدر المنثور ٤ / ١٩٧؛ تفسير الآلوسي: ١٤١/١٥.

وعلىٰ هذا، فإنّ الشفاعة مقامٌ ومرتبةٌ هي بالدرجة الأُولىٰ وفي الأصل للّـه تعالىٰ، ولكنّ اللّه عزّوجل قد أعطىٰ هذه المرتبة لرسوله الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، بنحو يحتاج إلىٰ شفاعته كلُّ الأنبياء الماضين والأُمم السابقة.

والقرآن الكريم يعبِّر عن هذا الإعطاء بثلاثة عبارات:

١- التعبير بالملك.

٢- التعبير بالرضا، أي رضا اللّه تعالىٰ.

٣- التعبير بالإذن.

لاشكّ أنّ اللّه تعالىٰ يُعطي ما يشاء من القدرة، العلم، الثروة، وغير ذلك لمن يشاء من عباده، ويمنعها عمَّن يشاء.

فاللّه تعالىٰ، هو المالك، وكلُّ الأُمور بيده، كما يقول عزَّ من قائل:

﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مٰالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ﴾[١]

ويقول في الشفاعة:

﴿وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَرْضىٰ﴾[٢]

وبطبيعة الحال، فإنّ اللّه تعالىٰ إذا أعطىٰ نعمةً، ومقاماً، وأيَّ شيء ماديّ أو معنويّ، فإنّما يعطيه علىٰ أساس ضوابط معيَّنة، وبإعتبار وجود لياقة وإستعدادٍ عند المتلقي لذلك.

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٢٦.

(٢) سورة النجم (٥٣): الآية ٢٦.

وممّا سبق نستنتج:

١- إنَّ الشفاعة ليست إكتسابيَّة، بل هي مقام إعطائي.

٢- إنَّ إثبات مقام الشفاعة لأحدٍ من الخلق يحتاج إلىٰ الدليل وإلاّ فالأصل عدمه.

٣- والدليل هو الكتاب أو السنَّة.

ونحن نقرأ في القرآن المجيد قوله تعالىٰ:

﴿ وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ ﴾[1]

وقد فسِّرت هذه الآية الشريفة بالشفاعة، وهي صريحة بأنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أُعطي هذا المقام الكريم.

ومن جملة الأدلَّة علىٰ الشفاعة، قوله تعالىٰ:

﴿ لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً ﴾[2]

وفي آية أُخرىٰ يقول عزَّوجل:

﴿ وَ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفٰاعَةُ عِنْدَهُ إِلاّٰ لِمَنْ أَذِنَ لَه ﴾[3]

وفي تعبير ثالث، يقول عزَّوجل:

﴿ وَ لاٰ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4]

وفي آية أُخرىٰ:

---

(١) سورة الضحىٰ (٩٣) : الآية ٥.

(٢) سورة مريم (١٩) : الآية ٨٧.

(٣) سورة سبأ (٣٤) : الآية ٢٣.

(٤) سورة الزخرف (٤٣) : الآية ٨٦.

﴿يَوْمَئِذٍ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾(١)

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمٰا خَلْفَهُمْ وَلاٰ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّٰ بِمٰا شٰاءَ﴾(٢)

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله هو علىٰ رأس كلِّ الشفعاء، واللّه تعالىٰ قد أعطاه هذا المقام العظيم.

وقد وضع العلّامة المجلسي رحمه اللّه في "بحار الأنوار" باباً بعنوان "باب الشفاعة"، وذكر فيه روايات كثيرة حول الشفاعة(٣) نذكر طرفاً منها:

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه و آله:

«مَنْ لَمْ يؤمنْ بشفاعتي فلا أنالَهُ اللّه شفاعَتي»(٤)

دلَّت هذه الرواية علىٰ أنَّ من جملة شروط نيل الشفاعة، الإيمان بالشفاعة.

وعن الإمام الصادق عليه السّلام، إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إذا قمتُ المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني اللّه فيهم، واللّه لا تشفعت فيمن آذىٰ ذريَّتي»(٥)

فمن هذه الرواية نفهم:

أوّلاً: أن الشفاعة في أصحاب الكبائر من هذه الأمّة. من اُمَّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وإنَّ اللّه تعالىٰ قد شفَّع النبيّ الأكرم في أصحاب الكبائر من اُمّته.

---

(١) سورة طه (٢٠): الآية ١٠٩.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢٩/٨. وذكر في هذا الباب ٨٦ رواية في الشفاعة.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١٢٥/٢، الحديث ٣٥؛ بحار الأنوار: ٣٤/٨، الحديث ٤.

(٥) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٣٧٠، الحديث ٤٦٢؛ بحار الأنوار: ٣٧/٨، الحديث ١٢.

ثانياً: أنه يشترط أنْ لايكون ممّن آذىٰ ذريّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فإنَّ من آذىٰ ذريّته لا تناله شفاعة جدّهم.

وعن الإمام الباقر عليه السّلام، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«مَن أراد التوسّل إليَّ وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة، فليَصِلْ أهل بيتي ويُدخل السّرور عليهم»(١)

إذن، فمن لم يؤذِ أهل البيت، بل وَصَلهم، كان له كفلٌ أكبر من الشفاعة في يوم القيامة.

وفي حديث آخر أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«لكلِّ نبيّ دَعوة دعا بها وقد سأل سؤالاً، وقد خبّأت دعوتي لشفاعتي لأُمّتي يوم القيامة»(٢)

وفي حديث قال:

«أُعطيتُ خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرّعب، وأحلّ لي في المغنم، وأُعطيت جوامع الكلم، وأُعطيت الشّفاعة»(٣)

شفاعة القرآن و العترة

والشافع الآخر هو القرآن الكريم.

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام، كما في نهج البلاغة:

---

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٤٦٢، الحديث ٦١٥؛ بحار الأنوار: ٢٢٧/٢٦، الحديث ١.

(٢) الخصال: ٢٩، الحديث ١٠٣؛ بحار الأنوار: ٣٤/٨، الحديث ١.

(٣) الخصال: ٢٩٢، الحديث ٥٦؛ نفس المصدر: ٣٨/٨، الحديث ١٧.

«وإعلموا أنَّه شافع مشفَّع وقائل مصدّق، وأنَّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه»(١)

والشافع الآخر هم أهلُ البيت عليهم السّلام وشيعتهم.

ففي رواية عنه عليه السّلام قال:

«لنا شفاعة ولأهل مودَّتنا شفاعة»(٢)

فالمستفاد من هذه الروايات هو إنَّ النبيّ الأكرم، الأئمَّة المعصومين عليهم السّلام، القرآن الكريم وأهل المودَّة لأهل البيت، هم الشفعاء في يوم القيامة.

وقد وردت في شفاعة شيعة أهل البيت عليهم السّلام، رواية من طرق الفريقين، وهي عن أمير المؤمنين عليه السّلام وقد إحتجَّ بها علىٰ الصحابة، فقال:

«فهل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: إنَّ من شيعتك رجلاً يدخل في شفاعته الجنَّة مثل ربيعة ومضر، غيري؟

قالوا: لا»(٣)

فأقرَّ أُولئك الصحابة بأنَّ هذا المقام خاصٌّ بأمير المؤمنين عليه السّلام.

وقال الإمام الصادق عليه السّلام:

«مَنْ أنكر ثلاثَة أَشياء فليس من شيعتنا: المعراج والمسائلة في القبر والشفاعة»(٤)

---

(١) نهج البلاغة: ٩٢/٢، الخطبة ١٧٦؛ بحار الأنوار: ٢٤/٨٩، الحديث ٢٤.

(٢) الخصال: ٦٢٤؛ بحار الأنوار: ٣٤/٨، ذيل الحديث ٣.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: في ضمن الحديث المناشدة: ١١٦٧؛ بحار الأنوار: ٣٨٥/٣١، الحديث رقم ٢٤.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ٣٧٥، الحديث ٤٦٤؛ بحار الأنوار: ٣٧/٨، الحديث ١٣.

وفي الكافي عن سماعة بن مهران إنَّه كان جالساً عند الإمام الكاظم عليه السّلام عند الكعبة فقال له:

«يا سماعة! إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين اللّه عزَّوجل، حَتَمنا علىٰ اللّه في تركه لنا، فأجابنا إلىٰ ذلك، وما كان بينهم وبين الناس، استوهبناه منهم وأجابوا إلىٰ ذلك وعوّضهم اللّه عزَّوجل»[١]

وخلاصة الكلام في المقام: إنَّ كلَّ من عنده وجاهة وحرمة وكرامة على اللّه تعالىٰ فإنَّه سيشفع في يوم القيامة مستفيداً من مقامه عند اللّه، وهذا أمرٌ ثابتٌ ومسلَّمٌ دلّ عليه الكتاب والسُنَّة، وليس بين المسلمين فيه خلاف.

الشفاعة في منظار علماء الشِّيعة

وهذه كلماتٌ لعلمائنا الكبار في الشّفاعة:

قال الشيخ الصّدوق رحمه اللّه في كتاب الإعتقادات:

«إعتقادنا في الشفاعة أنَّها لمن ارتضىٰ اللّه دينه من أهل الكبائر والصغائر... والشفاعة لا تكون لأهل الشكّ والشرك ولا لأهل الكفر والجحود»[٢]

وقال الشيخ المفيد رحمه اللّه:

«إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يشفع يوم القيامة في مذنبي أمّته من الشيعة خاصَّة، فيشفّعه اللّه عزَّوجل، ويشفّع أمير المؤمنين عليه السّلام في عصاة

(١) الكافي: ٨/١٦٢، الحديث ١٦٧؛ بحار الأنوار: ٨/٥٧، الحديث ٧١.
(٢) الإعتقادات في دين الإماميَّة: ٦٦، باب ٢١.

شيعته فيشفّعه اللّه عزّوجل، وتشفع الأئمَّة عليهم السّلام في مثل ما ذكرناه من شيعتهم، فيشفّعهم، ويشفع المؤمن البرّ لصديقه المؤمن المذنب، فتنفعه شفاعته ويشفّعه اللّه. وعلىٰ هذا القول إجماع الإماميّة إلاّ من شذّ منهم، وقد نطق به القرآن وتظاهرت به الأخبار.»[١]

وقال الشيخ الطوسي رحمه اللّه في "التبيان":

«قوله تعالىٰ:

﴿وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ وإنْ كان علىٰ لفظ العموم، فالمراد به الخصوص بلا خلاف، لأنَّ عندنا قد تكون شفاعة في إسقاط الضرر... فقد أجمعنا علىٰ ثبوت الشفاعة وإنَّما ننفي نحن الشفاعة قطعاً عن الكفّار.»[٢]

ولا يخفىٰ إنَّ قوله "عندنا" ظاهر في إجماع الطّائفة المحقّة.

وقال الطبرسي في مجمع البيان:

«و هي ثابتَة عندنا للنبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ولأصحابه المنتجبين والأئمَّة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين، وينجّي اللّه تعالىٰ بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، ويؤيّده الخبر الّذي تلقّته الأمَّة بالقبول، وهو قوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله "إدّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي"»[٣]

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي:

«الإجماع علىٰ الشفاعة»[٤]

---

(١) أوائل المقالات: ٧٩ و٨٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢/٣٠٦.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١/٢٠١ و٢٠٢.

(٤) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ٤٤٣.

وقال العلّامة الحلّي رحمه اللّه في شرح التجريد:

«إتّفق العلماء على ثبوت الشفاعة للنبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم»[١]

وقال الفاضل المقداد رحمه اللّه وهو من كبار فقهاء ومتكلّمي الشيعة:

«ثمّ إعلم إنَّ صاحب الكبيرة إنَّما يعاقَب إذا لم يحصل له أحد الأمرين:

الأوَّل: عفو اللّه مرجوّ متوقّع...

الثاني: شفاعة نبيّنا صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؛ فإنَّ شفاعته متوقّعة بل واقعة لقوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٢] وصاحب الكبيرة مؤمن لتصديقه باللّه ورسوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وإقراره بما جاء به النبي. وذلك هو الإيمان....

واعلم أنّ مذهبنا أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام لهم الشفاعة في عصاة شيعتهم، كما هو لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من غير فرق، لإخبارهم عليهم السّلام بذلك مع عصمتهم النافية للكذب عنهم»[٣]

وقال الفيض الكاشاني رحمه اللّه في هذا السّياق:

«الشّفاعة حق والحوض حق...

قال النبي: "من لم يؤمن بحوضي فلا أورده اللّه حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله اللّه شفاعتي"

ثمَّ قال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: "إنَّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل»

---

(١) نفس المصدر.

(٢) سورة محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله (٤٧): الآية ١٩.

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ١٢٤-١٢٦.

وقال المجلسي:

لا خلاف فيها بين المسلمين بأنَّها من ضروريات الدين.[١]

هذا، وكذلك صرَّح علماء أهل السنَّة، ففي كتاب العقائد النسفيَّة مثلاً:

الشفاعة ثابتة للرسل و الأخيار في حقّ الكبائر، مستفيض من الأخبار.[٢]

ولا ريب أنَّ أهل البيت عليهم السَّلام هم سادات الأخيار علىٰ الإطلاق.

وحاصل الكلام، هو إنَّ شفاعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة المعصومين عليهم السّلام، أمرٌ قطعي وثابت، ولكنَّه مقيَّدٌ بضوابط، منها إنَّه خاصّ بالمؤمنين، وهي بابٌ للمغفرة والرحمة الإلهيَّة.

وبالنّظر إلى ما تقدّم، ولن يكون هذا الأمر باعثاً علىٰ التجرّي والتمادي في المعصية، لأنَّ المؤمن سيكون بين الرجاء والخوف، فحكم الشفاعة في الشريعة، من وجهة نظر القرآن والسُنَّة، هو حكم التوبة.

من لا تناله الشفاعة

وقد ظهر ممّا ذكرنا: أنَّ الآيات النّافية للشّفاعة أو الواردة في عدم نفعها، مختصَّة بالّذين لا يرتضي اللّه بالشفاعة لهم، كما قال سبحانه:

﴿وَلاَ يَشفَعُون إلاّ لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾[٣]

وقد ورد في الروايات عن الأئمة الأطهار عليهم السّلام وكلمات العلماء

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩/٨-٦٣.

(٢) شرح العقائد النسفيَّة: ١٤٨.

(٣) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٢٨.

تفسير قوله تعالى ﴿إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[١] بمن كان دينه مرضيّاً عندالله عزّوجلّ، وهو قوله ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً﴾[٢]

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ هذه الآية الشريفة قد نزلت في يوم الغدير، ولا شكَّ في أنَّ رضا الله سبحانه وتعالى مرتبط ومنوط بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام.

إذن، فالشفاعة لا تشمل غير المؤمنين، بدليل إنَّه إذا كان الإنسان ديّناً، أي مؤمناً باللّه، وبالرّسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وبالقيامة، وبما جاء به الرسول من عند اللّه في أُصول الدين وفروعه، فإنَّه حينئذٍ معتقد بكلِّ أبعاد الدين الإلهيّ، ومعتقد بإستحقاق العقاب على المعصية، فمثل هذا الإنسان لن يتمرّد علىٰ الأوامر الإلهيَّة، ولن يستكبر علىٰ أحكام الشريعة.

نعم، إذا إرتكب المؤمن ذنباً، فإنَّه سيكون بإغواء الشيطان والنفس الأمّارة، فيقع تحت تأثير هذه القوىٰ الشيطانيَّة.

وأمّا المكذِّب باللّه ورسوله وبالقيامة والأحكام الإلهيَّة، فلن تشمله الشفاعة أبداً.

ومن هنا، فإنَّ القرآن الكريم يتحدّث عن أهل النار الذين يسألهم الملائكة بقولهم: "ماسلككم في سقر"، فيقولون:

﴿وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين﴾[٣]

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٦، الحديث ١١؛ تفسير مجمع البيان: ٨١/٧؛ تفسير الأصفى: ٧٨١/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤/٨، الحديث ٤؛ تفسير نور الثقلين: ٤٢٣/٣، الحديث ٤٨.

(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٣.

(٣) سورة المدَّثر (٧٤): الآية ٤٦-٤٨.

وفي الحقيقة، إنَّ ذنوب المسلمين والمؤمنين تختلف عن ذنوب غير المؤمنين والكفّار، إذ إنَّ هناك طرقاً وسبلاً لنجاة أهل الإيمان، بخلاف أهل الكفر.

فإذا ما أذنب الإنسان لا عن طغيان وإنكار، ثم ندم علىٰ ذنبه ورأىٰ نفسه مستحقّاً للعقوبة، ثم وُعد بالشفاعة وبالنجاة من العقاب وأُمِّلَ بالعفو والتجاوز عن سيّئاته، فإنَّه لن يتجرّأ ويتمادىٰ في غيِّه، لأنَّـه مؤمن، وهو خائف مما جنىٰ وسيحاول تحصيل العفو والغفران من اللّه العفوِّ الغفور، ليقبل توبته، أو ليكون قابلاً لنيل الشفاعة، وليس معنىٰ الوعد بالشفاعة، هو أن يتجرّأ الإنسان علىٰ الذنوب والمعاصي.

وخلاصة المطلب هي:

أوّلاً: إنَّ غير أهل الإيمان لا تنالهم الشفاعة.

ثانياً: إنَّ أهل الإيمان لا يتجرّأون علىٰ المعاصي بحجَّة الشفاعة.

وثالثاً: لم يصدر وعدٌ بالشّفاعة بصورةٍ قطعيّةٍ لمذنبٍ بعينه، دفعاً لإحتمال الجرأة علىٰ إرتكاب المعاصي.

وبهذا البيان ظهر بأنَّ الشبهات التي تطرح أحياناً حول الشفاعة هي إمّا من باب العناد، أو من باب عدم التدبّر في الآيات والروايات في المسألة.

وَمُتِقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ

التقرُّب بالأئمَّة إلىٰ اللّه

وكما أشرنا آنفاً، فإنَّ القرب إلىٰ اللّه أسمىٰ المقاصد وأشرفها وأفضلها، فالإنسانُ المؤمن إذا أذنب، فإنَّه سيحتاج إلىٰ الشفاعة ليؤوب إلىٰ اللّه، ولكنَّه إذا

أراد السيرإلىٰ اللّه والإقتراب من ساحة عظمته تبارك وتعالىٰ، يحتاج إلىٰ من يرشده إلى الطرّيق ويأخذ بيده حتى يصل، وهذا لا يتأتّىٰ إلاّ من الأنبياء والأولياء المعصومين.

فتقرُّب الإنسان إلىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ هو الغرض الأقصىٰ من بعث الأنبياءوالرسل وإنزال الكتب والشرائع السماويّة، و كلَّ التكاليف الإلهيَّة والأحكام الشرعيّة، من الواجبات المستحبّات، المحرَّمات وغيرها إنَّما هي من أجل إيصال العبد المكلَّف إلىٰ الكمال، لكون التكاليف تابعةً للمصالح والمفاسد، وعليها يترتّب الغرض، واللّه الغني عن عبادة مخلوقاته، بل الغرض هو تقرّب العبد إليه، ولذا وجب قصد القربة في العبادات. نعم، إنَّ اللّه تعالىٰ قدكتب ـ بمقتضىٰ لطفه ـ العبادات وشرَّعها ليقترب العبد بواسطتها إلىٰ اللّه عزَّوجلّ.

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام كذلك، فإنَّ اللّه عزَّوجل قد نصبهم بمقتضىٰ قاعدة اللطف، ليكونوا وسائط بين الخلق والخالق.

وهنا أُمور:

الأوَّل: إنَّ اللّه تعالىٰ قريب من عباده.يقول القرآن الكريم:

﴿وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيب﴾(١)

ويقول تعالىٰ:

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيب﴾(٢)

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٦.

(٢) سورة سبأ (٣٤): الآية ٥٠.

إذن، فالقربُ من اللّه تعالىٰ إلىٰ عباده، متحقّقٌ، بل هو أكثر من القرب، حيث يقول القرآن المجيد:

﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد﴾(١)

فاللّه تعالىٰ القريب منّا إلىٰ هذا الحدّ، يُريد منّا أن نتقرَّب إليه، لا أن نبتعد ونتهرَّب منه ونعزف عنه، بل يريد منّا أن نخطو نحوه ونسير إليه.

ففي الآية الكريمة من القرآن الكريم:

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب﴾(٢)

فإذا ما عصىٰ العبد، عليه أن يستغفر ثم يتوجّه إلىٰ اللّه تعالىٰ ويسير نحوه.

إنَّ العطف بالفاء، ثم عطف "التوبة" علىٰ "الإستغفار" بـ"ثُمَّ" فيه نكتة، وذلك، إنَّ الذنب يفصل بين العبد وربِّه، فإذا ندم علىٰ خطيئته، وجب عليه أن يزيل تلك الفاصلة بالعمل الصالح فيتمّ الرجوع إليه، وسيجد اللّه قريباً منه مجيباً.

الثاني: إنَّ اللّه عزّوجلّ كما أمرنا بأن نتحرَّك نحوه ونتقرّب إليه، فقد نصب لنا أقرب الناس إليه ليدلّونا عليه، ويعينوننا علىٰ السير نحوه، وهم محمّد و آله عليهم الصّلاة والسّلام.

أليسوا أقرب من موسىٰ عليه السّلام الذي قال في شأنه:

﴿وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾(٣)

---

(١) سورة ق (٥٥): الآية ١٦.

(٢) سورة هود (١١): الآية ٦١.

(٣) سورة مريم (١٩): الآية ٥٢.

أليسوا أقرب من عيسىٰ عليه السَّلام الذي قال في شأنه:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١)

ألم يقل عزَّوجلّ:

﴿وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون﴾ (٢)

وقد إتَّفق السُنَّة والشيعة في تفسيرهم لهذه الآية علىٰ إنَّ المنظور من "السّابقون" هم:

«يوشع بن نون، سبق إلىٰ موسىٰ، ومؤمن آل يَس، سبق إلىٰ عيسىٰ، وعليّ ابن أبي طالب عليهما السّلام، سبق إلىٰ محمَّدٍ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم». (٣)

وهو عليه السلام أفضلهم؟

فهؤلاء المقرَّبون عند اللّه، وإذا صاروا مقرَّبين كانوا مقرِّبين إليه أيضاً.

بحثٌ حول التوسّل

الأمر الثالث: لا مناص من التوسل بوسيلةٍ لنيل القرب من اللّه تعالىٰ، لأنَّ القرآن الكريم يقول:

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٤٥.

(٢) سورة الواقعة (٥٦): الآية ١٠-١١.

(٣) الطرائف: ٢٠، الحديث ١١؛ كشف اليقين: ٣٩٤؛ تفسير إبن أبي حاتم: ٣٣٣٥/١٠، الحديث ١٨٧٧٣؛ تفسير السمعاني: ٣٤٣/٥، تفسير إبن كثير: ٣٠٤/٤؛ تفسير الدر المنثور: ١٥٤/٦.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[1]

قال الرّاغب الإصفهاني في معنىٰ الوسيلة:

«الوسيلة: التوصّل إلىٰ الشيء برغبة، وهي أخصّ من الوصيلة، لتضمّنها لمعنىٰ الرغبة، قال تعالىٰ: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾: وحقيقة الوسيلة إلىٰ اللّه تعالىٰ مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرّي مكارم الشريعة وهي كالقربة.

والواسل: الراغب إلىٰ اللّه تعالىٰ»[2]

وتدلُّ الآية المباركة علىٰ أنَّ مقام القرب يبدأ من مقام التقوىٰ، لأنَّ الخطاب موجَّه إلىٰ المؤمنين المتَّقين، فلابد أوَّلاً من تحقّق الإيمان والتقوىٰ، ثمَّ السير حتّىٰ الوصول إلىٰ مقام القرب إلىٰ اللّه.

وفي صحاح اللغة:

«الوسيلة ما يتقرّب به إلىٰ الغير»[3]

والحاصل: أنّنا مأمورون بإتخاذ المقرَّبين عند اللّه وسائل لنيل القرب منه تعالىٰ في سيرنا إليه، وهذا يعني ضرورة وجود مقرَّبين منصوبين من قبله عزَّوجلّ لهذا الغرض.

وللتقرُّب إلىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ يمكن ذكر عدَّة وسائل، منها:

١- القرآن المجيد.

٢- رسول اللّه وأهلُ البيت عليهم السّلام.

---

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٣٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٣-٥٢٤.

(٣) صحاح اللغة: ١٨٤١/٥.

٣- الصلاة فقد ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السّلام:

«أقرب ما يكون العبد من اللّه عزّوجل وهو ساجد، وذلك قوله عزّوجل: ﴿ وَ اسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾[١]»[٢]

بل، قد يستظهر من هذه الرواية كون مطلق السّجود وسيلة، لا خصوص السجود في الصّلاة.

إلّا أنّه لا شكّ عند أحدٍ من المسلمين ـ كما سيأتي ـ في أقربيّة رسول اللّه من سائر الوسائل، يقول تعالىٰ:

﴿ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوّاباً رَحيما ﴾[٣]

فلقد كان رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حياته، وحتّىٰ الآن أيضاً، يستغفر لهذه الأُمّة.

فلو كان مجرّد الإستغفار كافياً للتقرّب إلىٰ اللّه، لما أمرنا اللّه عزّوجلّ بالتوسّل برسوله الكريم ليستغفر لنا...

ولابدَّ من التنويه هنا بأنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كان وسيلة أيضاً فيما قبل هذا العالم، لمثل آدم عليه السّلام، وفي هذا الشأن روايات كثيرة وردت في مصادر الفريقين ـ الشّيعية[٤] والسُنيّة ـ المعتبرة، نكتفي هنا بحديثٍ واحدٍ من طرق العامّة:

---

(١) سورة العلق (٩٦): الآية ١٩.

(٢) الكافي: ٢٦٥/٣، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٦٢/٨٢، ذيل الحديث ٣.

(٣) سورة النساء (٤): الآية ٦٤.

(٤) اليقين: ١٧٥؛ بحار الأنوار: ١٢٥/١١، الحديث ٢٠ و٣٢٦/٢٦، الحديث ٨.

وأخرج الحاكم النيشابوري عن عمر بن الخطّاب، قال:

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«لما إقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ! أسألك بحق بمحمد لما غفرت لي.

فقال اللّه: يا آدم! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟

قال: يا ربّ! لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت علىٰ قوائم العرش مكتوباً: "لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه" فعلمت أنّك لم تضف إلىٰ إسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك.

فقال اللّه: صدقت يا آدم! إنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، ولو لا محمّد ما خلقتك»

فالباري عزَّوجل أراد أن يلطف بآدم عليه السّلام ففتح له باب التوسّل بالنبيّ الأكرم محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ومن هذا الحديث يتَّضح مقام رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عند الله.

قال الحاكم:

«هذا حديثٌ صحيح الإسناد».[١]

إذن، فلقد كان رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في ذلك العالم من أقرب المقرَّبين عند اللّه تعالىٰ، وإذا كان واسطة للأنبياء الماضين، فَلِمَ لا يكون وسيلةً لنجاة أُمَّته وهو ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]؟

ولقد توسل الكثيرون برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وراجعوه، بعد رحيله

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٦١٥/٢؛ تأريخ مدينة دمشق: ٤٣٧/٧؛ البداية والنهاية: ٩١/١.

(٢) سورة التوبة (٩): الآية ١٢٨.

عن هذا العالم، في حوائجهم، وقد أجابهم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

جاء في كتاب "المسند" و"المعجم الكبير" للطبراني، و"المستدرك علىٰ الصحيحين"، وغيرها من المصادر المعتبرة عند السنَّة، أنَّ رجلاً كانت له حاجة، فأخبر بها عثمان بن حنيف -وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام- فقال له تطهَّر وإذهب إلىٰ مسجد النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وصلِّ ركعتين، ثمَّ قُل:

«اللهمَّ إنِّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله نبي الرحمة، يا محمّد! إنّي أتوجّه بك إلىٰ ربّك في حاجتي هذه، فتقضيها لي، اللّه مشفّعه فيَّ وشفِّعني فيه»[١]

قال الحاكم:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فهذا الرجل قد توسل برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وجعله وسيلة إلىٰ اللّه، كما إنَّه قد خاطبه بقوله: يا محمّد إنِّي أتوجه بك...

تُرىٰ، من الَّذي يَسَعَهُ أن يشكّك في هذه الأُمور؟!

نعم، في القرن الثامن للهجرة، ظهر رجل بإسم إبن تيميَّة وحرَّم التوسّل برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، كما حرَّم السّفر إلى زيارته، ولكنَّ أحداً لم يعبأ بكلامه ورأيه، فلا قيمة لفتواه عند المسلمين.

---

(١) المعجم الكبير: ٣١/٩؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٥١٩/١؛ تأريخ الإسلام: ٣٦٤/١؛ مسند أحمد ابن حنبل: ١٣٨/٤.

وَ مُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي

لا شكّ في أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم أيضاً وسيلة القرب والواسطة الكبرىٰ إلىٰ اللّه تعالىٰ، لقضاء الحوائج بين يدي اللّه.وهذا الموضوع يمكن بحثه في عدّة محاور:

الأوّل: بعد أن ثبتت صحّة التوسل بالنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فإنّه يتمّ التوسّل بالأئمّة المعصومين عليهم السّلام، وذلك من ثلاثة وجوه:

١- وحدة الملاك.

٢- إنّ أهل البيت هم بضعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وليسوا منفصلين عنه، أي إنّ التوسل بالصدّيقة الطاهرة عليها السّلام وأبنائها المعصومين هو في الحقيقة توسّل برسول اللّه نفسه.

٣- إنّ خلقة النبيّ و آله الطاهرين واحدة، خلقوا جميعاً من نور واحد ومن شجرة واحدة.

فعن زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«خلقَنا واحد وعلمُنا واحد وفضلُنا واحدً وكُلُّنا واحد عند اللّه عزّوجل.

قال زيد: قلت: فكم أنتم.

قال: نحن إثنا عشر، هكذا حول عرش ربّنا جلّ وعزّ في مبتدأ خلقتنا، أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد»(١)

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٨٧-٨٨، الحديث ١٦؛ المختصر: ٢٧٧، الحديث ٣٦٩؛ بحار الأنوار: ٢٦٣/٢٥، الحديث ٢٣.

الثاني: إذا كانت الصلاة وسيلةً مقرِّبة إلىٰ اللّه تعالىٰ، فالإمام عليه السّلام كذلك بالأولويَّة القطعيَّة.

الثالث: في حديث توسّل آدم عليه السّلام، لم يكن التوسل برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وحده، بل كان به وبأهل بيته الطاهرين، وقد روىٰ الفريقان هذا الحديث بأسانيدهم، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع "الدرّ المنثور"[1] بتفسير قوله تعالىٰ:

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰاتٍ فَتٰابَ عَلَيْه ﴾[2]

بل إنَّ أهل السنَّة رووا هذا الحديث عن المفضَّل عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال.

«سألت جعفر الصّادق عليه السّلام عن قوله عزّوجل: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ الآية.

قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ.

فتاب اللّه عليه إنّه هو التوّاب الرحيم.

فقلت له: يابن رسول اللّه! فما يعني بقوله: ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ؟

قال: يعني أتمّهن إلىٰ القائم المهدي اثنا عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السّلام»[3]

---

(١) تفسير الدر المنثور: ١/٦٠-٦١؛ شواهد التنزيل: ١/١١.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٣٧.

(٣) المناقب، لابن المغازلي: ٦٣، الحديث ٨٩؛ ينابيع المودَّة: ١/٢٩٥، الحديث ٦.

الرابع: أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام، وسيلة، كما قال تعالىٰ في كتابه:

﴿ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[١]

فعن الإمام الصادق عليه السّلام عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في ذيل هذه الآية المباركة، أنَّه قال:

«الأئمَّة من ولد الحسين عليه السّلام، من أطاعهم فقد أطاع اللّه، ومن عصاهم فقد عصىٰ اللّه عزَّوجل، هم العروة الوثقىٰ وهم الوسيلة إلىٰ اللّه عزَّوجل»[٢]

أقرب الوسائل النبيُّ وآله

ثمَّ إنَّ لأهل السنَّة في المراد من الوسيلة في قوله تعالىٰ:

﴿ وَإبتَغوا إِلَيهِ الوَسِيلَة ﴾

أقوالاً مختلفة، بعد أن فسّروها بـ"القربة" وعمدتها ثلاثة:

القرآن، والدين، والعبادة.

ومن الناس من يرىٰ التقرّب إلىٰ اللّه بتهذيب النفس، ومنهم من يتقرّب بدوام ذكر اللّه.

ونحن عندما نقول: "متقرّب بكم إليه" لا ننكر مقربيّة شيء ممّا ذكر، بل المقصود أنّا لا نتقرَّب إليه بسواكم، أي الذين نصبهم الناس أئمَّةً لهم بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه و آله، والجدير بالإلتفات أنَّ أهل السنَّة أنفسهم لم يذكروا أولئك كمصاديق للوسيلة في الآية المباركة.

---

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٣٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٦٣/١، الحديث ٢١٧؛ بحار الأنوار: ٢٤٤/٣٦؛ كنز الدقائق: ٦١٤/١.

وأمّا القرآن، فإنَّ ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السَّلام من القرآن، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ والَّذينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١)

وأمّا الدّين، فإنَّ الولاية من الدين، كما قال عزَّوجلّ:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينا﴾ (٢)

فهذه الآية نزلت في يوم الغدير.

وأمّا العبادة، فإنَّ عمدتها الصَّلاة، وولاية أهل البيت عليهم السّلام من الصّلاة؟ ألم يقل الشافعي:

«يا آل بيت رسول اللّه حبّكم فرض من اللّه في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له» (٣)

ففي الحقيقة، إنَّ تلاوة القرآن الكريم، وإنَّ أداء الصلاة وكلّ عبادة، لا يكون لها معنىً بدون ولاية محمَّد وآل محمَّد، ولا تترتَّب عليها أيَّة آثار.

وكذلك الكلام بالنسبة إلىٰ تهذيب النفس و الإلتزام بالأذكار والأوراد إنْ

(١) وينبغي الإلتفات إلىٰ أنَّ الطبري في تفسيره جامع البيان: ٣٠٩/٦؛ النحّاس في تفسيره معاني القرآن: ٣٠٢/٢؛ السمرقندي في تفسيره: ٤١١/١؛ السمعاني في تفسيره: ٣٥/٢؛ البغوي في تفسيره: ٣٤/٢؛ وإبن الجوزي في زاد المسير: ٢٧٢/٢، فسَّروا "الوسيلة" بمعنىٰ "القربة"، وفسّرها الطبري وإبن الجوزي بـ"المحبَّة" أيضاً، وإنْ كان النحّاس والسمعاني قالا: "الوسيلة درجة عند اللّه عزَّوجل ليس فوقها شيء". وأمّا مفسروا الشيعة فقد فسّروا "الوسيلة" بـ"القربة".

(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٣.

(٣) ديوان الشافعي: ٧٢. والزرقاني في شرح المواهب اللّدنيَّة: ٧/٧؛ الشبلنجي في إسعاف الراغبين: ٢١؛ الشبراوي في الإتحاف بحبِّ الأشراف: ٢٩؛ الخفاجي في شرح الشفاء: ٣٥٤/٣؛ الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ١٨ و... نقلوا هذا الشعر عن الشافعي.

كانت على الموازين الشرعيَّة، فإنَّ النبيّ وآله الطاهرين هم أصحاب النفوس الزكيَّة، وهم أهل الذّكر ومنهم يؤخذ كلّ ذلك، وهم المرجع الوحيد فيه. وعلى الجملة، فإنَّ أقرب الطرق و أقوى الوسائل إلى اللّه هو التوسّل بالنبيّ و آله الطاهرين، وهذا ما يؤكّد عليه علماؤنا الأعلام، وقد أوردنا سابقاً نصّ الرسالة التي بعث إلي بها سيدنا الجدّ بسنة ١٣٩٠هـ.ق.[١]

حقّاً إنَّه من إنقطع إلى الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وأعرض بشكل كلّي عن غيرهم، ويأس مما عند من سواهم، وجعلهم الواسطة بينه وبين اللّه تعالى، وطلب القرب بهم إليه عزَّوجل، فقد فاز ووُفِّقَ لذلك.

كلُّ الطلبات والحاجات

كما إتَّضح أيضاً: أنَّ التوسل بالأئمّة الأطهار عليهم السّلام وإعتبارهم وسيلة، ليس مختصَّاً بالتقرُّب إلى اللّه وسائر الحوائج المعنويَّة، بل هم الوسيلة في كلِّ الأُمور الماديَّة أيضاً، ومن ثمَّ نقول في الزيارة:

وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي

وكلمة "طَلِبَة" جمع "طِلبَةْ"، بمعنى الطلب، وهو أعمُّ من الحاجة. وكلمة "حوائجي" جمع "حاجة" بمعنى النقص.

وكلمة "إرادتي" بمعنى تمنّياتي

---

(١) للإطّلاع على ترجمة رسالة المرحوم آية اللّه العظمى الميلاني، راجع الجزء الأوّل من هذا الكتاب الصفحة: ١٩٨.

فِي كُلِّ أَحْوَالِي

فللإنسان في حياته نواقص وإحتياجات، وهو يسعىٰ لرفعها وسدِّها، أو إنَّه يطلب الزيادة، وفي باطنه بعض التمنيات لا يظهرها لأحدٍ، سواءاً كانت تلك الأمور ماديَّة أو معنويَّة، فأين يرجع للحصول عليها؟

لا شكَّ في أنَّ كلَّ هذه الأمور هي بيد اللّه تعالىٰ، ومنه عزَّوجل، ولكنَّ محمّداً وآل محمّد عليهم السّلام هم الوسيلة، وبواسطتهم تُنال الفيوضات الرّبانية والعنايات الإلهيَّة وتتحقَّق.

وعليه، فجملة "**وَمُقَدِّمُكُمْ**" فيها إحتمالان:

١- أن نجعل الأئمة عليهم السّلام ـ وقبل أن نعرض هذه الحاجات ونطلبها من اللّه ـ في تصوراتنا ونذكرهم بالصّلوات عليهم، أو نُقسم علىٰ اللّه تعالىٰ بمقاماتهم الشامخة. وبعبارة أُخرىٰ: نطلب من أرواحهم الطّاهرة الحضور من أجل الشّفاعة قبل ذكر طلباتنا وحاجاتنا لنصل إلىٰ مقاصدنا ببركة حضورهم وشفاعتهم.

٢- أن نطلب الحاجات منهم هم، بدليل إنَّهم هم أسماء اللّه الحسنىٰ، وكلُّ ما يصل من البركات والخيرات، إنَّما يصل بواسطتهم. فإذا ما تلطّفوا علىٰ أحد بشيء، فذلك لطفٌ إلهيّ وعناية ربّانيَّة، وهذا جارٍ في كلِّ الأمور، الماديَّة والمعنويَّة، الدنيويَّة والأُخرويَّة، في الأُمور العظيمة والخطيرة وفي الأُمور الصغيرة.

وكذلك بالنسبة إلى الحالات، فإننا نتوسّل بالأئمَّة عليهم السّلام لا يختصُّ بحالٍ دون حال، بل هو في كلِّ الأحوال، في حال الصحَّة والمرض، وحال الفقر والغنىٰ، وحال العلم والجهل، في حال القوّة والضّعف. ذلك لأنَّ الإنسان محتاج إلىٰ مقام الولاية في كلِّ أُموره، وإنَّ هؤلاء الأطهار عليهم السّلام هم وسائط الفيض الإلهيّ، وببركتهم تنزل جميع أنواع النعم الإلهيَّة الظاهريَّة والباطنيَّة إلىٰ العباد.

وهذا هو مقام الولاية الكليَّة للأئمَّة عليهم السّلام، والثابت بالأدلَّة اليقينيَّة، وكلّما قام عليه الدليل اليقيني فهو من جملة المعتقدات، معتقد بنزول البركات بواسطة الأئمة كما نعتقد بنزولها وتدبير الامور بواسطة الملائكة المقرّبين إذ يقول تعالىٰ:

﴿ فالمُدَبِّراتِ أمْراً ﴾(١)

فإنَّ تدبير الأُمور -بمقتضىٰ هذه الآية- موكول إلىٰ الملائكة، وإنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ يقسم بهم، فإذا ما قلنا بأنَّ اللّه قد أوكل تدبير أُمور العالم إلىٰ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، وأنهم وسائط فيضه ورحمته فهل يكون هذا غلوّاً؟!

إنَّ من يعتبر ذلك غلوّاً، لهو قليل المعرفة بشأن النبيّ وآله الأطهار.

وننوِّه هنا إلىٰ إنَّنا سنبحث بحول اللّه وقوَّته فيما بَعد في الولاية التكوينيَّة للأئمَّة عليهم السّلام، وهو ما تبقىٰ من مباحث الولاية الكليَّة لهم عليهم السّلام، وإنْ كنّا قد ذكرنا سابقاً في شرح عبارة «وإيّابُ الخَلقِ إلَيكُمْ وحِسابُهُم عَلَيكُم» طرفاً ممّا يتعلّق بذلك.

---

(١) سورة النازعات (٧٩) : الآية ٥.

مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ

إعتقادات أُخرىٰ

ويتضمن هذا المقطع من الزيارة باقةً من عقائدنا الحقَّة نعرضها في مقام الزيارة علىٰ الإمام عليه السّلام ونقول:

إنَّنا مؤمنون بذواتكم المقدَّسة، وبإمامتكم وبكلِّ خصوصيّات أحوالكم.

فللأئمَّة عليهم السّلام "سرٌّ" و"علانيَة"، وبعضهم "شاهد" وبعضهم "غائب" وهو المهدي أرواحنا فداه، أوَّلهم «أمير المؤمنين» و«آخرهم» «وليُّ العصر» أرواحنا فداه.

فنحن نؤمن بجميع هذه الجهات ونعتقد بها على وجه اليقين، وهذا مقتضىٰ الإيمان بإمامتهم، فلا يفرّق حينئذٍ بين أحوالهم، تماماً كما لو إعتقدنا بأنَّ زيداً مجتهد عادلٌ، فإنّا نرتّب الأثر علىٰ فتاواه في مطلق الأحوال، و نرىٰ مشروعيّة كلِّ تصرّفاته في كلّ شؤونه، في منزله، في عمله، في درسه، في سلوكه، حتّىٰ ما لم نطّلع علىٰ تفاصيله وجزئيّاته، حتّىٰ مع عدم معاشرتنا له.

ومن هذا المنطلق نقول: عندما عرفنا أئمّتنا، بما وسعنا معرفته، خاصّةً وأنَّ لهم عند اللّه مقاماً عظيماً، لا يدركه ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم و... لا يطمع في إدراكه طامع، فحينئذ، لن نشكَّ في أيِّ شأن من شؤونهم، بل نسلِّم بكلّ خصوصيّاتهم تسليماً كاملاً وفي جميع الجهات، ونؤمن بها علىٰ وجه القطع واليقين.

فكم مِن الناس لم يؤمن بالأئمَّة في حياتهم، وكم من شخص أنكر الإمام اللاّحق بعد رحيل الإمام السابق، وكم من شخص أنكر الإمام الغائب ولم يقل بإمامته. ولكنّنا نقول: نحنُ مؤمنون بإمامتكم، و معتقدون بإمامة شاهدكم وغائبكم، وسواء رأيناكم أو لم نركم، فهذه الخصوصيّات ليس لها مدخليّة في إيماننا بكم.

كما نعتقد بحقّانيَّة الأئمَّة في أقوالهم وأفعالهم وعلومهم التي وصلتنا والتي لم تصلنا وبقيت خافية علينا، وسواءاً فهمناها أو لم نفهمها.

فلن يكون إستتارها عنّا دليلاً لإنكارها أو تكذيبها، كما فعل الكثيرون تجاه رسول اللّه والأئمَّة عليهم السّلام في زمانهم، إذ أنكروا ما لم يفهموا من أقوالهم وأفعالهم.

إنَّه لا ريب في أنَّ الحقائق والعلوم التي كان يتلقاها أصحاب الأئمَّة، كالكميل ابن زياد، رُشيد الهجري، جابر الجعفي، بُريد العجلي، زرارة، محمد بن مسلم، أبو بصير، أحمد البزنطي، يونس بن عبد الرحمن، والنواب الأربعة الخاصّين للإمام الحجّة عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف، كانت متفاوتة في سعتها، كما إنَّ مراتب هؤلاء الأصحاب كانت متفاوتة، ولكنّ هؤلاء كانوا يحملون ما لا يحمله غيرهم من معارف الأئمّة عليهم السّلام، لإختلاف الإستعدادات والقابليّات، ولكنّنا نؤمن بكلّ ما نعرفه وما لا نعرفه، ونعتقد بكلِّ أسرارهم وبحقّانيّة علومهم ومعارفهم ونؤمن بها إيماناً مطلقاً.

وعبارة "مؤمن بسرِّكم وعلانيتكم" يمكن أن تتعلَّق بالذوات المقدَّسة للأئمَّة عليهم السّلام، كما يمكن أن تكون متعلّقة بأحوالهم، علومهم، صفاتهم ومقاماتهم صلوات اللّه وسلامه عليهم.

وبطبيعة الحال، فإنَّ عدم معرفة بعض الناس بهم، وإعراضهم عنهم، لن يؤثر في علوّ مقامات النبيّ الأكرم والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

فأنتم تعلمون جيِّداً، بأنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عندما كان في مكَّة لقي أنواع الأذىٰ من أهلها، ولم يؤمنوا به ونفوه إلىٰ شعب أبي طالب لعدَّة سنوات، وحوصر محاصرة إجتماعيَّة وإقتصاديَّة شديدة، فهل أثَّر كلُّ ذلك علىٰ نبوَّته؟

كما إنَّ الناس قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السّلام في يوم الغدير، ولكنَّهم إنقلبوا علىٰ أعقابهم بعد رحيل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأنكروا تلك البيعة وأعرضوا عن إمامته وولايته.

وهذا الأمر يجري في إمامة الحسن والحسين وكذا سائر الأئمَّة المعصومين عليهم السّلام.

وأكثر الناس اليوم غافلون عن إمامة صاحب العصر والزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف، فهل إنَّ هذه الغفلة وهذا الإعراض وعدم المعرفة، يؤثر سلباً في إمامة الإمام المهدي عليه السّلام؟

ولقد كان الحال كذلك في الأُمم السابقة، فلقد أوذي الأنبياء وكذّبوا وطردوا وقتّلوا، فهل خدش ذلك نبوَّتهم ورسالتهم؟

كلّا، فإعتقادنا بالأئمَّة عليهم السّلام ومقاماتهم أمرٌ واقعيّ وحقيقة لا تتزعزع حتّىٰ لو أعرض كلُّ العالم عنها.

نعم، فنحن نؤمن بشاهدهم وغائبهم وأوّلهم وآخرهم، وإيماننا هو إيمانٌ بمقام الإمامة والولاية، وهو مقام محصور في هذه الذوات المقدَّسة فقط. وإيماننا

بهذه الذوات ومقاماتهم لا يقتصر علىٰ مقاماتهم التي نعرفها، بل يشمل كلَّ ما لا نعرف ولا نعلم ولا ندرك كيفيَّته وسعته وحدوده من شؤونهم.

وقد ورد عن أبي بصير عن الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«يا أبا محمَّد، واللّه إنَّ عندنا سرّاً من سرِّ اللّه، وعلماً من علم اللّه، واللّه ما يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن إمتحن اللّه قلبه للإيمان»(١)

فإذا كان مثل هذا المؤمن لا يحتمل هذا المقام، فهذا يعني إنَّ هذا المقام فوق إدراكاتنا وفهمنا، وهم كذلك سلام اللّه عليهم، وإنَّ كلّ تلك المقامات هي من عند اللّه تعالىٰ، وببركة عبوديَّتهم وطاعتهم له عزَّوجل، فمنَّ بها عليهم، ولم ينلها من سواهم.

لقد تحدّث القرآن الكريم عن قصَّة بلقيس وعرشها وأنَّ آصف بن برخيا قال:

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٢)

والأئمَّة ليس بأقلّ شأناً من آصف، فلقد قام الدليل عندنا علىٰ إنَّ القدرة التي أعطاها اللّه تعالىٰ لذلك العبد، لا تقاس أبداً بما تفضَّل به علىٰ الأئمَّة عليهم السّلام من قدرة وقوة وعلم.

وروىٰ عبد الرحمن بن كثير الهاشمي عن الإمام الصادق عليه السّلام في ذيل هذه الآية الشريفة، قال:

«فَفَرَج أبو عبد اللّه عليه السّلام بين أصابعه فوضعها علىٰ صدره ثمَّ قال:

---

(١) الكافي: ٤٠٢/١، الحديث ٥؛ بحار الأنوار: ٣٨٥/٢٥، الحديث ٤٤.

(٢) سورة النمل (٢٧): الآية ٤٠.

والله عندنا علم الكتاب كلّه»(١)

وعن إبن أُذينة أنّ الصّادق عليه السّلام قال:

«الّذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السّلام.

وسئل عن الّذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الّذي عنده علم الكتاب؟

فقال: ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده علم الكتاب، إلاّ بقدر ما تأخذه البعوضة بجناحها من ماء البحر.

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم من السماء إلىٰ الأرض وجميع ما فضلت به النبيّون إلىٰ خاتم النبيّين، في عترة خاتم النبيّين»(٢)

وعليه، فإنّنا نخاطب الأئمّة عليهم السّلام ونقول لهم: إنّنا نؤمن بإمامتكم ومقاماتكم، سواءٌ كنّا قد شاهدناكم أو لم نشاهدكم، فرؤية الإمام والحضور عنده لا تؤثر في إيماننا به وإعتقادنا بحقّانيّته، ومعرفة الخصوصيّات بالتفصيل وعدمها، لا مدخليّة لها في الإعتقاد والإيمان المطلق به عليه السّلام، كما هو عليه وكما يعرِّف نفسه.

وقد تكون جملة «وأوَّلِكُمْ وآخِرِكُمْ»، إشارة إلىٰ الأئمّة الإثني عشر عليهم السّلام، وإنّ الإمامة والولاية التي نقولها لأمير المؤمنين عليه السّلام ثابتة لكلّ الأئمّة ونعتقد بها لجميعهم حتّىٰ الإمام الغائب عليه السّلام، فلسنا كمن آمن ببعض الأئمّة وأنكر إمامة البعض الآخر.

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٢، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ١٧٥/٢٦، الحديث ٣٧.

(٢) تفسير القمّي: ٣٦٧/١؛ بحار الأنوار: ١٦٥/٢٦، الحديث ٦.

وعن إبن مسكان عن الصادق عليه السّلام قال:

«من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات»(١)

فكلُّ الأئمَّة الإثني عشر عليهم السّلام في مرتبة واحدة من حيث الإمامة والولاية ووجوب الطاعة.

وعن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إنَّه قال لعليٍّ عليه السّلام:

«أنا سيّد الأوّلين والآخرين، وأنت -يا عليُّ- سيد الخلائق بعدي، أوّلنا كآخرنا وآخرُنا كأوّلنا»(٢)

وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ، وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ

تفويض الأمر إلىٰ الأئمَّة

قال الراغب الإصفهاني:

«قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّه﴾(٣) أردّه إليه»(٤)

وفي مجمع البحرين:

«فوَّضتُ أمري إليك، أي: رَدَدتُهُ إليكَ وجعلتُكَ الحاكم فيه»(٥)

هل إنَّ هذه الجملة مرتبطةٌ بما سبق، أم أنَّها جملَة مستقلّة؟

---

(١) الكافي: ٣٧٣؛ كمال الدين: ٤١٠؛ بحار الأنوار: ٩٥/٢٣، الحديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٠/٢٥.

(٣) سورة غافر (٤): الآية ٤٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٨٧.

(٥) مجمع البحرين: ٤٣٧/٣.

وهل إنَّها مرتبطة بالمقطعين السابقين، أم أنَّها مرتبطة بالمقطع الأخير فقط ؟

فإنْ أرجعناها إلىٰ المقطع الأوَّل فقط، فسيكون المعنى :

إنّي أطلبِ منكم وأُقدِّمكم أمام حوائجي وطلبتي وأجعلكم وسيلتي، وفي الوقت نفسه أُسلِّمُ أمري إليكم، فلكم الأمر في الشفاعة لي وعدمها.

ولكنَّ هذا المعنىٰ بعيدٌ مع وجود كلِّ هذه الفاصلة بين الفقرتين.

وإنْ أرجعنا هذه الجملة إلىٰ الفقرة الأخيرة فقط، فسيكون المعنىٰ :

إنِّي مؤمنٌ ومعتقدٌ بكم في كلِّ أحوالكم وحالاتكم، وبكلِّ خصوصيّاتكم ومقاماتكم، سواءاً علمتُ بها أو لم أعلم، وأترك حقيقة الأمر إليكم وأُسلِّم في ذلك كلِّه لكم.

وإنْ أرجعناها إلىٰ كلا الفقرتين، فستأتي شبهة استعمال لفظ "مفوّض" في أكثر من معنىٰ، وهو غيرصحيح.

وقد تكون هذه الجملة مستقلَّة، ويكون المراد منها هو إنَّنا في الوقت الَّذي نستشفع فيه إلىٰ الأئمّة ونتوسل بهم إلىٰ اللّه في كلِّ أُمورنا الماديَّة والمعنويَّة، فإنَّنا نسلِّم في قبالهم في كلِّ ذلك، فالأمر في ذلك كلِّه إليهم.

وبناءاً علىٰ هذا، فإنَّنا في العبارة السابقة نقرُّ بتوسلنا بهم، وفي هذه العبارة نقرُّ بالتسليم، وكلّ هذه المعتقدات إنّما هي من مراتب الإيمان والإعتقاد بحضرات المعصومين عليهم السّلام.

وَ قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ

التسليم القلبي والمتابعة القطعيّة

وهنا، إن قلنا بأنَّ "الواو" عاطفة، فستكون هذه الجملة مرتبطة بالجملة السابقة عليها، ويكون المراد بأنّنا نسلِّم التسليم القلبي القطعي بكلّ ما قلناه، وإنَّنا تبع لكم في كلِّ ذلك.

ولكن الأظهر كونها إستئنافيَّة، فالزائر يريد أن يقول للإمام عليه السّلام:

إنَّ قلبي تحت إختياركم، وإنِّي مسلِّمٌ بتمام معنىٰ التسليم، وهذا هو ما يقوله القرآن الكريم:

﴿وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذٰا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِيناً﴾(١)

ومن الواضح أنَّ التسليم في قبال الإمام، هو التسليم للّه ورسوله.

والحاصل: إنَّ رضا الإمام عليه السّلام، هو رضا اللّه ورسوله، وإنَّ حالة الرضا هي علىٰ رأس كلِّ حالات العبوديَّة، ولذا، فإنَّ الإمام الصادق عليه السّلام يقول:

«رأس طاعة اللّه الصبر والرضا عن اللّه فيما أحبّ أو كره، ولا يرضىٰ عبد من اللّه فيما أحبّ أو كره إلاّ كان خيراً له فيما أحبّ أو كره»(٢)

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٣٦.

(٢) الكافي: ٦٥/٢.

وجاء في رواية أُخرىٰ:

«عجبتُ للمرء المسلّم لا يقضي اللّه عزّوجل له قضاءً إلاّ كان خيراً له، إنْ قرض بالمقاريض كان خيراً له، وإنْ ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له.»(١)

وهكذا يكون القلب المسلِّم.

ونحن نعلم بأنَّ القلب حاكمٌ علىٰ جميع الأعضاء والجوارح في الإنسان، فإذا كان القلب مسلِّماً للّه ولرسوله وللأئمَّة عليهم السّلام، فستكون كلُّ الأعضاء والجوارح مسلِّمة كذلك، وإذا كانت كذلك كانت مطيعةً للّه وفي خدمته، لأنَّ كلّ الجوارح في خدمة القلب، والقلب بإختيار الإمام عليه السّلام ومطيع له.

إلىٰ هنا، كان الكلام فيما يرتبط بالقلب.

والجملة التالية ـ وهي «وَرأيي لكُمْ تبع» ـ مرتبطة بالرأي، أي ليس قلبي وأعضائي وجوارحي فقط هي التابعة لكم، بل إنّي في الآراء أيضاً تابع، فلا أختار رأياً علىٰ خلاف رأيكم، لأنّي في خطِّكم لا في خط غيركم.

ثمَّ نقول: «وَنُصرَتي لكُم مُعدَّة»

وكلمة "النصرة"، مصدر، وقد تقرَّر في محلِّه أنَّ المصدر إذا أُضيف، دلَّ علىٰ العموم، أي إنَّ كلَّ قدرتي وقوَّتي الجسديَّة والماديَّة وكلّ ما لديَّ من حول، هو بإختياركم وتحت خدمتكم.

نعم، لابدَّ أن نكون كذلك، لا أن نبقىٰ حياديّين تجاههم، فضلاً عن أن نكون مخالفين لهم.

---

(١) الكافي: ٦٢/٢، الحديث ٨.

إنَّ نصرة الأئمَّة تكون بتقوية نهجهم وهو نهج اللّه ورسوله، وهذا واجبٌ علىٰ كلِّ إنسان مؤمن بقدر إستطاعته.

فالعالِم يَنصُرهم بعلمه وتدريسه وتأليفاته وكتبه، والغنيُّ بماله، والوجيه بوجاهته في المجتمع، فعلىٰ كلِّ مؤمن أن يستخدم كلّ ما يملك في نشر علوم أهل البيت عليهم السّلام.

والحاصل، إنَّ علىٰ كلِّ إنسان مؤمنٍ أن ينصر أهل البيت عليهم السّلام بما يتناسب مع إمكاناته وقدراته، وخاصَّة في جهة تقوية حكومة المهدي من آل محمّد عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف في زمان الحضور، إنْ شاء اللّه تعالىٰ.

وخلاصة الكلام هي إنَّنا نعرض في زيارتنا، التسليم والإستقامة في العقيدة والعمل، والتبعيَّة المطلقة في الرأي، والإستعداد لامتثال الأحكام، وفيما يرتبط بدولتهم المستقبليَّة. وهذا هو التشيُّع الحقيقي.

حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ

أي: إنَّ إستقامتنا علىٰ العقيدة وثباتنا علىٰ المبادئ وتسليمنا لكم في جميع الجهات، سيستمر ولن نتزلزل أو نحيد علىٰ مرِّ الزمان، حتّىٰ يأتي اليوم الَّذي يقام فيه حكم اللّه ويظهر فيه علىٰ الدين كلِّه بيدكم.

الأئمَّة حَفظَة دين اللّه

لقد كان -ولا يزال- خطّ الحقّ وهو الدين الحنيف، وخطّ الشيطان، متواجهين ومتقابلين علىٰ مرِّ الزمن، ولكلٍّ منهما أتباع، ولقد كان أتباع الشيطان

يرون أنَّ الحفاظ علىٰ مصالحهم الدنيويَّة وتحقيق أهدافهم الماديَّة لا يكون إلاّ من خلال محاربة الدين ومحوه، لأنَّ دين اللّه يتعارض مع مصالحهم وأهدافهم، فلا تتحقّق أهدافهم ما دام دين اللّه قائماً، ولذا، فقد حاولوا بكلِّ ما اُوتوا من قوَّة لمحو دين اللّه.

ولكنَّ الدِّين الإسلامي هو دين اللّه:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[١]

وإنَّ اللّه هو الَّذي شرَّع هذا الدين، حيث قال:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾[٢]

وإنَّ اللّه هو الحافظ لهذا الدين، حيث قال عزَّوجل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]

ولذا، فإنَّ أصل الإسلام محفوظ، ولكنَّه لم يطبَّق بشكل كامل وصحيح، ولم يتمكَّن من الإنتشار في كلِّ العالم، ولكنَّ الوعد الإلهيّ بقوله:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾[٤]

سيتحقَّق في زمن حضرة وليِّ العصر والزمان أرواحنا فداه، وهذا هو المراد من عبارة: «...حتّىٰ يُحيي اللّه دينَه بكمْ»

فليس معنىٰ هذه العبارة إلاّ إنتشار الدين في كلّ أرجاء العالم و تطبيق أحكامه في زمن الإمام المهدي عليه السَّلام، و إلاّ، فالأئمَّة عليهم السّلام في كلِّ

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ١٩.
(٢) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ١٣.
(٣) سورة الحجر: (١٥): الآية ٩.
(٤) سورة التوبة (٩): الآية: ٣٣.

عصر وزمان قد وقفوا بوجه الباطل، وقد نصبَهم اللّه تعالىٰ لهذا الدور بعد رسوله الكريم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فحفظوا الدين وبذلوا مهجهم في سبيل بقائه و صونه من التلاعب فيه من قبل قوىٰ الباطل.

وبطبيعة الحال، فإنَّ من وظيفة أهل الإيمان أن يقفوا مع الأئمَّة عليهم السّلام وأن يبذلوا جهدهم بالقدر المستطاع في جهة تحقيق أهدافهم، وقد سجَّل لنا التأريخ نماذج لذلك.

شأن الأئمَّة في الإسلام

كما أشرنا آنفاً، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام قد نصبوا من أجل حفظ الدّين ونشره، وأنَّ اللّه تعالىٰ قد جعلهم الميزان للتمييز بين الحقِّ والباطل، وجعلهم الصّراط المستقيم، حيث ورد عنهم عليهم السّلام:

«و اللّه، نحن الصّراط المستقيم»[١]

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام دلائل هداية في الطريق، لكي لا يضلَّ السالكون إلىٰ اللّه، ولا ينحرفوا عن الطريق المستقيم إلىٰ الطرق المضلّة.ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«رأيت ليلة أُسري بي إلىٰ السماء...فقال لي جبرئيل:...يا محمَّد، فهؤلاء الأئمَّة من بعدك، أعلام الهُدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ»[٢]

---

(١) تفسير القمّي: ٢/٦٦؛ تفسير كنز الدقائق: ١/٦٥.
(٢) دلائل الإمامة: ٤٧٦، الحديث ٢٦٦.

ومن هنا، كان الأئمَّة عليهم السّلام هم «السبيل إلىٰ اللّه».

وإذا كان الأئمَّة أئمَّة هداية، فلابدَّ من أن يدافعوا عن الدّين، وبذلك يكون من يقف في مقابلهم، أئمَّة ضلالة، إذ لا يعقل أن تكون الهداية في خطَّين متقابلين.

الأئمَّة ومحاربة الباطل

وأمّا وقوفهم بوجه الباطل، فقد كان في جبهات عديدة،لأنَّ الباطل إمّا الأديان والشرائع الخارجة عن الإسلام، أو المذاهب والأفكار المنحرفة والتي ظهرت بإسم الدين الإسلامي، والبدَع الكبيرة التي ظهرت في شريعة الإسلام، وإنْ كان أصل تأسيس المذاهب في مقابل مذهب أهل البيت الحقِّ محاربة للدّين.

ومن المعلوم أنَّ تحريف الحقائق الدينيَّة المعنويَّة، والزيادة أو النقيصة في الدّين، سواءاً في الأُصول أو في الفروع، وتفسير الدين علىٰ أساس هوىٰ النفس، أساليب لمحاربة الدين.

ولقد إستفاد أهل الباطل علىٰ مرِّ التأريخ من كلِّ هذه الأساليب والطرق من أجل القضاء على الدّين، فكان كلُّ واحدٍ من الأئمَّة عليهم السّلام في زمانه، يقف بكلّ حزم وعزم بوجه كلِّ هذه المخطّطات، وكانوا بحقٍّ حفظة للدّين في جميع أبعاده.

لقد سلكوا كلَّ طريق ممكن للحفاظ علىٰ الدّين، فتارة: عن طريق السيف والقتال، وأُخرىٰ: عن طريق الإستشهاد والتضحية والفداء، وثالثة: عن طريق الصّبر، ورابعة: عن طريق نشر العلم والتدريس وتربية العلماء، وهكذا...

إنَّ كلَّ تصرّفاتهم وسيرتهم كانت من أجل حفظ الدّين والدّعوة إليه، والردِّ علىٰ الزنادقة والملحدين، الذين كثروا وقوِيت شوكتهم في ذلك الزمان، وعلىٰ أتباع الديانات الأُخرىٰ، وعلىٰ الفرق الباطلة المنحرفة في داخل الإسلام، والتي نشأت وتشعَّبت وقويت ونشرت البدع والضلالات.

فالأئمَّة عليهم السّلام قد حاربوا علىٰ كلِّ هذه الجبهات.

وفي "الكافي" و"توحيد الصدوق" روايات كثيرة في مواجهة الأئمَّة عليهم السّلام للزنادقة والمشركين وأتباع الأديان الأُخرىٰ، ومناظراتهم معهمْ.

وفي كتاب "الإحتجاج" للشيخ الطبرسي رحمه اللّٰه إحتجاجاتٌ كثيرة للأئمَّة عليهم السّلام مع بعض أدعياء الفقاهة في زمانهم.

الجهاد في جبهة التوحيد

ولقد كان من المسائل المهمَّة في زمن حضور الأئمَّة عليهم السّلام، مسألة التوحيد.

فأئمَّتنا عليهم السّلام حافظوا علىٰ التوحيد الحقيقي، وبذلوا الكثير من أجل إيصال التوحيد النقي والحقيقي إلينا.

وفي هذا المجال، أبطل الأئمَّة عليهم السّلام كلَّ الآراء الفاسدة من التجسيم والتشبيه بالمخلوق ورؤية اللّٰه تعالىٰ في الدنيا أو في الآخرة، للنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله أو لغيره من الناس.

وقد تحمَّلوا الكثير من الأذىٰ في قضيَّة التوحيد من أجل الحفاظ علىٰ المنهج التوحيدي الصحيح، ذلك المنهج الذي جاء به رسول الله صلّى الله عليه وآله والَّذي أبطل الشرك بكلِّ أنواعه وصوره.

وكذلك بذل الأئمّة كلَّ جهدهم في مسألة الجبر والإختيار، والقضاء والقدر، وبيّنوا حقائق هذه المطالب للأُمّة الإسلاميّة.

وهذه بعض الروايات في هذا الباب:

عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السّلام:

«يابن رسول اللّه! إنَّ قوماً يقولون: إنّه عزّوجل لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر.

فقال الرضا عليه السّلام:

من قال ذلك ودان به فقد اتّخذ مع اللّه آلهة أخرىٰ وليس من ولايتنا علىٰ شيء».

ثم قال عليه السّلام:

«لم يزل اللّه عزّوجل عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته، تعالىٰ عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً»(١)

وعن محمد بن مسلم قال: قلت للباقر عليه السّلام:

«جعلت فداك، يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر ويبصر بغير الَّذي يسمع.

قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا، تعالىٰ اللّه عن ذلك، إنّه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع....»(٢)

وعن عبد الملك بن أعين قال: كتبت لأبي عبد اللّه عليه السّلام أسأله عن التوحيد، فكتب لي:

---

(١) التوحيد، للشيخ الصدوق: ١٣٩-١٤٠، الحديث ٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١٠٩/٢، الحديث ١٥؛ الإحتجاج: ١٩٢/٢؛ بحار الأنوار: ٦٢/٤، الحديث ١.

(٢) الكافي: ١٠٨/١، الحديث ١.

«سألتَ رحمك اللّه عن التوحيد وما ذهب إليه من قبَلك، فتعالىٰ اللّه الّذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالىٰ اللّه عمّا يصفه الواصفون المشبّهون اللّه تبارك وتعالىٰ بخلقه، المفترون علىٰ اللّه.

إعلم -رحمك اللّه- أنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات اللّه عزَّوجل، فانف عن اللّه البطلان والتشبيه»[1]

وعن يعقوب بن إسحاق، إنَّه كتب للإمام الحسن العسكري عليه السّلام يسأله:

هل رأىٰ رسول اللّه ربَّه؟

فكتب له عليه السّلام:

«إنَّ اللّه تبارك وتعالىٰ أرىٰ رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبَّ»[2]

إنَّ جماعةً من عوام الناس إشتهروا بإسم "الحافظ" و"العالم" و"العارف" إدّعوا إنَّهم عانقوا اللّه تعالىٰ(!!) في النوم وفي اليقظة، فقد جاء في كتاب "تهذيب التهذيب" مثلاً:

«عن عبد اللّه بن أحمد: سمعت سريج بن يونس يقول: رأيت ربّ العزَّة في المنام فقال لي: يا سريج! سل حاجتك.

فقلت: "رحمت سر بسر". يعني رأساً برأس!

وقال البخاري: مات في ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين ومائتين»[3]

---

(١) الكافي: ١/١٠٠.

(٢) الكافي: ١/٩٥.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣/٣٩٨، الحديث ١٠؛ سير أعلام النبلاء: ١١/١٤٦-١٤٧، رقم ٥٤؛ تأريخ الإسلام: ١٧/١٧٥؛ الوافي بالوفيات: ١٥/٨٩.

هكذا يدّعون!! ولكنّ الراوي من أصحابنا كتب إلىٰ الإمام عليه السَّلام:

«قد اختلفت ـ يا سيدي ـ أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت ـ يا سيّدي ـ أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطوّلاً علىٰ عبدك.

فكتب عليه السّلام:

سألت عن التوحيد، هذا عنكم معزول، اللّه واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالىٰ ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم، ويتصوّر ما يشاء وليس بصورة، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.»(١)

الجبر والإختيار وقصَّة لطيفة

ولقد بيَّن الأئمَّة عليهم السّلام الحقّ في مسألة "الجبر والإختيار" و"القضاء والقدر" بشكل واضح وكامل، فعن المفضل بن عمر قال: قال الصادق عليه السّلام:

«لا جبرَ ولا تَفويضَ ولكن أمرٌ بين أمرين»(٢)

ثمَّ إنَّ مسألة القضاء والقدر راجت وإشتهرت كثيراً في زمن الحجّاج بن يوسف وكثرت فيها الآراء والأقوال، فكتب الحجّاج إلىٰ أربعة نفر من كبار علماء زمانهم، وهم: الحسن البصري، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وعامر الشعبي، وهم معظّمون عند أهل السنَّة، وكلُّ واحدٍ منهم في بلدٍ غير بلد صاحبه، يسألهم عن القضاء والقدر.

---

(١) الكافي: ١٠٣/١، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٢٦١/٣، الحديث ١٠.

(٢) التوحيد، للشيخ الصدوق: ٣٦٢، الحديث ٨؛ بحار الأنوار: ١٧/٥، الحديث ٢٧.

فكتب له الحسن البصري:

«إنَّ أحسن ما سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السّلام أنَّه قال: يابن آدم! أتظنّ أنَّ الّذي نهاك دهاك، وإنَّما دهاك أسفلك وأعلاك، واللّه بريءٌ من ذلك.»

وكتب له عمرو بن عبيد:

«أحسنُ ما سمعت في القضاء والقدر قول علي بن أبي طالب عليهما السّلام: لو كان الوزر في الأصل محكوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً.»

وكتب له واصل بن عطاء:

«أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السّلام أنَّه قال: أيدلّك علىٰ الطريق ويأخذ عليك المضيق؟»

وكتب له الشعبي:

«أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السّلام أنَّه قال: كلّ ما استغفرت اللّه تعالىٰ منه فهو منك، وكلّ ما حمدت اللّه تعالىٰ فهو منه؛»

والعجيب هو ما قاله الحجّاج عندما وصلت له تلك الأجوبة الأربعة، فمع إنَّه عدوٌّ لأمير المؤمنين عليه السّلام إلاّ إنَّه إضطرَّ أن يقول:

«لقد أخذوها من عينٍ صافية»[1]

نعم، هكذا حفظ أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام عقائد الإسلام ومباني الدين الحنيف.

---

(١) الطرائف: ٣٢٩-٣٣٠؛ بحار الأنوار: ٥٨/٥، الحديث ١٠٨.

جبهة الصوفية والغلاة

ووقف الأئمَّة الأطهار عليهم السَّلام بوجه الصّوفيَّة، كما وقفوا بوجه الغلاة القائلين بأُلوهيَّة رسول اللّه محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأُلوهيَّة أمير المؤمنين عليه السّلام وحفظوا الدّين، لكي لا تختلط هذه الآراء الباطلة بالدّين ومبانيه.

جبهة القياس

والجبهة الأُخرىٰ التي حارب فيها الأئمَّة عليهم السّلام هي جبهة القياس في الدين، فلقد وقفوا بكلٍّ صلابة في وجه القائلين بالقياس وأبطلوا مبناهم بكلٍّ وضوح.

وكان هذا الأمر قد شاع وراج في ذلك الزمان، إلىٰ درجة أنَّ أحد أساتذتنا يقول بأنَّه وردت أكثر من ٥٠٠ رواية في تحريم القياس في الشريعة عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام والأئمَّة المعصومين.

وعن أبان بن تغلب أنَّ الإمام الصادق عليه السّلام قال له في ضمن حديث:

«يا أبان! إنَّك أخذتني بالقياس، والسُنَّة إذا قيست مُحقَ الدين؛»(١)

جبهة الأحكام

وكذلك كانت مواقفهم في حفظ أحكام الشّريعة كلّها منذ صدر الإسلام، وكمثال علىٰ ذلك، ما ورد في كتب الفريقين من أنَّ عمر أمَرَ يوماً برجم إمرأة مجنونة إتهمت بالزنا! فمنعه أمير المؤمنين عليه السّلام وقال له:

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ١١٩/٤، الحديث ٥٢٣٩؛ الكافي: ٢٩٩/٧ و٣٠٠، الحديث ١٦؛ بحار الأنوار: ٤٠٥/١٠١، الحديث ٥.

«ألم تعلم أنَّ القلم رفع عن المجنون حتّىٰ يعقل، وعن المبتلىٰ حتّىٰ يفيق، وعن النائم حتّىٰ يستيقظ، وعن الصبيّ حتّىٰ يحتلم»(١)

فالإمام عليه السّلام بهذا، ليس فقط أنقذ المرأة المسكينة من الرجم، وإنَّما أنقذ شريعة محمّد صلّىٰ اللهُ عليه وآله من التحريف، إذ لو كان الرجل قد نفذ الحدّ لصارت بدعة جاريةً كغيرها من البدع التي إبتدعها، ولكانت اليوم من جملة أحكام الإسلام!

وما أكثر الموارد التي قال فيها عمر:

«لو لا عليّ لهلك عمر»(٢)

وقد أثبتنا إعتبار أسانيد هذه الموارد، من نفس كتب أهل السُنَّة.

وجاء في نقل آخر:

«لو لا عليّ لهلك عثمان»(٣)

فعندما يرسل ملك الروم ممثّلاً عنه إلىٰ بلاد المسلمين، ليسأل من خليفة رسول اللّه!! بعض المسائل فلا يحير جواباً، ألَيس هذا مضرّاً بالدين؟ وعاراً علىٰ المسلمين؟

ألا يجب علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام هنا أن يجيب عن تلك الأسئلة؟

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣٨٩/٤؛ السنن الكبيرىٰ، للبيهقي: ٢٦٩/٤.

(٢) الكافي: ٤٢٤/٧، الحديث ٦؛ الإيضاح: ١٩١؛ المسترشد: ٥٤٨، الحديث ٢٢٦؛ الإختصاص: ١١١؛ مناقب آل أبي طالب: ١٨٤/٢؛ الطرائف: ٥١٦؛ بحار الأنوار: ١١١/٣٠، الحديث ١١؛ الإستيعاب: ١١٠٣/٣؛ شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ٢٠٤/١٢؛ نظم درر السمطين: ١٣٠؛ فتح الملك العلي: ٧١؛ المواقف: ٦٢٧/٣؛ تمهيد الأوائل: ٥٤٧؛ تفسير السمعاني: ١٥٤/٥؛ تفسير الرازي: ٢٢/٢١؛ المناقب للخوارزمي: ٨١، الحديث ٦٥.

(٣) زين الفتىٰ في سورة هل أتىٰ: ٣١٧/١، الحديث ٢٢٥، نقلاً عن الغدير: ٢١٤/٨.

هذا هو حفظ الدّين والشريعة، وإنَّ الجواب عن تلك الأسئلة يبيِّن للجميع بأنَّ الدين الإسلامي هو الدين الحق الكامل، إلاّ إنَّ الَّذي جلس علىٰ مسند الخلافة هو إنسانٌ جاهل.

إنَّ البعض يحاولون تصوير القضيَّة بنحوٍ آخر يصبُّ في مصلحة الخلفاء، وهو إنَّ الإمام عليه السّلام كان مستشاراً للخلفاء!!

والحال، إنَّ الإمام عليه السّلام، لما كان يرىٰ من جهل الخلفاء، ولخوفه علىٰ الدّين من الإنحراف، كان يتدخّل في هذه الموارد لحفظ أحكام الشريعة وصيانة عظمة الإسلام.

وإذا ما كان الخليفة يمتنع من إجراء الحدِّ علىٰ أحد أقربائه أو أصحابه، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن منه إلاّ أن ينبري للوقوف بوجه هذا الإنحراف عن الدّين ويعترض علىٰ الخليفة لكي لا تتعطّل أحكام اللّه بسبب القرابات والعلاقات الشخصيَّة.

وفي الوقت الَّذي كانت فيه أموال بيت مال المسلمين تبذّر هنا وهناك أيّام عثمان بن عفّان، نجده عليه السّلام يقول:

«و اللّه لو وجدته قد تُزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإنَّ في العدل سعة...»(١)

فكلّ هذه المقاومة منه عليه السّلام، إنَّما هي من أجل أن لا يصير الدّين أُلعوبة بيد الآخرين.

---

(١) نهج البلاغة: ٤٦، كلام ١٥؛ مناقب آل أبي طالب: ٣٧٧/١؛ بحار الأنوار: ١١٦/٤١.

وإذا ما كان الإمام عليه السّلام يمنع من صلاة التراويح، فإنَّما ذاك لأنَّ هذه الصّلاة بدعة.

فعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد اللّه الصّادق عليه السّلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

« ...واللّه لقد أمرت الناس أن لا يجمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، فنادىٰ بعض أهل عسكري ممن يقاتل وسيفه معي: "أنعىٰ الإسلام وأهله، غيّرت سنّة عمر" ونهىٰ أن يصلّىٰ في شهر رمضان في جماعة، حتّىٰ خفت أن يثوْر في ناحية عسكري علىٰ ما لقيت ولقيت هذه الأمَّة من أئمَّة الضلالة والدعاة إلىٰ النار... »(١)

الإمام الهادي وإستسقاء المسيحيين

نعم، هكذا كان شأن الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ مرّ التأريخ.

وفي قضيَّة حدثت في سامراء أيّام الإمام الهادي عليه السّلام في صلاة الإستسقاء، ذكرتها المصادر السنيَّة المعتبرة أيضاً، جاء فيها:

« قحط النّاس بسرّ من رأىٰ في زمن الحسن الأخير عليه السّلام فأمر المعتمد بن المتوكّل الحاجب وأهل المملكة أن يخرجوا إلىٰ الاستسقاء.

فخرجوا ثلاثة أيّامٍ متواليةٍ إلىٰ المصلّىٰ يستسقون ويدعون فما سقوا فخرج الجاثليق في اليوم الرّابع إلىٰ الصّحراء و معه النّصارىٰ و الرّهبان و كان فيهم راهبٌ فلمّا مدّ يده هطلت السّماء بالمطر.

وخرج في اليوم الثّاني فهطلت السّماء بالمطر فشكّ أكثر النّاس و تعجّبوا

(١) الإحتجاج: ٣٩٢/١.

وصبوا إلىٰ النّصرانيّة فبعث الخليفة إلىٰ الحسن و كان محبوساً فاستخرجه من حبسه و قال الحق أمّة جدّك فقد هلكت.

فقال له إنّي خارج في الغد و مزيل الشّكِ إن شاء اللّه.

فخرج الجاثليق في اليوم الثّالث و الرّهبان معه و خرج الحسن عليه السّلام في نفرٍ من أصحابه فلمّا بصر بالرّاهب و قد مدّ يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنىٰ و يأخذ ما بين إصبعيه ففعل و أخذ من بين سبّابته و الوسطى عظماً أسود فأخذ الحسن عليه السّلام بيده ثمّ قال له استسق الآن فاستسقىٰ و كانت السّماء متغيّمةً فتقشّعت و طلعت الشّمس بيضاء فقال الخليفة ما هذا العظم يا أبا محمّدٍ.

فقال عليه السّلام: هذا رجلٌ مرّ بقبر نبيٍّ من أنبياء اللّه فوقع في يده هذا العظم و ما كشف عن عظم نبيٍّ إلّا هطلت السّماء بالمطر.»[١]

وفي قصّة الفيلسوف الكندي، حينما كتب بعض الشبهات حول القرآن الكريم، واطّلع الإمام الحسن العسكري علىٰ ذلك، أزال كلَّ تلك الشبهات بكلمة واحدة منه عليه السّلام.[٢]

فلو إنَّ هذه القضيَّة لم تُحلَّ من قبل الإمام العسكري عليه السّلام، فما الَّذي كانت ستجرُّه من ويلات على الإسلام والمسلمين؟

فلا شكَّ في أنَّ تلك الشبهات كانت ستؤدّي إلىٰ إنحراف عدد من الناس.

ولمّا أرسل له الإمام عليه السّلام أحد أصحابه وأفحمه، إنتبه الرجل من غفلته ورجع عن رأيه.

---

(١) كشف الغمَّة: ٢٢٦/٣، ينابيع المودَّة: ١٣٥/٣ وغيرهما.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٥٢٥/٣-٥٢٦؛ بحار الأنوار: ٣١١/٥٠، الحديث ٩.

قصّة الرمّانة

فمثل هذه الأمور يمكن أن تحدث في كلِّ زمان وتتسبّب في إضلال بعض الناس، ومن ذلك قضيّة الرمّانة في بلاد البحرين، وهي قصّة واقعيَّة ذكرها الشيخ يوسف البحراني، وهو من كبار فقهائنا، في كتابه، كما إنَّ قبر ذلك الرجل الصالح الَّذي تشرّف برؤية الإمام المهدي أرواح العالمين له الفداء، مشهور يزار.

فقد توسل هذا العبد الصالح بالإمام المهدي عليه السّلام لحلِّ تلك المعضلة التي كادت تزعزع عقائد الكثيرين من الناس.[١]

نعم، لقد قام الأئمّة عليهم السّلام علىٰ مرِّ التأريخ وفي أيِّ موقع كانوا، بخدمة الدّين وحفظه ورعايته، وصيانة المسلمين عن الضلال.

عصر الإمام المهدي وإحياء الدين

كان ما ذكرناه إلىٰ الآن، هو دور الأئمَّة عليهم السّلام في حفظ الدّين في الجبهات المختلفة، ولكنَّ الدين لم يظهر بشكل كامل إلاّ إذا تحقّق الوعد الإلهيّ بظهور وليّ العصر والزمان، الإمام الثاني عشر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف والَّذي ورد في الحديث الشريف عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إنَّه:

«يملاء اللّه به الأرض قسطاً وعدلاً»[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ١٧٧/٥٢.

(٢) كمال الدين: ٢٨٨؛ كفاية الأثر: ٨٩؛ اليقين ٤٩٤؛ بحار الأنوار: ٣١٦/٣٦، الحديث ١٦٢ و١٢٦/٣٨، الحديث ٧٦ و ١٢/٥١، الحديث ١٤؛ مسند أحمدبن حنبل: ٩٩/١؛ سنن أبي داوود: ٣٠٩/٢، كنز العمّال: ٢٦١/١٤، الحديث ٣٨٦٥٣؛ المعجم الأوسط ،٥٥/٢؛ الجامع الصغير: ٤٣٨/٢، الحديث ٧٤٩٠.

إذن، فالمقطع المذكور من الزيارة مرتبط -كما أشرنا سابقاً- بزمن حكومة الإمام المهدي عليه السّلام، حيث يُحيىٰ فيه الدّين أي ينتشر في العالم ويحكم البلاد، ويتحقَّق بذلك الحياة الواقعيَّة لكلّ البشريَّة، لأنَّ الحياة الماديَّة مشتركةٌ بين جميع الحيوانات، وأمّا الحياة المعنويَّة فهي مختصَّة بالإنسان.

ومن هنا، فقد ورد بتفسير قوله تعالىٰ:

﴿وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا﴾[1]

عن الإمام الحسن العسكري عليه السّلام قال: قال الإمام الحسين بن علي عليهما السّلام لرجل:

«أيُّهما أحبّ إليك، رجل يروم قتل مسكين قد ضعف تنقذه من يده، أو ناصب يريد إضلال مسكين من ضعفاء شيعتنا، تفتح عليه ما يمتنع به ويفحمه ويكسره بحجج اللّه تعالىٰ؟

قال: بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، إنَّ اللّه تعالىٰ يقول: ﴿مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعَاً﴾ من أحياها فكأنَّما أحيىٰ الناس جميعاً. أي، ومن أحياها وأرشدها من كفر إلىٰ إيمان فكأنّما أحيىٰ الناس جميعاً من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد.»[2]

وعن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«من أخرجها من ضلال إلىٰ هُدىٰ فكأنّما أحياها، ومن أخرجها من هدىٰ إلىٰ ضلال فقد قتلها»[3]

---

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٣٢.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ٣٤٨، الحديث ٢٣١؛ بحار الأنوار: ٩/٢، الحديث ١٧.

(٣) الكافي: ٢١٥/٢، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٤٠١/٧١، الحديث ٤٨.

ومن هنا، يتَّضح بأنَّ حياة الإنسان الواقعيَّة هي الحياة المعنويَّة، فالإنسان الفاقد للحياة المعنويَّة، ستكون حياته حياةً حيوانيَّة فحسب.

وبملاحظة ما مرَّ، نقول: إنَّ دور الإمام المهدي عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف في آخر دنيا الإسلام هو نفس دور رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في أوَّل دنيا الإسلام.

يقول القرآن الكريم في خصوص دعوة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُم ﴾(١)

فإنَّ حياة من يُعرِض عن دعوة اللّه ورسوله هي حياة حيوانيَّة، وليست حياة إنسانيَّة، لأنَّ الحياة المجرَّدة عن المعنويَّات، حياةٌ حيوانيَّة.

ودعوة الإمام المهدي عليه السّلام في زمن الظهور هي نفس تلك الدعوة الإلهيَّة المحمديّة، فإنَّه سيدعو كلَّ أهل العالم لما يُحييهم، لأنَّ حكومته هي حكومة العدل، ذلك العدل الَّذي وعد به رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وستطبق الشريعة المشتملة علىٰ الأُصول والفروع والأخلاقيَّات، تطبيقاً كاملاً.

وسيعود ما مُحي من الدين علىٰ يد المغرضين والجهّال، غضّاً جديداً نقيّاً صحيحاً علىٰ يد إمام العصر والزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف.

ومن هنا فقد ورد عن الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«إذا قام القائم عليه السّلام جاء بأمرٍ جديد، كما دعا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في بدء الإسلام إلىٰ أمرٍ جديد»(٢)

---

(١) سورة الأنفال (٨): الآية ٢٤.

(٢) الإرشاد: ٣٨٤/٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٨/٥٢، الحديث ٨٢.

وفي رواية أُخرىٰ ترتبط بالقرآن المجيد في عصر الظهور، وقد تحدّثنا سابقاً حول هذه الرواية، وهي رواية جابر عن الباقر عليه السّلام قال:

«إذا قام قائم آل محمّد عليه السّلام ضرب فساطيط لمن يعلّم الناس القرآن علىٰ ما أنزل اللّه جلَّ جلاله، فأصعب ما يكون علىٰ من حفظه اليوم، لأنَّه يخالف فيه التأليف»(١)

نظرة إلىٰ سياسة خلفاء الجور

ونقول في توضيح هذا المطلب:

عندما بُعث رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، كان الإسلامُ غريباً، وقد إستقام رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله علىٰ الرغم من تلك الغربة والشدَّة،حتّىٰ إنتشر الإسلام.

ونزل القرآن الكريم بالتدريج لهداية الناس، وكان رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يمارس دوره ووظيفته الرساليَّة.

وبعد أن إرتحل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن العالم والتحق بربِّه، إرتدَّ أكثرُ الناس، كما يصرِّح بذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰاكِرِين﴾(٢)

وكانوا يقولون: «حسبنا كتاب اللّه»

ومنعوا من كتابة السُنَّة، وفسَّروا كتاب اللّه بحسب أهوائهم وأوَّلوه بما يتناسب مع مصالحهم وسياستهم.

---

(١) الإرشاد: ٣٨٦/٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٩/٥٢، الحديث ٨٥.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ١٤٤.

فقد روىٰ البخاري وغيره: إنَّ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كان في فراش المرض فقال:

«هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فقال عمر: لا تأتوه بشيء، فإنَّه قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب اللّه.

فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قوموا يكتب لكم رسول اللّه، ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلمّا كثر اللغط والإختلاف قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: قوموا عنّي.

قال عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة: وكان إبن عبّاس يقول: الرزيَّة كلّ الرزيَّة ما حال بين رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وبين أن يكتب لنا ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.»[١]

وفي زمن معاوية بن أبي سفيان، أُعلنت الحرب علناً وبكلّ وقاحة ضدّ القرآن والإسلام ورسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

ويزيد بن معاوية أظهر الكفر علناً صريحاً، وأنشد - وهو يضرب ثنايا أبي عبد اللّه الحسين عليه السَّلام بعود الخيزران -:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تشل

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ٣٦-٣٧، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ٤٧٤/٢٢، الحديث ٢٢؛ مسند أحمد بن حنبل: ٣٣٦/١؛ صحيح البخاري: ١٣٧/٥- ١٣٨؛ عمدة القاري: ٧٦/٢٥، الحديث ٧٣٦٦؛ السنن الكبرىٰ للنسائي: ٤٢٣/٣، الحديث ٥٨٥٢؛ شرح إبن أبي الحديد: ٥٥/٢؛ الطبقات الكبرىٰ: ٢٤٤/٢؛ تأريخ إبن خلدون: ١٧١/٣؛ إمتاع الإسماع: ٤٤٦/١٤.

فجزيناه ببدر مثلها وأقمنا مثل بدر فاعتدل

ليست من خندف إنْ لم أنتقم من بني أحمد ماكان فعل [١]

يقول أمير المؤمنين عليه السَّلام:

«اللهمَّ إنّي أستعديك علىٰ قريش، فإنَّهم أضمروا لرسولك صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ضروباً من الشرّ والغدر، فعجزوا عنها، وحُلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة والدائرة عليّ» [٢]

وجاء دور بني العبّاس، فقاموا بتأسيس مذاهب جديدة، وكان رؤساؤها في خدمة البلاط العبّاسي، يضفون الشرعية لتصرّفات الحكّام المخالفة للدين.

وأوّل مذهب أسَّسه العبّاسيون هو مذهب مالك، فقد طلب منه تأليف كتاب "الموطأ"، واشترط عليه عدم نقل أي حديث عن أميرالمؤمنين وأهل البيت في كتابه.

وقد روَّج العبّاسيّون لهذا الكتاب كثيراً، حتّىٰ تبع الملايين من الناس مذهبَ مالك بن أنس وإلىٰ يومنا هذا. [٣]

ثمَّ أسَّس أحمد بن حنبل مذهباً جديداً، حمل المتوكّل الناس علىٰ الأخذ به والعمل بكتابه المسند، وبذلك راج وشاع المذهب الحنبلي القائم علىٰ أساس القياس والإستحسان والرأي وهوىٰ النفس والمصالح الشخصيَّة، ولا زال إلىٰ يومنا هذا.

---

(١) الإحتجاج: ٣٤/٢؛ تاريخ الطبري: ١٨٨/٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٩٨/٢٠.

(٣) أبو عبد اللّه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، المدني. ولد في المدينة سنة ٩٣ وتوفي بالمدينة في ١٤ ربيع الأول ودفن بالبقيع. من تصانيفه الموطأ، رسالته إلىٰ الرشيد.

راجع: كتاب الموطأ: ٢٧/١، سير أعلام النبلاء: ٧٨/٨.

لقد جنىٰ العبّاسيون علىٰ الإسلام بما لم يجنه من كان قبلهم، وبهذه الوسيلة هجر القرآن وإنْ كان يتلىٰ ليلاً ونهاراً وفي كلِّ مكان ومن كلِّ وسائل الإعلام، وكذلك السنَّة النبويَّة.

وأمّا في زمن الإمام صاحب الزّمان عليه السّلام، فإنَّه سيُفسِّر القرآن علىٰ ما أُنزل وسيقول الناس: عجباً، إنَّ هذا التفسير غير ما كنّا نسمعه حتّىٰ الآن!

وإنَّ الإمام عليه السّلام سيُبيِّن أحكام الشرع علىٰ حقيقتها وبنحوٍ تبدو وكأنَّها دينٌ جديد، لأنَّ الأُمَّة قد ابتعدت كثيراً عمّا جاء به رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

ضرورة التأييد الإلٰهي وانصياع الأُمَّة

ولابدَّ من القول هنا: بأنَّ إحياء الدِّين بيد الإمام المهدي عليه السّلام، وتحقّق دعوة رسول اللّه وتطبيق الشريعة كاملةً، يتوقّف علىٰ أمرين:

١-الإستعداد العامّ عند الناس للقبول.

إنَّ الإمام المهدي عليه السّلام سيستفيد من القوَّة الغيبيَّة فيُكمِّل عقول الناس وأحلامهم، وقد وردت روايات كثيرة في هذا المعنىٰ.فالعقول والأفهام والإستعدادات سيرتفع مستواها، ويزداد إقبال الناس وقبولهم للمعنويّات، وتكبر فيهم روح التلقّي وقبول الحقائق.

فعن أبي خالد الكابلي عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أحلامهم»[1]

(١) بصائر الدرجات: ١١٧؛ بحار الأنوار: ٣٢٨/٥٢، الحديث ٤٧.

فمن جهة، القرآن والشريعة إذا ما بُيِّنا للناس على حقيقتهما، فإنَّه ستكون لهما نورانيَّة خاصَّة، ولن يبقىٰ عاقلٌ يخالف تلك الحقائق النورانيَّة والهداية الإلَهيّة.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ المعجزات والكرامات التي ستظهر علىٰ يدي الإمام عليه السّلام، ستثبّت إمامته لعموم أهل العالم.

٢-وجوب وجود قوَّة أُخرىٰ

ولكنْ سيكون هناك طائفة من الناس يتمرّدون علىٰ أحكام الإمام و يعاندونه و يعارضون نهجه، وحينئذٍ، سيستفيد الإمام عليه السّلام من القدرة الممنوحة له في ضرب هؤلاء وإفشال مخططاتهم الرامية، كما سيأتي الإشارة إليه.

وَيَرُدُّكُمْ فِي أَيَّامِهِ

هذا، وإنَّ اللّه سبحانه وتعالىٰ سيردَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام في أيّام المهدي، وهي أيّام اللّه كما في الرواية عن الصادق عليه السّلام، قال:

«أيّامُ اللّه ثلاثة، يوم يقوم القائم، ويوم الكرَّة، ويَومَ القيامة»[١]

لقد إقتضت الإرادة الإلهيَّة بإظهار عظمة أهل البيت عليهم السّلام في هذه الدنيا وفي كلّ العالم.

وعظمة أهل البيت عليهم السّلام في هذا العالم ستظهر في أيّام رجعتهم إلىٰ الدنيا في زمن وليّ العصر أرواحنا فداه. وقد تقدَّم بيان بعض المطالب حول "الرجعة" فيما سبق، كما إنَّ بيان شأن أهل البيت عليهم السّلام في يوم القيامة يحتاج إلىٰ مجال آخر.

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨؛ بحار الأنوار: ٦٣/٥٢، الحديث ٥٣.

وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ

وإنَّ اللّه تعالىٰ سينشر عدله ويبسطه في هذا العالم بواسطة الإمام المهدي من أهل البيت عليهم السّلام.

كما في الحديث المعروف عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«يملأ اللّه به الأرض عدلاً وقسطاً»(١)

ولايخفىٰ أنَّ الروايات الواردة في هذا الباب كثيرة جدّاً، وقد نقلها الأعاظم في كتبهم المختصَّة بالإمام المهدي عليه السّلام(٢) كالخبر عن الباقر عليه السّلام قال:

«إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسويّة وعدل في الرعيَّة، فمن أطاعه فقد أطاع اللّه ومن عصاه فقد عصىٰ اللّه.

وإنَّما سمّي المهديّ، لأنَّه يهدي إلىٰ أمر خفيّ، ويستخرج التوراة وساير كتب اللّه عزَّوجل من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة وبين أهل الإنجيل بالإنجيل وبين أهل الزّبور بالزبور وبين أهل القرآن بالقرآن.

ويجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرّم اللّه عزَّوجل. فيعطي شيئاً لم يعطه أحداً كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشرّاً»(٣)

---

(١) كمال الدين ١ / ٢٨٨ و ٢ / ٤٢٦؛ الإرشاد ٢ / ٣٧٩.

(٢) ولمزيد الإطّلاع راجع كتاب: الغيبة للنعماني، الغيبة للشيخ الطوسي وبحار الأنوار.

(٣) كتاب الغيبة، للنعماني: ٢٤٣، الحديث ٢٦.

وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ

والتمكين في الأرض، كناية عن القدرة والسلطنة التامَّة، وكلمة "في أرضه" إشارة إلىٰ إنَّ حكومة الإمام المهدي عليه السّلام وسلطنته وقدرته، غير مختصَّة بقسم من الكرة الأرضيَّة، بل هي عامَّة لكلِّ الدنيا. وهذا صريح ما ورد في القرآن الكريم إذ يقول تعالىٰ:

﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾(١)

والملاحظ أنَّ الآية المباركة بدأت بـ"وَعَدَ"، واللّٰه تعالىٰ يقول:

﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾(٢)

وفي آية أُخرىٰ يقول عزَّ من قائل:

﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُون﴾(٣)

فالأئمَّة عليهم السّلام هم الذين سيُحيون الدّين، لا غيرهم. فهم عليهم السّلام مظاهر العدل الإلهيّ لكلِّ من يحتاج إلىٰ العدالة وينتظرها، وهُم من سيجري الشريعة ويطبِّقها في أرجاء العالم وعلىٰ كل أفراد البشر.

وعن إبن عبّاس عن رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله وسلَّم إنَّه قال:

---

(١) سورة النور (٢٤): الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ٩.

(٣) سورة القصص (٢٨): الآية ٥-٦.

«إنَّ عليّ بن أبي طالب وصيّي وإمام أُمّتي وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الّذي يملأ اللّه به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر»[(١)]

وظيفتنا في زمن الغيبة

والبحث الآخر في هذا المضمار، وظيفتنا في زمن غيبة الإمام المهدي عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف.

ولقد ذكرنا في البحوث السّابقة طرفاً من وظائف الأُمَّة تجاه الأئمَّة، ولعلّنا نذكر طرفاً آخر من ذلك بشرح:

«فَثَبَّتَنِيَ اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ ...؛»

إنْ شاء اللّه تعالىٰ.

فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لاَ مَعَ غَيْرِكُمْ

مع الأئمّة لامع غيرهم

وفي هذا المقطع نعاهد الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ أنْ نكون معهم فلن نفارقهم ولن نفترق عنهم، في حضورهم وفي غيبتهم، وسواءاً كانوا علىٰ رأس السلطة والقدرة أو لم يكونوا، فنحن معهم في كلِّ الأحوال.

---

(١) اليقين: ٤٩٤-٤٩٥؛ بحار الأنوار: ١٢٦/٣٨، الحديث ٧٦.

وقد قرأنا فيما سبق:

«مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ... فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ».

ولابدَّ من التنويه بأنَّ هذه العبارة جاءت في بعض النسخ هكذا: «لا مع عدوّكم»[١] بدلاً من «لاَ مَعَ غَيْرِكُمْ».

والظاهر عدم الفرق، بعد أن قلنا بوجود خطَّين متقابلين علىٰ مرِّ التأريخ، خطّ الحقّ وخط الباطل.

فإذا قلنا: معكم معكم، فإنَّ ذلك يعني أني معكم فكراً ومعتقداً وحبّاً وعملاً. لماذا؟ لأنَّكم الحقّ، فما عداكم هو الباطل، لأنَّ الخطّ المقابل لخطّ أهل البيت هو الباطل، أيّاً من كان.

يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢]

وتقدّم منّا في الكتاب تفسير هذه الآية المباركة، وذكرنا أنَّ المعيّة فيها إمّا جسمانيَّة بأن يكون الشخص مع آخر في زمانٍ ومكانٍ واحد.

وإمّا معنويَّة، فمثلاً نقول فلانٌ مع فلان، أي إنَّه موافق له في العقيدة والفكر والرأي والخط، حتّىٰ لو لم يَرَ أحدهما الآخر. فهذه المعيَّة معنويَّة.

وقد قلنا في ذيل الآية المباركة: إن المراد من الصادقين، هم أهل البيت عليهم السّلام.وهذا المعنىٰ أكَّدَتهُ روايات أهل السُنَّة في تفاسيرهم أيضاً.[٣]

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٦١٤/٢، بحار الأنوار: ١٣١/٩٩.

(٢) سورة التوبة (٩): الآية ١١٩.

(٣) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب، الصفحة: ٣٦.

ثمَّ إنَّ الأمر بالكون بصورة الإطلاق مع الصّادقين، ظاهرٌ في عصمتهم، وإلاّ لزم التناقض، وقد أوضحنا ذلك سابقاً.

ومن هنا، فإنَّنا مأمورون في شريعتنا بإطاعة الوالدين وإحترامهما والتواضع والتذلُّل لهما، ولكنَّ هذا الأمر ليس مطلقاً، بل هو مقيَّد، لأنَّ الأب والأمُّ ليسا بمعصومين. فأينما كان الأمر بالطاعة مطلقاً، لزم أن يكون المطاع معصوماً، ومن هنا، فإنَّنا نقرأ في القرآن الكريم:

﴿وَ إِنْ جاهَداكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما﴾[١]

وأمّا الأمر بالكون مع الصادقين، فهو مطلقٌ وغير مقيَّد، فنحن مأمورون بأن نكون معهم في كلِّ الأحوال، وهذا يدلُّ علىٰ لزوم عصمتهم عليهم السّلام، ولو لا عصمتهم لما صدر مثل هذا الأمر.

وهناك معيَّة ثالثة، و هي خاصَّة باللّه، قال عزَّوجلّ:

﴿وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾[٢]

والمراد منها الإحاطة، أي: هو محيطٌ بكم أينَما كُنتم.

وعلىٰ الجملة، فالمراد من «فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لاَ مَعَ غَيْرِكُمْ» أنا مع أهل البيت عليهم السّلام، سواءاً كانوا حاضرين وشاهدين أو كانوا غائبين، وسواءاً رأيناهم أو لم نَرَهم، فإنْ كنّا صادقين فيما نقول، وجب علينا أن نكون مع الأئمَّة عليهم السّلام في فكرنا، عقيدتنا، أعمالنا، أخلاقنا وسلوكنا، لأنَّنا قد شخَّصنا بأنَّ الحقَّ معهم، وماعداهم فهو الباطل، ونحن نريد أن نكون مع الحقّ.

والحمد للّه رب العالمين والصّلاة والسّلام علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين

---

(١) سورة لقمان (٣١): الآية ١٥.

(٢) سورة الحديد (٥٧): الآية ٤.

المحتويات

القسم الخامس

بيان وعرض الإعتقادات